أحمد زكى

رواية

إبليس يعلن عن نفسه

BAPHOMET





ابليس

يعلن عن نفسه



الإهداء

- مع كامل تحياتى واحترامى وتقديرى :

- الضابط (حسن) .

- العلامة (جلال الدين عامر) .

شكرا على ثقتكما وسماحكما لى بنشر هذه الأحداث .

* * * *

- مع حبى واحترامى :

زوجتى .. (المتزوجون سيفهمون سبب هذا الإهداء ..)

* * * *

الأستاذ : تامر عطوة ..

شكر خاص للغاية :



أ. حسام حسين :

صاحب دار (ن) .. بيت الرعب فى مصر والعالم العربى .. أن تثق فى رجل هو أفضل ما يمكن تقديمه له .. شكرا جزيلا ..

د. سالى مجدى :

القلم الرائع ومستقبل الكتابة النسائية .. صاحبة العلامة الأدبية الفارقة (كوكب آمون) .. الأخت والصديقة العزيزة والإنسانة بالغة الرقى والاحترام .. لا توجد كلمات تصف امتنانى لك .. شكرا جزيلا .

الرائعة : نرمين سمير طاحون :

شكرا لك ملء الأرض كلها .. أن تؤمن بموهبة أحدهم وتقف جواره بكل قوة حتى يصير له كيان فى وسط مجتمع لا يعترف إلا بمبدأ القوة هو خلق ننحنى له إجلالا .. جزاك الله خيرا .

الدكتور : محمد السيد أدمن ساحر الكتب :



تشرفت للغاية بمساعدتك لى .. أنت من اسباب الفرح فى الحياة .. دمت عونا أخى .

زوجتى :

(المتزوجون يفهمون سبب هذا الشكر أيضا !)



المقدمة

كيف يمكن أن تواجه مخاوفك الخاصة ؟

الإنسان عدو ما يجهل .. على سبيل المثال أنت عدو الظلام لأنه يحرمك من حاسة البصر .. وقتها يمكن لأضعف كائن يرى فى الظلام أن يلحق بك ضررا بالغا .. أنت تخاف المخلوقات الخفية لأنك لا تراها ولا تعلم من أين ستهاجمك، وربما لو تجسدت أمامك فحسب لالتقطت أنفاسك وعرفت كيف ستتصرف ..

والإنسان عدو مالايفهمه .. يكفى أن ترى دودة عجيبة لتسحقها فى وجل واشمئزاز، على الرغم من أنها قد تكون فراشة جميلة لم تتحول بعد ..

منذ عدة أعوام قُتِل رجل مصاب بمرض هرمونى نادر يسبب غزارة مفرطة فى شعر جسده حتى صار مغطى بالكامل .. اضطر للخروج لشراء شىء ما فتسبب فى فزع إحدى النساء وانتهى الموقف بموته ضربا من



رواد المكان .. كان ذلك فى إحدى دول أوروبا الشرقية !

نحن نخاف من كل شىء تقريبا .. الحشرات والحيوانات والتقلبات الجوية والمستقبل .. حتى نخاف من بنى جنسنا أنفسهم، وللحق ليس شىء أكثر مدعاة للخوف من البشر ..

الأحداث التالية قد تكون أحداثا حقيقية حدثت لصديق لى على مدار عام ونصف تقريبا .. اختبر فيها الرعب الخام كما خلقه الله .. الرعب البكر الأولى الذى لا يبقى ولايذر .. الخوف العاتى من كل شىء ..

لن أطيل عليك .. فلتقلب الصفحة أو فلتنظر لليسار ولنر ماذا حدث له !



الفصل الأول

(لا أصدق)!

ماذا فعلت .. لقد ارتكبت خطئا رهيبا !

أنطون ليفى (مؤسس كنيسة الشيطان) عام 1997 على فراش الموت .

فى إدارة المباحث الجنائية بأحد أقسام الشرطة كان الضباط جالسين يؤدون مهامهم اليومية .. كان بعضهم شابا نشيطا يتحرك بسرعة من مكان لآخر يمازح هذا أو يطالع أوراقا فى يديه ويبدو على وجهه الخطورة .. وبعضهم ذو جسد بدين مترهل تتدلى أمامهم بطونهم العملاقة حتى أنك لتتساءل كيف صار صاحب هذا البطن العملاق ضابطا !

الجو العام هادىء .. وتيرة العمل الرتيبة تقريبا؛ حيث لا شىء يحدث سوى أعمال الشغب المعتادة والمشاجرات اليومية .. فى أحد جوانب المكان هناك



غانيتان تمضغان اللادن بميوعة ودلال بينما تتمايلان بطريقة مستفزة، ومن حين لآخر تلقى إحداهما كلمة ما فى أذن الأخرى وتضحكان ضحكة فاحشة بصوت منخفض؛ مما يثير حفيظة الضباط ويصيحون فيهما بالتزام الأدب فتضحكان أكثر ! يبدو أنهما معتادتان على هذا الجو .. ليستا متوترتين على الإطلاق وكأنما لم يتم القبض عليهما فى شقة متلبستين بعمل فاضح منذ قليل .. كانتا تعلمان أن الضباط المصريين غالبا لا يمدون أيديهم بالأذى للغوانى وإنما هم فقط يضربون الرجال فى الحجز كنوع من إفراغ الطاقات المكبوتة والتى ما انفكت الفتاتان تشعلها أكثر وأكثر ..

وفى أحد الأركان المقابلة يجلس الضابط (حسن) .. كان يبدو شاردا بشدة على غير العادة .. زملاؤه فى العمل يعلمون مدى تكتمه واعتادوا تركه وحيدا عندما يبدو متجهما .. الحق أن ما حدث له لا يعتبر مجرد (مشكلة) عادية .. هناك مواقف لا يصح أن يطلق عليها كلمة مشكلة .. ربما (مصيبة) تصف الموضوع بشكل أدق ؟!



كان الضابط (حسن) يعيش فى منزل كبير فى حى هادىء بمدينة السادس من أكتوبر .. منزل كبير مكون من طابقين وحوله حديقة متواضعة تحوطه من ثلاث جوانب، ولكنها منسقة بعناية شديدة ..

كان المنزل مبنيا على الطراز الأوروبى اشتراه والده الراحل منذ فترة ليجمع شمل أبنائه فى منزل واحد .. ولكن لم يتمتع بقربهم طويلا إذ أنه توفى منذ فترة قصيرة مسببا أزمة نفسية شديدة لكل من يعيشون فى المنزل .. كان والده لواءا متقاعدا ومن أبطال حرب أكتوبر .. كثيرا ما كانت الأسرة تجتمع حوله وهو يحكى لهم عن أهوال هذه الحرب وما شاهده فيها .. خاصة تلك الحكاية التى ضل فيها طريقه فى قلب الصحراء ورأى اشياءا لا يصدقها العقل ..

كان اللواء(إبراهيم) والد الضابط (حسن) رجلا يجمع القوة والحزم بالحنان والاهتمام فى مزيج فريد .. وكان رياضيا قويا حتى آخر لحظة فى حياته .. لم يكن يعانى من أى مرض على الإطلاق .. كل ما حدث هو أن زوجته استيقظت ليلا على رعشة الفراش ..



نظرت نحوه فى الظلام لتجد الوجه الصارخ متسع العينين مذعورا يحدق نحوها فى رجاء ويعب الهواء عبا فى صفير مرعب .. نهضت مسرعة تصرخ وأضاءت الحجرة، لكن روحه كانت قد فاضت إلى بارئها .. حين توفى الأب كان (حسن) فى مأمورية بعيدة .. فقط زوجته كانت هنا .. وحينما عاد كان أبوه قد سكن قبره للأبد !

أصيبت الأم بصدمة عصبية عنيفة أفقدتها القدرة على الحركة تماما .. ومن يومها وهى لا تتحرك إلا على الكرسى المتحرك ..

توفى اللواء (إبراهيم) وترك الضابط (حسن) الابن الأكبر، و(ريم) الابنة الوسطى التى مازالت تدرس فى الجامعة، و(مصطفى) الابن الأصغر فى الثانوية العامة ..

وكان الضابط (حسن) يعيش مع زوجته وطفلتيه فى الطابق الثانى من المنزل، بينما كانت الأم والأخوان الآخران فى الطابق الأول ..



أما المصيبة التى يواجهها الضابط حسن فهى تخص زوجته (شذى) .. لم يكن يحب أحدا فى حياته مثلما أحب هذه الفتاة .. كان يجد فيها كل ما يتمناه فى امرأة؛ إذ أنها كانت النموذج المثالى للمرأة كما تمناها - شكلا وطباعا، حتى نبرة صوتها وطريقة ضحكها وسيرها و.. كل شىء .. وهى بالفعل كانت جميلة .. خمرية اللون معتدلة الجسد ذات عينين عسليتين رائعتين تأسر من ينظر نحوها مباشرة، تتناغم عيناها مع شعرها البنى الرائع .. زوجان رائعان شكلهما معا يثير الحسد خاصة مع وسامة الضابط (حسن) .. سرعان ما انتفخ بطنها بعد الحمل وبالفعل رزقه اللّٰه منها بطفلتين جميلتين جدا تحملان ملاحة الأم والأب معا .. كان ذلك من سبع سنوات تقريبا .

ثم .. – ومن بعد وفاة أبيه - بدأت طباع زوجته تتغير .. هناك عدة طباع كريهة بدأت تطفو على ظهر حياتهما رويدا رويدا ..

طباع تثير القلق ..



تثير التوجس ..

تثير الرعب ..

أصبحت تثور لأتفه الأسباب، وأحيانا بلا سبب على الإطلاق ! كما أصبحت متقلبة المزاج بشكل جنونى .. مع مرور الوقت أيقن (حسن) أن زوجته لديها مشكلة نفسية ما .. هذا التقلب المزاجى العنيف ينبىء عن وجود مرض نفسى !

والسبب ؟

لا يدرى .. حياتهما طوال الوقت جميلة رائعة .. كانا يعيشان فى شقة مستقلة قبل سفرهما معا لأمريكا فى بعثة من الحكومة المصرية، وعادا منذ وقت قريب ليعيشا فى منزل أبيه الرحب .. هل عودتها لمصر تسبب هذا الألم النفسى المروع والذى ظهر فى شكل مرض نفسى ؟

ربما ..



ومع الوقت تفاقم الأمر ولم يعد هناك مناص من الذهاب لمتخصص .. لكن عندما عرض عليها أن يزورا الطبيب ثارت فى وجهه .. لم تكن ثورة عادية، بل ثارت بشدة وعنف غريبين عنها ..

ولم تهدأ بعدها قط !

أصبحت تصرخ دوما فى وجه الطفلتين ما أن تراهما فى أى وقت وأى مكان، ثم تضحك كطفل صغير فى تغيير مزاجى مخيف .. بل وضربتهما عدة مرات بقسوة دون سبب .. أحيانا تدخل عليهما الحجرة تصرخ وعيناها تدوران فى محجريهما ثم تلطم كل واحدة لطمة عنيفة وتصرخ بأعلى صوتها مسببة للفتاتين ذعرا لا حد له، ثم تهدأ فجأة وتخرج من الحجرة وهى تقفز كالأطفال وتغنى وتترنم بكلمات لا يفهمها أحد وكأنما تتغنى على صوت بكاء الطفلتين ..

بالفعل صار يرى حالتها تزداد سوءا مع مرور كل يوم .. وبمرور الوقت عافت الماء وصارت لا تستحم على الإطلاق وتقضى أوقاتا طويلة فى الأركان المظلمة من



الشقة .. أصبح يخشى النوم جوارها ويتهرب منه، لكنه أحيانا يفعل ذلك رغما عنه .. ربما ليضمن وجودها جواره بعيد عن إيذاء طفلتيه !

نظراتها الوديعة تتحول مابين الجنون والشراسة والبراءة بسرعة وبشكل لا يمكن تصديقه أبدا .. إنه يعرف أنها تتألم لأنه كثيرا ما سمعها تنتحب وحيدة فى دورة المياه ..

نحيب يمزق القلب ولكنه لا يدرى كيف يقدم لها يد العون ..

وكانت مخيفة ..

كثيرا ما استيقظ من نومه ليجدها واقفة فى الظلام أمام المرآة الكبيرة حتى تكاد تلمس أرنبة أنفها الزجاج وتهمس ..

يشعر بجسده يرتجف منها فزعا فى ذلك الوقت؛ خاصة عندما تستدير فجأة نحوه وتسير بخطى متصلبة نحو الفراش لتعود للنوم فجأة .



أمه تعتقد أنها (ممسوسة) لكنه لم يكن يصدق فى ذلك جدا؛والسبب أنه كان من نوعية الناس المتدينين بالقصور الذاتى فقط؛ أى أنه يصلى ويصوم من باب العادة لا أكثر، وربما لو تركوه وشأنه لم يكن ليفعل ذلك .. كان يعرف أن الله موجود بالضرورة، لكن فى قرارة نفسه لا يعترف بوجود الجن والشياطين بالمفهوم الخوارقى .. يميل إلى أنهما رمز للأفعال السيئة التى تأتى من الإنسان لا أكثر .. أما كل هذه الحكايات وكل هذه الأفلام الهوليودية عن الناس الذين أصابهم المس الشيطانى بالنسبة له فهى وسيلة للتربح فقط من خلال إيهام البسطاء .. الأمريكيون صناع أفلام محترفون ويلعبون على هذه الوتيرة بنجاح تام .. ببساطة لو كان هناك مثل هذه المخلوقات فلماذا لم يظهر له أحدهم ؟ بالفعل تمنى أن يحدث ذلك من باب الفضول .. وكثيرا ما سار وحده فى طرق خالية وحده ليلا .. بل وسار وحيدا فى المقابر نفسها لكشف سارقى الجثث ونباشى القبور .. ومع ذلك لم ير شيئا غريبا فى حياته قط ..



كما أنه لا يفهم السبب فى جعل شيطان يدخل جسد إنسان ! لكل شىء سبب؛ فما السبب ؟

لماذا يقيد مخلوق خارق نفسه داخل جسد حقير ؟

أمن أجل أن يخيفه ويقض مضجعه ليلا ؟

ثم ماذا ؟

ليست هذه الأمور منطقية أبدا .. لا يمكن أن يحاصر مخلوق نفسه ويسجنها سجنا ضيقا سخيفا بيده من أجل أن يضايق مخلوقا آخرا لا يعرفه وليس بينهما علاقة !

ومن أجل هذا كله كان يرفض فكرة المس الشيطانى تماما .. ربما هناك شىء آخر لا يعرفه .. وربما يخضع للطب النفسى لكن كل هذا الصراخ والعويل وتغيير الصوت والنظرات المخيفة التى تملأ الإنترنت عن المس إنما هى مجرد هراء صاف .. ولكن ..



زيادة على الأعراض السابقة بدأت امرأته الوديعة الجميلة تتوحش ..

تصرخ صراخا مجنونا طوال الوقت ..

تتشنج وتتلوى على الأرض وهى تعوى كالذئاب، ثم تشد خصلات شعرها بعنف حتى تنز دما من جلدها الممزق .. ثم تفيق من نوبتها لتنهار باكية !

طوال الوقت كان يرغمها على تناول المهدئات .. رغم كل ما يحدث تمسك بأمل واهٍ فى أن تشفى بمفردها كما تفعل الجروح .. والقشة التى قصمت ظهر البعير أن دلف للمطبخ صباح يوم رمادى كئيب؛ ليجدها جالسة على الأرض بجوار فتحة البالوعة .. تمسك صرصارا صغيرا بأناملها .. وتضعه فى فمها !

تجمد مكانه فى ذهول واتسعت عيناه لحظة ثم صرخ من المشهد المقزز؛ فالتفتت إليه بعينين دمويتين تماما وصرخت هى الأخرى وارتمت على الأرض تتشنج بعنف والزبد يخرج من شدقيها ..



أسرع واتصل بالإسعاف .. لحسن الحظ كانت الوحدة الطبية قريبة منه .. خمس دقائق وكان المسعفون داخل منزله .. عندما وصلوا للمنزل ودلفوا للمطبخ معه هدأ جسدها من التخشب فجأة واعتدلت مبتسمة وسألته فى براءة :

- من هؤلاء الرجال ياحبيبى ؟

اتسعت عيناه من الدهشة وهو ينقل نظره بينها وبين المسعفين .. كانت نظراتهما له تحمل سبابا خفيا، بينما يملؤه شعور بالدهشة والخوف والإحراج .. ومن باب تأدية الواجب قاموا بإجراء كشف طبى سريع عليها ليجدوا أن كل شىء على مايرام .. ضغط الدم وضربات القلب مثاليان واستجابة بؤبؤ العين رائع ! لا شىء غير طبيعى على الإطلاق .. زوجته سليمة للغاية وكأنما خلقت لتوها .. حتى شعرها الثائر صار ناعما انسيابيا جميلا ليس هائشا كالأيام السابقة !

إذن .. ما الذى .. ؟



يومها انصرف المسعفون ساخطين وكأنما عدم وجود مريض يتلوى هو إهانة لا تغتفر .. عاد (حسن) لزوجته الوديعة التى لم يجدها وديعة على الإطلاق !

سحنة زوجته انقلبت فى بشاعة وأخذت تزمجر فى غضب وتحرك كتفيها وهى تنفخ الهواء بثورة، ثم دخلت حجرتها وأخذت تصرخ فى جنون ..

طفح الكيل .. لم يكن يستطيع التحمل أكثر من هذا ولا يدرى كيف يخرجها من المنزل لزيارة طبيب، ولم يعد أمامه حل إلا أن ذهب لعيادة طبيب نفسى وحكى كل شىء وهو شبه منهار ..

الطبيب الوقور ذو الكشف الأسطورى أفتى بأنها مصابة بحالة هيستيرية عنيفة جدا وربما هناك كهرباء زائدة فى المخ أيضا .. ولو لم يتم التعامل معها حالا فلربما تفاقم الوضع وحاولت إيذاء نفسها وأطفالها إيذاءا بالغا .. بل وربما قتلت أحدهم أو أنهت حياتها بيديها فى نوبة من نوباتها !



باختصار : وجودها فى المنزل خطر داهم على حياة الطفلتين وحياته وحياتها الشخصية .. لا بد أن توضع تحت الرعاية الطبية المتخصصة والملاحظة الدقيقة لفترة لا تقل عن شهر كامل ..

كان (حسن) يستمع للطبيب وهو يشعر بغصة فى حلقه .. لم يدر بخلده يوما أن تذهب زوجته لمستشفى المجاذيب ! لذلك سأل الطبيب عما إذا كانت هناك خيارات أخرى .. أدوية مثلا أو .. أى شىء .. لكن الطبيب هز رأسه نفيا فى بطء ..

إذن .. لا خيار ..

ولكن كيف سيتم نقلها للمستشفى ؟

مد الطبيب يده وفتح درجا جواره مخرجا قنينة صغيرة بها سائل أصفر رائق وأعطاه إياه .. نظر نحوه (حسن) فى تساؤل فأخبره الطبيب بهدوء أن هذه القنينة تحوى منوما قويا جدا جدا لا يعطى إلا لمثل هذه الحالات .. فقط يفرغ ما فيها فى أى شىء



تتناوله وستسقط فى سبات عميق لا يقل عن سبع ساعات متواصلة، ثم يتصل بالطبيب فى أى وقت وسيأتى له من فوره مع فريق طبى يقوم بنقلها للمصحة ..

يا الله .. كم هى مهمة شاقة على قلبه ..

يومها ترك العيادة وسار فى شوارع القاهرة ليلا وهو يشعر أن الدنيا أضيق عليه من زنزانة القسم الذى يعمل فيه ..

يشعر بالاختناق .. يكاد يبكى ..

لا يصدق أن يحدث هذ الأمر بالذات معهما .. كيف سيتحمل أن يحمل حبيبته رجال غرباء ويذهبوا بها بعيدا ؟

كيف ؟

عندما دلف لمنزله كان قد اتخذ قراره بنقلها اليوم للمشفى إذ أنه لا داعى للتأخير .. صنع له ولها مشروبا



من الفاكهة وبضع شطائر وأفرغ القنينة فى مشروبها .. لحسن الحظ أنها كانت هادئة نوعا تلك الليلة ..

وضع أمامها الطعام وهى جالسة على الأرض تزوم وتهوم برأسها .. نظرت له وللطعام وتناولت شطيرة وقضمت منها قضمة ثم رمتها على الأرض وضحكت ناظرة للسقف ، ثم عادت تزوم ..

مد يدين مرتجفتين بكوب العصير لها وهو صامت .. ماذا يقول ؟

نظرت للكوب بشزر وبدت كأنما ستطيح به حالا وهو ينظر لها فى ترقب صارخ يملأ وجدانه .. هيا .. رشفة واحدة فقط .. هيا ..

وعلى غير عادتها التقطت الكوب وتشممت العصير ثم رفعت نظرها له بنظرة غريبة للحظات .. رباه .. هل اكتشفت شيئا ؟

وما لبثت أن تجرعته كله مرة واحدة بطريقة لم يعدها فيها من قبل !



ثم تجشأت !

بصوت قبيح جدا قامت بالتجشؤ أمامه !

ألقت الكوب بعيدا ليتحطم بصوت عال وعادت لتزوم فى مكانها وعيناها مثبتتان عليه ..

من العجيب أن تخاف بهذه الدرجة من شخص لم تكن تحب أكثر منه فى حياتك !

نهض من مكانه متوترا يجمع الزجاج المتناثر ثم يغسل يديه والأطباق ريثما يفعل هذا المخدر مفعوله ..

دقائق مرت عليه فى المطبخ ثم سمع صوتا غريبا .. بدا له وكأن هناك قط يزوم فى الخارج .. نظر من فرجة صغيرة من باب المطبخ ليجد زوجته نائمة فى مكانها وتزوم كالقطط الغاضبة !

تقدم منها بهدوء حذر وأخذ يهزها .. يتعالى صوتها العجيب لكنها نائمة تماما ..



أخذ نفسا عميقا وأخرج هاتفه المحمول .. تردد ثوان ثم اتصل بالطبيب يرجوه بصوت مختنق أن يأتوا لأخذها الآن ..

لقد نامت .

أنهى الاتصال ثم أصطحب طفلتيه المذعورتين للطابق الأسفل حيث تعيش أمه وأخواه وطلب منهم ألا يفتحوا الباب مهما سمعا لأنه سينقل زوجته للمستشفى .. كان يؤلمه ان يرى أى منهم حبيبته ترحل فى سيارة المجانين .. تذهب لمصحة نفسية ..

- الأطباء قادمون ليأخذوا (نهى) للمصحة..

قال جملته بهدوء وثقة، عندما وجد أخته تتقدم منه بهدوء ومدت يدها تمسح دمعة حارة تنحدر على وجنته دون أن يشعر بها !

ارتفع حاجباه فى دهشة .. يبكى ؟ ودون أن يشعر ؟



غريب .. لم يعلق بحرف، وإنما استدار عائدا إلى شقته .. صعد بهدوء وصنع لنفسه كوب قهوة وجلس فى الشرفة منتظرا الطبيب الذى لم يتأخر ..

لم يجروء حتى أن يحمل زوجته بعيدا عن جلستها المخيفة .. تركها كما هى تزوم حتى لمح سيارة الإسعاف قادمة من بداية الطريق .. انتظر حتى وقفت السيارة تحت منزلهم ولمح الطبيب يخرج ومعه ممرضان قويان ..

انتظر حتى صعدوا إليه وبهدوء دلفوا للشقة ومعهم تلك الطاولة التى يقيدون فيها المرضى، وبدءا يتعاونان فى حملها ووضعها على المحفة باحتراف ..

وفجأة ..

فتحت الزوجة عينيها لتحدق فيهم بعينين حمراوين كالدم من أثر المخدر ..

وبدأت تصرخ ..



تصرخ بعنف وكأنما يتم تمزيقها حية ..

تصرخ بعنف وكأنها تبغى تمزيق حبالها الصوتية ..

بسرعة قيدها الرجلان فى المحفة بينما صرخ الطبيب فى الضابط :

- ألم تعطها المخدر الذى معك ؟ ألم تعطها إياه ؟

اتسعت عينا الضابط وسط الصراخ الهيستيرى الرهيب وتلعثم .. الموقف غريب .. أومأ برأسه أن نعم ولكن ..

ساد الصمت فجأة !

نظروا لها ليجدوها تحدق فى الضابط (حسن) وتقول بصوت مبحوح :

- " أكرهك .. أنا أكرهك .. سأسحبك معى لقلب الجحيم .. زوجتك سترحل وأنا سأبقى هنا "

ثم سقط رأسها على المنضدة مغشيا عليها ..



لم يهتم من ينقلونها كثيرا وكأنما رأوا هذا الموقف آلاف المرات، بينما ارتجف الضابط (حسن) .. ما معنى هذا الكلام ؟ غالبا هى تخاريف مجنونة ..

تخاريف ..

مجنونة ..

ألقى ماحدث فى ركن مظلم من عقله وتابع الرجال وهم يدلفون بها بهدوء لسيارة الإسعاف، بينما ظل هو فى الشقة ينظر لهم من الشرفة حائرا لا يدرى ماذا يفعل .. يشعر بالخواء التام .. ضياع يشبه ضياع طفل فى الزحام !

يشعر بالهواء راكد ثقيل لا يكاد يتحرك .. دار حول نفسه دورة كاملة يحدق فى اللاشىء، ثم بخطى بطيئة سار نحو مقعد كبير وتهاوى عليه ..

وبكى ..



لم يبك منذ وفاة أبيه .. ربما حتى فى بكاء أبيه لم يبك بهذه الحرقة .. ترك لنفسه العنان وبكى كالأطفال الصغيرة وأخذ ينشج بصوت عال .. من قلبه صدرت آهة كتمها بوسادة جواره ..

زوجته ..

حبيبته ..

ذهبت وربما لن تعود أبدا ..

من يمرضون فى عقلهم لا يعودون كما كانوا قط ..

من يجن يظل مجنونا للأبد ..

كالموت .. ولكنه أقسى على قلبه ..

ظل فى مكانه قليلا يفرغ مشاعره، إلى أن شعر بعينيه ثقيلتان للغاية ولا يستطيع رفع جفنيه .. نهض بتثاقل وتجاهل جرس الباب الذى يدق بإصرار ودلف لحجرة نومه ليستلقى على الفراش بكامل ثيابه، استغرق فى



نوم عميق مباشرة يلتمس الرحمة والهروب من الألم النفسى المروع ..

لكن حتى النوم لم يكن رحمة .. هاجمته كوابيس عنيفة طوال الليل ..

رأى نفسه سائرا مع زوجته فى قلب الظلام وهناك صوت صراخ متتال .. لكنه - رغم خوفه - يستمر فى المشى وهى خلفه بمقدار خطوتين .. يريد أن يمد يده ويمسك يدها لكنه لا يستطيع .. يلتفت إليها ليجد الأرض تتشقق وتتكسر تحت قدميها كأنها قشور ،ثم تظهر فتحة عميقة .. يتخذ خطوة ثقيلة للوراء ينجو بها بالكاد لكن زوجته تهوى ..

تصرخ باسمه فى لوعة ..

عيناها تملآن المشهد أمامه كلها خوف وذعر ..

عينا إنسان يموت ..



ومن أسفلها ظهرت نيران حمراء متأججة تخرج منها أياد كثيرة جدا ..

وهو عاجز عن الحركة تماما ..

يريد أن يصرخ فلا يستطيع .. يريد أن يتحرك فلا يقدر .. بالكاد يحرك قدما و ..

استيقظ فجأة مبللا بالعرق مجهدا محطم الجسد يشعر وكأنما كان يجرى منذ أيام .. إرهاق عنيف يكتنفه ..

نهض متعبا يفرك وجهه متأملا شقته الكئيبة الغارقة فى الظلام .. كم تغيرت الشقة فى أيام من النور والمرح وضحك الفتيات والمداعبة للظلام والكآبة والصمت ..

والخوف ..

نهض متثاقلا مع نسمات الصباح الأولى .. ظل جالسا بضع لحظات على فراشه ثم فكر أن يأخذ حماما دافئا



ربما ينتعش قليلا، ثم ارتدى ملابسا مريحة وغادر شقته لشقة أمه فى الأسفل كى يطمئن على ابنتيه ..

ما أن دلف حتى جرت إليه الفتاتان تحتضنانه بشدة بينما يخرج من فى الشقة لاستقباله مرحبين يتصنعون الابتسام على وجوههم .. شهق وهو يشيح بنظره عن تلك الابتسامة القبيحة التى طالما يكرهها .. الابتسام فى وجه من حدث له مصيبة كنوع من الشفقة !

جلس مترددا فى الصالة ووضعت أخته جواره شيئا دافئا يشربه وشطيرة ما أخذ يلوكها فى آلية، ثم بدأت أمه القعيدة وأخواه يستفسرون منه عن سبب عدم رده على الهاتف أو باب الشقة وهو يجيب بلا وعى أنه كان مرهقا ونائما .. صراحة هو لا يدرى فعلا ماذا قال ولا حتى ماذا أكل أو شرب معهم بالضبط .. هناك ذهول عام يكتنفه كمن تناول طنا من المخدرات وحده !

ومع أنه لم يكن فى حال تسمح بالذهاب للعمل، إلا أنه نهض مستقلا سيارته كى لا يترك نفسه فريسة الأفكار



السوداء التى تهاجم عقله بوحشية ..

* * * *

فى هذه الحالة المزرية كان الضابط (حسن) يجلس أمام مكتبه شاردا يفكر فيما حدث !

كان صامتا لا يدرى ماذا يفعل بالضبط .. آخر قضية أنهاها منذ أيام وليس هناك شىء يشغله حقا .. ربما بعض الأوراق الروتينية ولكنه لا يستطيع أن يمسك قلما .. صورة زوجته وهى تهبط على المحفة تملأ وجدانه وتؤلم قلبه وتظر أمام عينيه كلما حاول التشاغل عنها .. بينما هو كذلك جاءه جندى يخبره أن المأمور يريده حالا ..

رفع عينين مرهقتين نحوه للحظة ثم أومأ برأسه إيجابا فى صمت .. لحظات ثم نهض فى تثاقل متوجها لمكتب المأمور .. هو لا يريد الذهاب للمأمور .. ليس لديه الذهن الصافى على الإطلاق لأى مهمة على الإطلاق .. ليس الآن .. لكنه بالطبع لا يمكنه تجاهل الأوامر .



بخطى متثاقلة توجه نحو مكتب المأمور .. طرق الباب ودلف للمكتب مباشرة، ثم وقف لثوان بعدما ألقى التحية التى لم يسمع ردا عليها وينظر للمأمور فى تساؤل .. كان المأمور يمسك بفأرة الحاسوب وينظر للشاشة الكبيرة أمامه بنظرة تنم عن قلق شديد .. ربما خوف أيضا .. لا يدرى .. لم ير هذه التعابير على وجهه من قبل ..

طلب منه المأمور الجلوس أمامه ففعل، ثم ببطء أدار الشاشة حول محورها تجاه الضابط ليرى ما يراه المأمور ..

* * * *

كان فيديو قصيرا لا يتعدى الدقائق العشر مصور بدقة عالية، ويبدو أنه موجود على اليوتيوب كما تشير الصفحة .. كان المأمور قد أعاد الفيديو إلى لحظة البداية، ورفع الصوت قليلا ثم ترك (حسن) يشاهد ما أمامه ..



بالفعل كان الفيديو من موقع اليوتيوب كما خمن من النظرة الأولى .. سقط نظره على التاريخ ليجد أنه تم رفعه منذ ثلاثة أيام فقط ..

بداية كانت الشاشة ثابتة لا تتحرك، وتظهر شخصا عاريا راقدا على ظهره فاقدا للوعى وموثق بقوة على لوح خشبى كبير، وقد قام من وثقه بالمباعدة بين قدميه .. وما بينهما عند نهاية اللوح يوجد منشار دائرى ضخم مما يستخدم فى مصانع الخشب ..

ما لبث أن تململ الشخص الممدد .. حرك رأسه يمينا ويسارا ببطء وهو يتأوه من فرط قوة الأربطة التى توثقه ..

كان الضابط حسن يشعر بالتعجب .. أيستدعيه المأمور ليشاهد فيلما ؟ الجو العام ليس مصريا على الإطلاق .. رفع عينين متسائلتين للمأمور، لكنه واجهه بإشارة من يده أن يستكمل مشاهدته ..



بالفعل كان الفيديو من موقع اليوتيوب كما خمن من النظرة الأولى .. سقط نظره على التاريخ ليجد أنه تم رفعه منذ ثلاثة أيام فقط ..

بداية كانت الشاشة ثابتة لا تتحرك، وتظهر شخصا عاريا راقدا على ظهره فاقدا للوعى وموثق بقوة على لوح خشبى كبير، وقد قام من وثقه بالمباعدة بين قدميه .. وما بينهما عند نهاية اللوح يوجد منشار دائرى ضخم مما يستخدم فى مصانع الخشب ..

ما لبث أن تململ الشخص الممدد .. حرك رأسه يمينا ويسارا ببطء وهو يتأوه من فرط قوة الأربطة التى توثقه ..

كان الضابط حسن يشعر بالتعجب .. أيستدعيه المأمور ليشاهد فيلما ؟ الجو العام ليس مصريا على الإطلاق .. رفع عينين متسائلتين للمأمور، لكنه واجهه بإشارة من يده أن يستكمل مشاهدته ..



الآن الرجل يبدو أنه أفاق تماما .. كان يحرك رأسه يمينا ويسارا فى هلع .. ثم ارتفع صوته فى لكنة مصرية خالصة يتساءل أين هو، ومن الذى فعل به هذا وماذا يريد ..

تعجب الضابط (حسن) .. هل هذا فيلم مدبلج أم ماذا ؟

من جانب الكادر يدلف رجل يرتدى عباءة سوداء تخفى ملامحه تماما .. يسير بهدوء حيث يرقد ذلك الشخص، ثم يخرج سكينا غريب الشكل ويمد يده بهدوء لينقش شيئا ما على صدر وبطن الرجل الموثق .. الضحية يتلوى صارخا فى عنف والدماء تغرق جسده بينما يكمل المتشح بالسواد عمله بلا اهتمام .. يرفع المأمور الصوت قليلا ليسمع الضابط تمتمات غريبة بصوت حامل السكين ، ويعود ليخفض الصوت حتى لا ينتبه أحد ممن فى الخارج لما يحدث ..

ينهى الرجل ما يفعله، ثم يمد يده بطرف السكين نحو عنق الضحية ويثقبها ثقبا صغيرا عند الوريد،و يمد



يده بكأس يملؤه بالدم !

كان الضابط (حسن) يشعر بالتوتر يتصاعد داخله .. هذا ليس فيلما .. اللقطة ثابتة لا تتحرك والتصوير ليس سينمائيا .. هذا تصوير تم بهاتف أو بكاميرا صغيرة وحسب ..

صب الواقف شيئا ما على الدماء ومزجها ثم .. جرعها دفعة واحدة !

الضحية مازال يصرخ فى جنون ، بينما وقف الآخر جوار المنشار الكبير وهتف :

- سيدى .. اقبل قربانى لك .. جابورى ماتيكاتسو لوسيفرى .. دع إت هاشامايم فإت ها إيرص يفرحان بقرباننا لك .. هااايل سااااتاااان !

ومن جواره اشتعلت نار حمراء مخيفة وظهر جوارها رجل آخر يرتدى نفس الزى لم يكن ظاهرا فى الظلام الكثيف، وما لبث الأول أن طعن الراقد خمس طعنات



ببطء فى أماكن متفرقة مع تلويه وتألمه البالغ، بينما تناثرت قطرات دم على شفتيه ..

تركه وتوجه خارج الكادر ثم دوى هدير المنشار القوى، وبدأ اللوح الخشبى يتحرك تجاه المنشار ببطء قاسما إياه نصفين .. بداية بالخشب الذى يوجد فيمابين قدمى الرجل .. صراخ الرجل المقيد بكلمات التوسل الواهنة غير المفهومة يتصاعد أكثر وأكثر حتى مس المنشار جسده ما بين قدميه وتناثر رذاذ الدماء على وجه الضحية وسط صراخه البشع !

شعر الضابط (حسن) بأحشائه تتقلص .. على الرغم من مشاهدته لمئات الأفلام السينمائية إلا أن هذا المشهد يبدو ..

حقيقيا ..

رفع عينين ملتاعتين للمأمور، فوجد وجهه محتقنا متوترا وأومأ برأسه له كى يستكمل مشاهدة الفيلم ..



لكن لم يستطع الضابط (حسن) إكمال المشاهدة .. فقط كان يختلس النظرات بين الحين والآخر ليرى المنشار يشق الرجل نصفين ببطء .. صوت الإزيز الرهيب مع صراخ الرجل يمزق أعصاب الضابط (حسن) تمزيقا ..

وصل المنشار لبطنه .. بدأ الضحية يهمد نوعا وإن ظل يحرك رأسه يمينا ويسارا من فرط الألم ..

صدره .. عيناه فقط تدوران من الألم وهو ينظر إلى الشاشة .. يبدو أن وعيه ينسحب ..

عنقه ..

فكه ..

وسرعان ما انفلقت رأسه نصفين ..

أكمل المنشار عمله لنهاية اللوح، ثم سقط كل جزء بما عليه من نصف رجل جانبا ..



وتوقف المنشار ..

مرت لحظات سكون، ثم ارتفعت يد أمام الشاشة بلوحة مكتوب عليها :

(الضابط حسن) ..

ثم أظلمت الشاشة تماما ..

* * * *

ساد الصمت برهة .. مد المأمور يده فى صمت وأدار الشاشة إليه فى توتر وسأل الضابط (حسن) بصوت مبحوح :

- ما رأيك ؟

لم يكن يدرى ماذا يقول .. أخذ نفسا عميقا وزفره فى قوة ثم تساءل :

- لا أدرى حقا .. يبدو كل شىء حقيقيا للغاية .. المشهد العام يشير بشدة لعبدة الشيطان، لكنهم لم يكونوا قط



بهذه الدموية العنيفة أمام المجتمع .. ربما هو مجنون ما يحاول فعل شىء مثير أو .. لا أعرف .. ومن (الضابط حسن) الذى يريدونه بالضبط ؟ أنا أو شخص آخر ؟

أومأ المأمور برأسه بحركة لا معنى لها قائلا :

- هذه جريمة حقيقية بالفعل ليست تصويرا سينمائيا ولا ندرى بالفعل من المقصود .. هناك الآلاف من الضباط اسمهم (حسن) .. الأمر صدر بالبحث عن القاتل وتولية بعض الضباط الذين يحملون اسم (حسن) تحديدا هذه القضية فى الدوائر التى تم فيها القتل !

صمت المأمور لثوان وتراجع فى مقعده الوثير ناظرا للسقف محاولا أخذ نفس يزيل به ما يجيش بصدره، ثم قال :

- على كل هذا الفيديو هو الفيديو الثالث .. تم اكتشاف موقع هذه الجريمة بالأمس فى مصنع خشب



بمنطقة نائية من القاهرة .. لكن الفيديو نفسه تم بثه عبر الإنترنت أمس الأول .. خبراء المعمل الجنائى توصلوا إلى أن هذا المشهد تم تصويره بكاميرا هاتف محمول عادية مثبتة على شىء ما .. وهذا الفيديو مع الآخرين تم رفعهم على اليوتيوب من حساب مجهول .. اكتشفنا وجود القاتل بعد الفيديو الثانى عندما تقدم عدة مواطنين ببلاغات ضد فيديو بشع منتشر عبر اليوتيوب والفيس بوك .. تلقينا البلاغات وبدأنا العمل فورا لتتبع المصدر، لكن من قام برفعه استخدم شبكة عالمية معقدة بحيث أنك لا تستطيع قط الوصول له .. كل مرة توصلنا النتيجة لمكان مختلف فى دول أخرى .. بالأمس فكرنا بطلب المساعدة من الأمن الأمريكى .. هم لديهم التكنولوجيا المتطورة التى يمكنها مساعدتنا، لكن تم رفض الاقتراح خشية أن يرفضوا ويذيعوا الأمر أو يقبلوا ويفضحوا الأمر .. أنت تعلم حبهم للإعلام خاصة مساعداتهم للدول البسيطة مثلنا، لذلك فالموضوع مازال فى طى الكتمان .. ولكننا فى مأزق !



صمت ثوان، ثم استطرد :

- نحن فى مصر غير معتادين على هذه الأمور .. لا يوجد لدينا قتلة متسلسلين أو جرائم بلا هدف أو عبدة شيطان .. ومن الواضح أن هذا الرجل مجنون تماما وعلى قدر كبير من الذكاء بحيث يصعب تتبعه فعلا .. أيضا هو سادى يتمتع بالتعذيب والقتل .. وهو يريد من الضابط (حسن) أيا كان من هو تحديدا شيئا ما ..

الأدهى أننا لا نستطيع التنبوء بخطوته القادمة قط .. لا يوجد أى رابط بين الجرائم من أى نوع .. مثلا الرابط الزمنى .. الفارق بين الجريمة الأولى والثانية حوالى أسبوع .. وبين الثانية والثالثة يومان فقط ! لا ندرى أين ستكون الضربة القادمة ولا متى ..

كما لا يوجد رابط شخصى بين الضحايا سوى اسم (حسن) الذى يذكره فى نهاية الفيديو، ومن الواضح أنك لا تعرف أيا من الضحايا .. الأول طبيب والثانى طالب بسيط والثالث كما سمعت فى إدارة المرور ..



أيضا الأماكن متنوعة، وإن كانت كلها مغلقة .. حتى طريقة القتل نفسها مختلفة .. فقط تتشابه فى أنها تحمل طابعا طقسيا كما شاهدت ..

ثم مد المأمور يده باسطوانة مدمجة للضابط (حسن) وقال له :

- خذ هذه .. عليها الجرائم الثلاثة وتقارير المعمل الجنائى وكل ما تم التوصل إليه .. ستنضم فى العمل للضابط (أيمن العايدى) .. هو متولى البحث فى هذه القضية منذ فترة قريبة، وقد طلب الضابط (أيمن) وجودك معهم لأنك قضيت وقتا طويلا فى الولايات المتحدة تدرس الأساليب الجنائية وحتما ستكون خلفيتك الدراسية هذه مفيدة لنا فى إنهاء هذا الموقف، وأيضا اسمك (حسن) .. وهو ما قد يكون مفيدا بشكل ما .. ربما هو فى النهاية يريد أى (حسن) ! وغير ذلك كله أنا أثق فى عقليتك وذكائك .. عليك أولا بفحص هذه الجرائم جيدا ومتابعة التقارير الواردة من المعمل الجنائى، وإذا توصلت لشىء



فبلغنى به فورا .. فقط تذكر لا أحد يعرف أى شىء عن هذه القضية غيرك أنت وزميلك .. فقط ..

أومأ الضابط (حسن) برأسه فى صمت وهو يدير الأسطوانة بين أصابعه فى شرود .. كانت شتى الأفكار السلبية تعصف به .. أهذا وقت قضية جديدة مع كل ما يمر به فى المنزل ؟

انتزعه من شروده الوليد صوت المأمور قائلا :

- تستطيع الانصراف الآن .. خذ بقية اليوم أجازة لو أحببت، وخذ غدا أيضا لو أحببت .. لا أريدك أن تعمل أمام أى شخص هنا ..

أومأ الضابط (حسن) برأسه فى شرود ثم نهض من مقعده .. من داخله يتصاعد صراخ عنيف أن ليس هذا وقته أبدا .. ليس هذا وقته .. حتى الأجازة ليس هذا وقتها !

أدى التحية للمأمور، ثم توجه لباب الحجرة خارجا فى هدوء ..



سار بضع خطوات فى الخارج وقرر أن يمضى بعض الوقت هنا .. على الرغم من إرهاقه الغير مبرر فهو لم يكن يرغب فى الذهاب لمنزله مباشرة توجه لمكتبه وطلب كوبا من القهوة وجلس يحدق فى الاسطوانة شاردا .. لم يكن يشغل باله حقا سوى زوجته .. هل هى مريضة حقا ؟

أم أنها .. ؟!

رأى الضابط (أيمن) صديقه جالسا جواره منهمكا فى شىء ما .. (أيمن) دائما ما يصدق فى هذه الخرافات وطالما تحدث عن العفاريت والجن والشياطين الذين يظهرون له ولكل الناس من حوله طوال الوقت ! ربما كان مفيدا أن يأخذ رأيه ؟

رغم كل شىء الاحتمال وارد .. هكذا نهض من مكانه تجاه صديقه (أيمن) وجلس جواره، ثم سأله بنبرة حاول أن تكون مازحة لكنها خرجت متوترة حزينة رغما عنه :



- (أيمن) .. هل مازلت تصدق فى الخرافات ؟

نظر إليه (أيمن) مدهوشا بضع ثوان ثم ضحك ضاربا كفا بكف وقال له :

- من يراك اليوم لا يظن أنك تفكر فى هذه الأشياء ..هل تريد أن تحضر عفريتا أم تريد أن تصرفه ؟ لو تريد أن تصنع حجابا لكى تمتلك قوة الثور وقلب الأسد فحبة زرقاء تكفى ودعك من الشيخة خديجة المغربية !

ابتسم (حسن) وقال :

- أنا لا أصدق فى هذا الهراء .. لكنى أتعرض للهراء بشدة فى منزلى هذه الأيام .. اعتبر أنى (أفضفض) معك فقط .. زوجتى تعرضت للوثة عقلية، وهناك من يقول أنها بحاجة لشيخ وليس لطبيب نفسى .. انا أعرف أن هذا هراء بيّن، ولكنى ..

أومأ (أيمن) برأسه إيجابا فى تفهم وهو يقول :



- أعرف شعورك وأفهمك .. ربما كان الموضوع جادا وهناك أمل حتى فى الخرافات البعيدة .. هل سمعت عن الشاب الذى أتى لنا بالأمس بعدما قتل زوجته ؟

قاطعه الضابط (حسن) قائلا :

- ذلك الفتى الذى جاء فجرا تقصد ؟

أومأ (ايمن) برأسه إيجابا .. ثم قال :

- كان منهارا ولم يحقق أحد معه بعد .. مما سمعناه منه يقول أن هناك الكثير من (الهراء) فى حكايته .. ربما تحب أن تجلس كمستمع أثناء التحقيق ؟

لم يكن الضابط (حسن) يريد أن يكون موجودا حقا .. ولكنه يريد أن يستوثق .. ربما يريد تزجية الوقت .. أى شىء أفضل من العودة للمنزل والسقوط فريسة الاكتئاب ! لذلك قال له كاذبا :

- نعم بالتأكيد ..



- إذن .. هيا بنا ..

* * * *

فى غرفة التحقيقات جلس الضابط (حسن) وزميله (أيمن) فى ركن بعيد يتابعان ما يقال من المتهم :

هذه حكاية حقيقية .. لا أحد يصدقنى ..

كان المتحدث شابا فى الثلاثينات .. نامى اللحية .. زائغ العينين .. مبعثر الشعر والثياب، بينما كان المستمع أمامه شابا فى الثلاثينيات أيضا، لكنه يرتدى حلة أنيقة وربطة عنق فاخرة . .ذقنه حليقة وشعره مرتب بعناية ..

كانا جالسين أمام بعضهما فى غرفة التحقيقات .. الأول كان متهما بقتل زوجته، والثانى كان ضابطا ذا رتبة عالية على الرغم من سنه الصغير نسبيا ..

تراجع الضابط الشاب فى مقعده وهو يشبك يديه أمام وجهه ويقول للمتهم :



- أعتقد أن لا خيار أمامك سوى سرد الحقيقة لى بالكامل الآن .. ثم سنتناقش لاحقا حول ما ستحكيه ..

نظر له الشاب بعينين زائغتين، ثم قال بشرود :

- حسنا .. إن ما حدث هو :

كان الأمس يوم زفافى .. عدت للمنزل بعدما كتبنا عقد الزواج ثم تجولنا جولة سريعة فى النيل .. كنت فرحا كما لم أفرح من قبل، وسرعان ما كنا فى قلب شقتنا ..

هذه الشقة أنهينا العمل بها منذ عام تقريبا ولم ندخلها إلا قليلا، لكن كان هناك عدم ارتياح عام منى ومن زوجتى وممن عمل فيها من نقاشة وسباكة وغيرها، حتى أننا قررنا تغييرها لاحقا ..

المهم أننا جلسنا فى شقتنا بعد رحيل المهنئين، ودخلت زوجتى لتبدل ملابسها، بينما أبدلت ملابسى بسرعة فى حجرة الجلوس، وأشعلت شمعتين استعدادا لعشاء رومانسى طالما حلمت به ..



ولكن .. كان هناك شعور غريب ..

أشعر أن هناك من يتنفس جوارى ..

أشعر بأجسام تتحرك فى مجال بصرى البعيد، فإذا نظرت لا أجد شيئا !

أشعر بقشعريرة خفيفة تنتابنى بين الفينة والأخرى ..

أشعر بالانقباض .. والخوف ..

دفعت ذلك الشعور العجيب فى تلك الليلة بالذات، ثم توجهت للحمام لأغسل وجهى ويدى سريعا ..

وهناك .. نظرت لوجهى فى المرآة .. ثم راودنى شعور رهيب أن هذا ليس أنا ..

بالرغم من أنى أرى وجهى، إلا أن انعكاس الصورة كان يحمل تعابيرا مخيفة ..

غضب ..



مقت ..

شر ..

وفجأة انتفض جسدى بعنف، وأحسست بكل شعرة فى جسدى تنتصب ..

عيناى امتلأتا بالدمع فجأة ..

هناك شىء ما غير طبيعى .. أسرعت بالخروج وشفتاى تلهجان بذكر الله .. وفى غمرة توترى وجدت زوجتى تخرج على استحياء من غرفة النوم .. لحظتها نسيت كل شىء عن خوفى ..

خرجت جميلة ورقيقة .. بصوت عذب سألتنى :

- ما رأيك ؟

لم أدر ما رأيى فى ماذا بالضبط، لكنى همست مبتسما :

- جميل ..



قرنت كلمتى بخطى نحوها كلها شوق، حين سمعت هذا الصوت جوار أذنى ..

صوت خافت للغاية .. لا أستطيع أن أصفه .. صوت كالزئير أو الزمجرة .. صوت غاضب ..

توقفت مكانى فجأة وأحسست بقلبى ينتفض .. نظرت تجاه زوجتى وجدتها تبتسم .. لم تسمع شيئا ..

هنا تذكرت .. لقد تناولت دواءا ما أعطانيه صديقى لأستخدمه فى هذه الليلة .. لقد تناولته منذ نصف ساعة، فهل يسبب الهلوسة ؟

ربما ..

تناسيت الأمر، وأكملت خطواتى نحو زوجتى، ثم حملتها وأخذت أدور بها .. وسرت حاملا إياها حتى وضعتها على كرسى السفرة برفق وجلست جوارها حتى نتناول طعامنا ..



من جديد شعرت بتيار بارد يخترق جسدى .. ولست أدرى لماذا رفعت عينى نحو اللوحة المعلقة .. نحو الصورة المرسومة بدقة لى مع زوجتى معا ..

دق قلبى فى عنف واتسعت عيناى ذعرا .. والسبب أن العيون التى فى الصورة مفزعة ..

مخيفة ..

أشحت بنظرى عنها تجاه زوجتى لأجدها تمضغ الطعام بهدوء وعلى استحياء ولا تلاحظ شيئا ..

عاودت النظر نحو الصورة وامتلأ قلبى خوفا مرة أخرى فوجهت نظرى بعيدا، وبجهد كبير قلت لزوجتى هيا لنأخذ حماما دافئا ينسينا عبء اليوم، لكنها رفضت فى خجل .. وطلبت منى أن أنتظرها ريثما تنتهى من حمامها وحدها ثم أتناول أنا حمامى ..

أومأت لها إيجابا وأنا أبتسم، وقبلت يديها وتابعتها بنظرى وهى تنهض .. ثم نهضت أنا لأحضر الراديو ..



يجب أن أستمع لإذاعة القرآن الكريم .. أحتاج أن أسمعها ..

وضعت القابس فى المطبخ، وأخذت أبحث عن القناة .. هاهى .. ارتفع صوت الشيخ (رفعت) الرخيم يملأ جنبات الشقة وامتلأت نفسى ارتياحا، ثم خرجت لأجمع أطباق السفرة، وفجأة تناهى لسمعى صوت الأغانى بدلا من القرآن الكريم !

تجمدت فى مكانى ودق قلبى فى عنف .. أخذت أتمتم أن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وعدت للمطبخ لأجد المحطة قد تغيرت وحدها !

مددت يدى لأقلب القناة وأعيدها لإذاعة القرآن الكريم لكن ..

كأنها اختفت !

غير موجودة على الإطلاق !



وبينما أنا واقف حائرا انتفضت على صوت صراخ زوجتى ..

* * * *

جريت بسرعة للحمام، وفتحت الباب لأجد الكابوس ..

زوجتى على أرض الحمام متشنجة فى وضع مستحيل، وأصابعها متخشبة، ورقبتها منحنية للأسفل بحيث تجعل رأسها فى وضع مقلوب ..

وتحدق نحوى مباشرة ..

دون أن تهتز .. ولا حتى رمش يتحرك ..

وهناك صوت طقطقة يصدر منها دون انقطاع ..

عندما رأيتها صرخت وتراجعت خطوة للخلف .. منظر عينيها كان مخيفا مخيفا .. أكثر شىء مخيف رأيته فى حياتى ..



فى لحظة أدركت ما حل بها .. صرخت بالاستعاذة لكنها لم تتحرك ..

تقدمت نحوها خطوة مرتجفا .. همست باسمها ، لكنها فجأة تحركت حركة متخشبة وزامت ..

ثم بدأت تتلوى على الأرض وتزحف نحوى .. تصرخ وتحرك رأسها فى عنف حين انقطعت الكهرباء فجأة فى هذه اللحظة ..

لم أدر بنفسى حين صرخت وصرخت، ودون تفكير جريت على باب الشقة وفتحته لأصطدم بنور السلم الساطع فوقفت مكانى أفكر .. هل أعود ؟

نظرت خلفى للظلام السائد فى الشقة، ثم قررت أنى لا يمكننى العودة بمفردى .. سأنزل لأطلب العون من أى ساكن لأن الشقة التى بجوارى لم تكن قد سكنت بعد، فهرولت حافيا على السلم لأنزل ..

ونزلت ..



ثم فوجئت أنى أنزل نحو شقتى ذات الباب المفتوح !

الظلام يبدو داخلها كظلام القبر .. ظلام أسود مخيف لم أر مثله فى حياتى قط !

مستحيل .. كيف أنزل طابقا من شقتى لأجد أنى أهبط نحو شقتى ؟

ارتجف على السلم وسمعت صوت صراخ وطقطقة يأتى من داخل الباب مباشرة .. ظللت واقفا مكانى أرتجف لا أعرف كيف أتصرف .. من الرعب لم أكن أملك القدرة على المرور من أمام باب الشقة ..

أشعر أن قلبى سيتوقف الآن من شدة الفزع ..

جسدى كله يرتجف .. جاء فى خاطرى أن أعكس اتجاهى وأصعد لأعلى ربما أستطيع الخروج من هذه المتاهة الشيطانية .. استدرت لأصعد، وهنا وجدت ذلك الشىء واقفا على السلم بانتظارى ..

كفن بداخله شخص أو .. جثة ؟!



لم أستوعب المشهد جيدا من النظرة الأولى ثم دق قلبى بعنف وأنا أتأكد ..

نعم .. كفن واقف منتصب على السلم أمامى .. كفن كما رأيته مرارا يغلف الذين توفوا .. توتر جسدى أكثر وانتفضت ..

أمامى كفن واقف على السلم !

ويزوم ..

ويتلوى ..

وينتفض ..

ويرتجف ..

ويتقدم خطوة ..

صرخت وصرخت وجريت إلى الشقة ودلفت إليها هاتفا :



- ياااارب انقذنى .. يااااارب ..

ومع كلماتى عاد الضوء فجأة، لأجد أنى أحدق فى وجه زوجتى مباشرة يكاد وجهها يلتصق بوجهى ..

وجه رقيق جميل تبكى وتنشج بخوف، وبصوت حزين رقيق مزق قلبى قالت :

- تركتنى وحدى وهربت ؟

ترك .. تنى .. هااا وهربـ ـبـت ؟

كانت تنشج بصورة هيستيرية .. ببطء اقتربت منها وأنا مازلت خائفا؛ لكن يبدو أنها على ما يرام الآن .. يبدو أن هذا الذى دخلها خرج منها ..

أخذت أتلعثم وأنا لا أدرى ماذا أقول؛ فاقتربت منها ببطء، واحتضنتها بحذر، وسرعان ما ضممتها لصدرى وهى تبكى وتبكى .. استكانت المسكينة فى صدرى تماما تفرغ مشاعرها وأشعر بحرارة جسدها الخائف ،حين رأيت زوجتى خارجة من الحمام !



خارجة تمسك رأسها فى ألم وتترنح ببطء، وسمعت الضحكة البشعة فى أذنى بصوت مبحوح، ثم ذابت تلك التى كانت فى يدى فجأة ..

اختفت ..

واقتربت زوجتى - التى خرجت من الحمام لتوها - منى بخطى متعثرة ..

سألتنى فى خفوت عما حدث وهى تنظر للأرض ممسكة برأسها ..

صرخت وتراجعت خطوة للخلف لكنها تقدمت منى أكثر بخطاها المرتجفة ..

رفعت عينيها نحوى وكانت .. كانت عيناها تلك العينين المفزعتين ..

تراجعت للخلف أكثر على حين كانت مشيتها تتغير ..
إنها ..



ليست زوجتى ..

توقفت فجأة لتدور حول نفسها قبل أن تكمل السير المتصلب نحوى .. ماذا تفعل تلك الفتاة .. بصوت غريب سألتنى :

- هل أنت خائف ؟

لم أرد .. فقط أخذت أردد بضع آيات مما أحفظ، ورغما عنى ارتفع صوتى ..

وجدتها تقف مكانها متصلبة .. أنزلت يديها ثابتة كأنها تمثال وتحدق نحوى بكراهية لا حدود لها، ثم همس الصوت الغريب من داخلها يأمرنى أن أتوقف ..

لم أتوقف ..

وفجأة وجدت النيران تشتعل فى مقعد جوارى وهى تصرخ :

- توقاااااااااااااف ..



- توقاااااااااااااااااااااااااف ..

- توقااااااااااااااااااااااااااااااااف ..

لم أتوقف ..

كل شىء حولى يتطاير ويصطدم بالحائط ويتكسر ..

زوجتى رفعت يديها لأذنيها وهى ماتزال تصرخ :

- توقاااااااااااااااااف ..

- توقاااااااااااااااااااااااف ..

ثم انهارت على الأرض فاقدة للوعى ..

وصمت كل شىء ..

لم يتغير شىء .. ولم يتكسر شىء .. ولا نيران ..

لا شىء !

زوجتى ملقاة على الأرض .. وأنا واقف أتصبب عرقا ..



والضوء يتذبذب ..

قررت أن أترك الشقة وأخرج وليكن مايكون .. أنا وحدى لن أستطيع فعل موقف قوى .. أريد أناسا معى .. هكذا استدرت لأذهب نحو باب الشقة ..

كنت أشعر بالفزع كما لم أشعر من قبل .. هناك رغبة عارمة أشمها فى الهواء أن .. يتم أذيتى أنا وزوجتى !

أشعر بالشياطين حولى فى كل مكان ..

من فرط الفزع لا أكاد أستطيع أمشى .. لكنى سأخرج ..

وقبل الباب بقليل وجدت يدين تحيطان بقدمى !

يدا زوجتى ..

نظرت نحو لأجد رأسها المقلوب ينظر نحوى .. تلك النظرة المخيفة ..

وعيناها ..



يا الله الرحيم ..

هنا فقدت أعصابى ..

صرخت بانهيار وأنا أحاول أن أحرر أقدامى .. حررت قدمى اليمنى و ..

أخذت أركلها ..

وأركلها ..

بعنف كأعنف ما يكون ..

لم أكن أنا الذى يركلها .. لم أكن فى وعيى ..

ولم تكن هى التى ..

سمعت قرقعة العظام ..

رأيت فكها وهو يخرج من مكانه ..

وعندما أحسست بقبضتها ترتخى من حول قدمى أسرعت بالخروج من باب الشقة .. وهرولت للشارع ..



هذه المرة نزلت دون أن أرى ذلك الكفن، ونزلت للشارع مباشرة .. وعندما رأيت الناس لم أكن أستطيع التحمل أكثر ..

صرخت وأشرت للشقة ثم فقدت الوعى ..

عندما أفقت وجدت نفسى فى المستشفى مقيدا إلى السرير .. ووجهوا لى فيما بعد تهمة القتل العمد .. ضرب مبرح أفضى إلى موت ..

الجيران صعدوا ورأوا جثة ذات رأس محطم وفك مخلوع .. صعدوا عندما رأوا الدماء على الخف السميك الذى كنت أرتديه ..

وبالطبع لم يصدقنى أحد ..

* * * *

أنهى المتهم كلامه ووضع رأسه بين كفيه وأجهش بالبكاء ..



لم يدر الضابط الشاب الذى يستجوبه ماذا يقول .. ياله من موقف ..

ويالها من قصة كئيبة مفزعة ومخيفة مقبضة .. سوداوية بشكل لا يصدق !

أمر بإعادة المتهم إلى الحجز ، بينما استأذن (حسن) و (أيمن) للخروج هما أيضا .. وبينما هما سائرين قال (أيمن) :

- تقرير الطبيب الشرعى المبدئى قبل التشريح يؤكد أن الزوجة ماتت من الضرب .. ويؤكد أيضا أن هذا المتهم قد تناول جرعة من مخدر يسبب الهلاوس .. فهل هذا ما حدث هنا ؟

شرد (حسن) بشدة فى هذه الكلمات وشعر بالدوار .. هلاوس ؟

هل يمكن أن تكون الهلاوس من القوة بحيث تدفع إنسانا لقتل إنسان ؟



هل هذا المتهم من الممكن أن يكون بريئا ؟

قاطع (أيمن) شرود الضابط (حسن) وهو يسأله :

- ما رأيك أنت فيما سمعته ؟

وضع الضابط (حسن) يده على جبهته وهو يقول :

- لا أعرف .. تبدو كقصة فيلم رعب ردىء من التى يضحكون بها على الأطفال .. ربما هو مظلوم، وربما هى هلوسة بالفعل .. لا أعرف .. بالفعل لا أعرف، لكنى لا أصدق فى وجود الجن والشياطين وكل هذا الهراء .. لو سلمت أن ماحدث إنما هو بسبب قوة خارقة، فلماذا ؟

صمت برهة بينما (أيمن) يحاول أن يفكر فى إجابة مقنعة، لكنه أردف سريعا :

- عموما أنا أشعر بإرهاق عنيف يكتنفنى .. سأذهب الآن ..



بدا على (أيمن) الاندهاش وسأله :

- إلى أين ؟ المأمور سيعلقك لو عرف أنك رحلت الآن ..

ضحك (حسن) وهو يهمس :

- إلى منزلى طبعا .. أجازة مفتوحة يا صديق !

* * * *



الفصل الثانى

(الخوف)..

افعل ما تمليه عليك نيتك .. افعل ما تشاء .. هذا هو القانون !

أليستر كراولى 1938

لا يدرى (حسن) كيف قاد سيارته للمنزل .. هو لم يشعر بتعب كهذا طوال حياته .. وصل لمنزله وركن بطريقة غريبة لم يبال حتى بوضعها جيدا، ثم دلف من البوابة للحديقة الصغيرة المحيطة بالمنزل بخطى متثاقلة .. كانت أمه العجوز تجلس فى الحديقة على مقعدها المتحرك شاردة فى بعض الأزهار .. عندما رأته ابتسمت ورفعت يدها محيية إياه .. ربما كانت تريد منه أن يأتى ليجلس معها يؤنس وحدتها قليلا، لكنه لم يكن فى حال تسمح بأى شىء .. تقدم منها خطوات ورفع يدها يقبلها بابتسامة صارع كى يرسمها على شفتيه، لكنها ماتت رغما عنه بعد ثوان .. كانت تسأله



عن أشياء كثيرة لا يفقه منها حرفا .. كيف حاله وأخبار زوجته ربما .. لماذا عاد من عمله باكرا هكذا .. رفع رأسه عاليا وأخذ شهيقا آلم صدره واعتذر لأمه أنه يريد النوم ..

وبخطى متثاقلة تركها تدعو له ودلف للمنزل ثم صعد للطابق الثانى ..

شقته ..

أدار المفتاح فى الباب ودلف بهدوء للشقة الخالية المظلمة .. لاح لذهنه قصة المتهم التى سمعها منذ قليل وضرب قلبه قليل من الخوف سرعان ما انزاح أمام ألم فراق زوجته وإرهاقه العجيب مازالت طفلتاه تقيمان عند أمه بالأسفل، ويبدو أنهما ستعيشان هناك الفترة القادمة ..

الظلام يكتنف الشقة .. عاد يشعر بانقباض عجيب يكتنف صدره .. ولأول مرة فى حياته شعر بالخوف من أن يبقى وحيدا .. مد يده وأضاء النور، لكن



الإضاءة بدت كئيبة قاتمة .. هل غياب زوجته يفعل كل ذلك ؟

بحركة طفولية أضاء كل مصباح فى طريقه لحجرة النوم، وما أن دلف إليها حتى ترك جسده يستلقى على فراشه الوثير بملابسه .. يشعر بفراشه من تحته يهتز .. يتأرجح .. أذناه تصفران ..

أخرج هاتفه من جيبه بالكاد، ثم اتصل بالطبيب المعالج .. ثوان وأتاه صوته المرحب .. سأله عن حال زوجته، فرد عليه :

- فى الواقع .. لو لم أر نوبة من نوباتها بالأمس لما صدقت ماهى عليه الآن .. امرأة رقيقة طبيعية تماما .. بل وديعة جدا كذلك .. قامت فى الصباح وأخذت حماما دافئا وتناولت إفطارا خفيفا، ثم جلست فى الحديقة تتمتع بأشعة الشمس .. هى تدرك أنها هنا للعلاج وتحاول التأقلم مع ذلك على الرغم مما يبدو عليها من ملامح الحزن .. منذ قليل ذهبت إليها وألقيت عليها عدة دعابات فضحكت فى تلقائية



شديدة .. هذا شىء غريب لأنها استعادت طبيعتها الرقيقة فجأة وكأنها لم تكن مريضة قط .. والغريب أيضا يا حضرة الضابط أنها لا تذكر شيئا مما حدث فى المنزل على المستوى القريب والبعيد !

بل هى لا تذكر أنها لم تكن تستحم، بل بدت متعجبة للغاية من قلة استحمامها هذه وهى عاشقة الماء .. كانت تعلم أنها فعلت أشياءا كثيرة غير منطقية لكنها لا تذكر شيئا محددا ..

كان الضابط (حسن) يستمع إليه فى مزيج من الدهشة وعدم التصديق والفرحة .. انتظر حتى أنهى الطبيب كلامه، ثم سأله ما إذا كان بإمكانه محادثتها .. ما أن سأله حتى خيل إليه أن ضوء الحجرة يتذبذب وأنه سمع ما يشبه الزئير الخافت ..لكنه كان فى حال تسمح بكل الهلاوس الممكنة وكان يدرك ذلك ..

انتظر على السماع ثوان، ثم أتاه صوت زوجته الرقيق .. شعر بالراحة وكأن يدا أزالت ما على قلبه من هم .. كانت تحدثه برقتها التى طالما عشقها .. أخذت تبثه



اشتياقها له، وأخذ يحدثها عن حبه لها .. لأول مرة منذ فترة طويلة يبتسم .. أنهى معها المكالمة بكلمة (أحبك) وقبلة عبر الهاتف ..

لم ينتظر حتى تعطى الهاتف للطبيب بل أغلقه مباشرة .. الآن لا يريد شيئا إلا أن ينام بعدما سمع صوتها .. فقط أغلق الهاتف وأغمض عينيه وغرق فى سبات عميق ..

سبات أسود بلا أحلام هذه المرة ..

* * * *

من مذكرات واعترافات (ريم) :

انتقلنا أخيرا للمنزل الجديد .. ياله من كابوس هذا النقل .. أمى تصيح طوال الوقت، وترى أنى كسولة لا أفعل شيئا ..

وعندها حق .. أنا لم أطلب أن أنتقل لهذا المنزل، وأكرهه .. لا أريد أن أفعل فيه شيئا؛ لذلك غالبا أضع



سماعات الهاتف على أذنى طوال الوقت .. لا أريد سماع صراخها المزعج ..

طوال الوقت تصرخ ..

والحقيقة أيضا أنها أصبحت تصرخ كثيرا منذ جئنا لهذا المنزل .. لا أعرف لماذا أكرهه على الرغم من أنهم اعتنوا بكل تفاصيله .. كل شىء فيه جميل حقا، خاصة الحديقة الصغيرة، لكن يبدو أنى لا أحب التغيير وحسب ..

على كل حال فاليوم هو اليوم الأخير للنقل .. الرجل الذى اشترى شقتنا القديمة أعطانا مهلة شهر كامل نقلنا أثاثنا ومتاعنا فيها ورتبنا هذا المنزل الجديد، ومن اليوم لن نرى شقتنا القديمة مجددا ..

صعدت لاحقا لأرى حجرتى بعدما انتهت .. حجرة رائعة تحلم بها أى فتاة فى سنى .. سرير خاص، ودولاب خاص، ومساحة حرية أفعل فيها ما أشاء بحريتى عكس منزلنا القديم الذى كنت أتشارك فى



حجرة نومى مع أخى الأصغر؛ فلماذا إذن أشعر بهذا الانقباض فى صدرى ؟

لماذا لا أشعر بارتياح ؟

تمددت على فراشى قليلا لأختبره ..

رائع .. يغوص بك لأسفل، ويستدعى النوم لعينيك استدعاءا ..

سوف أغمض عينى قليلا وأستمتع بلحظات الراحة هذه ..

أمى تصرخ فى الخارج ..

هذا جيد .. فلأرفع صوت الموسيقى قليلا ..

ظللت هكذا مغمضة العينين بضع دقائق أستمتع بصوت الموسيقى إلى أن شعرت بشىء يتحرك على السرير عند قدمى ببطء .. فتحت عينى فى كسل لأرى ماذا هناك .. لا بد أنه (مصطفى) السخيف يداعبنى



بإحدى حيله السخيفة مثله .. لكنه لم يكن (مصطفى) !

دون وعى صرخت بأعلى صوتى وانتفضت إلى ركن السرير .. بينما ظل هو مكانه ينظر نحوى بعينين حمراوين شريريتين وأطلق زمجرة قبيحة وهو يفتح فمه على اتساعه .. بدا وكأنه يستعد للهجوم على؛ فالتصقت فى الحائط صارخة مرتجفة، لكن أبى اقتحم الحجرة فى هذه اللحظة لينقذنى .. كان حيوانا صحراويا ضخما رمادى اللون يشبه الفأر لكنه بحجم كلب صغير .. ما أن اقتحم أبى الحجرة حتى ولى هذا الحيوان هاربا من الشرفة وهو يزمجر غاضبا .. يبدو أن أبى حرمه من وجبة شهية ..

قفزت من فوق فراشى على الفور لأرتمى فى حضن أبى الذى احتضننى فى صمت ومن ورائه أمى و(مصطفى) لا يكادا يفهما شيئا ..

ربت أبى على كتفى المرتجف فى حنان قوى وقال بهدوء أنه رحل ولن يعود .. هذه الحيوانات جبانة جدا



.. ببطء تركنى وتوجه ناحية النافذة وهو يردف :

- لكن من الآن فصاعدا لا يمكننا فتح النوافذ على مصراعيها قط إلا إذا كنا متواجدين بالكامل حتى لا يتسلل شىء ما خلسة .. علينا فقط أن نكتفى بفتح الباب أمام تلك الشبكة من الصلب التى تغطى النوافذ .. وطلب منى أبى أن أقضى الليلة مع أمى ويذهب هو لينام مع (مصطفى) .. ليت (حسن) كان موجودا معنا، لكنه فى مأمورية ولن يعود من سفره قبل أسبوع من الآن، ثم سينتقل مع زوجته وبنتيه لنا هنا فى الشقة العليا ..

ببطء وأنا أنظر تجاه قدمى هززت رأسى نفيا و رفضت عرض أبى !

لماذا ؟

لأحدث (وسام) طبعا !

لمحت فى عيونهم الدهشة عند رفضى .. أنا شخصية جبانة أصلا، فمن أين لى بهذه الشجاعة التى



ستجعلنى أبيت وحدى بعد كل هذا الصراخ ؟

هز أبى كتفيه وهويسألنى ما إذا كنت متأكدة، وفى نفس الوقت جاء صوت (مصطفى) متسائلا :

- ألن نأكل ؟

هذا الوغد لا يشبع أبدا .. رباه متى سأترك هذا المنزل ..

خرجنا للصالة وتناولنا بعض شطائر التونة والبصل سريعا وعدت لأستلقى على سريرى .. وأخذت أفكر .. على الرغم من كل شىء فمازال جسدى يرتجف فرقا .. كان شيئا غريبا ومفزعا .. فأر عملاق يخرج من تحت السرير ويقف على قائمتيه الخلفيتين وينظر لى نظرة ثابتة بعينيه الحمراوين !

ويزمجر ..

نظرته الثابتة المخيفة .. لا أعرف فيم كان يفكر هذا الفأر .. هل كان سيهجم على ؟



بالفعل كنت أتمنى ألا أبيت وحدى لكنى اشتقت بالفعل لـ(وسام) ..

هذا الفتى الوسم الذى تعرفت عليه فى الكلية .. رباه كم أعشق كلماته وصوته وحركاته .. إنه دوما ما يضحكنى .. لم نرتبط ببعضنا، لكننا نتحدث معا كل يوم .. نسهر ليلا ونظل نتحادث إلى الفجر ..

وجوده معى على الهاتف سيشجعنى .. بشغف فتحت تطبيق الرسائل، لكن لسوء الحظ هو ليس ظاهرا .. بعثت له رسالة تحية وطفقت أتصفح (الفيس بوك) بملل بانتظار أن يظهر .. لكن هذه التونة والبصل مع إرهاق اليوم أصابونى بالدوار .. أشعر بالنعاس يكتنفنى وجفناى ثقيلان للغاية .. ورويدا رويدا سقط هاتفى من يدى، وانزلقت إلى النوم ..

نوم هادىء ..

عميييييييق ..



كأنى محاطة بمخمل أسود رقيق يغلف بصرى وسمعى، ثم فجأة شعرت وكأن هناك شخص يجذبنى بشدة من قدمى لأهوى !

انتفضت من رقدتى لاهثة أحدق نحو قدمى بتركيز ضائع كتركيز من شرب زجاجتين من الخمر، لكن لا شىء غريب فى الحجرة ..

أشعر بالغثيان نتيجة نهوضى المفاجىء والإرهاق اللعين والبصل .. بعينين لا تكادا تريان شيئا ندت منى نظرة للهاتف أبحث بها عن وسام، لكنه لم يظهر بعد ..

انقلبت على جانبى بالكاد لأضع قابس الشاحن فى الهاتف، وما لبثت أن غلبنى النوم من جديد ..

* * * *

الضابط (حسن) :

فتح الضابط (حسن) عينيه على صوت هاتفه متزامنا مع طرقات متتالية على باب المنزل وقد ساد الظلام



فى الشقة تماما منبئا بحلول الليل .. نهض متثاقلا شاعرا بصداع سخيف يكتنف رأسه بعنف .. الدوار يعصف به والغثيان يملأ وجدانه، وعلى الرغم من ذلك سار بخطى مترنحة كى يفتح الباب .. كانت (ريم) أخته الصغرى تحمل بعض الطعام وتقول له بنبرة قلقة أن أمه تريد الاطمئنان عليه .. تناول منها ما تحمله وقال أنه سيآخذ حماما سريعا وينزل لهم .. أومأت برأسها فى رفق وأغلقت الباب فى هدوء بينما وضع ما يحمله على منضدة قريبة .. ضوء السلم آذى عينيه بشدة وشعر بالصداع يتجول داخل رأسه، وعلى الرغم من ذلك فقد ساوره القلق .. هل المتصل هو أمه أم الطبيب أم .. ؟

عاد ليتناول هاتفه ويلقى نظره على المكالمات الفائتة ..

إنه (أيمن) !

ارتفع صوت الهاتف بالرنين مرة أخرى وهو فى يده .. سحب زر الإجابة جانبا وأجاب بصوته الذى مازال



متأثرا بالنوم، فجاءه صوت (أيمن) يصرخ من الجهة الأخرى :

- (حسن) .. هل عرفت ماحدث للضابط اليوم ؟ لقد ذهب لشقة المتهم كى يتأكد مما حدث .. الجيران سمعوه يصرخ ويصرخ، ثم خرج يجرى من الشقة والذعر يملأ كيانه كله .. ولن تصدق ما حدث له ..

لقد فقد النطق يا (حسن) .. فقد النطق تماما .. هل تصدق ؟

أومأ (حسن) برأسه فى عدم اكتراث حقيقى .. لم يفهم مباشرة عن أى ضابط يتحدث .. كان يشعر أن (أيمن) يؤلف عليه أو يكذب ولا فارق .. ليس يدرى بالفعل لماذا يشعر بهذا التبلد .. تظاهر بالاندهاش، وأخبره ببضع عبارات التعجب، ثم أخبره أنه سيتصل به لاحقا كى يستفهم أكثر وأغلق الخط ! بالفعل ليس لديه البال الرائق لمثل هذه الترهات الآن ..



ترك هاتفه ثم أحضر ملابسا نظيفة ومنشفة ودلف للحمام .. الماء الدافىء يغسل آثار اليومين السابقين بالكامل .. كان يشعر بالاسترخاء خاصة بعدما سمع صوت زوجته الحبيبة، وإن كان يملأ نفسه رهبة أنه فى شقته الواسعة هذه وحده .. على الرغم من وجود أمه وأخوته أسفل منه مباشرة إلا أن قلبه يمتلىء بشعور لزج غير مريح بالوحدة والخوف ..

فجأة سمع صوت مدوى لجلبة وتكسير بالخارج .. انتفض وفتح عينيه على اتساعهما مما سمح بدخول الصابون عينيه .. هل هناك أحد بالخارج ؟

أزال الصابون سريعا ولف المنشفة حول وسطه وخرج للصالة المظلمة يبحث بعينيه عن أى فرد ..

لا أحد ..

لكن طبق الطعام مهشم على الأرض والطعام متناثر فى كل مكان كأن يدا غاضبة ألقته على الأرض بكل عنف !



ماذا حدث ؟

هو يذكر جيدا أنه وضعه فى منتصف المنضدة، فما الذى حدث ؟

هرش رأسه المبلل فى حيرة ثم أقنع نفسه أن الطبق انزلق .. لا يوجد تفسير آخر .. نعم .. لا بد أن هذا هو ما حدث، لكن رغما عنه كان يشعر بالخوف .. هناك شىء ما غير طبيعى فى هذا المكان وهو لا يريد الاعتراف بذلك قط !

تمتم بآيات الاستعاذة وعاد للحمام ليكمل ارتداء ملابسه وينزل لأمه العجوز يطمئن عليها ويطمئنها عليه ..

قبل أن يهبط نظر للشقة متعجبا .. كيف امتلأت شقته ظلاما هكذا ؟ لابد أن يحضر فنيا ليرى سبب ضعف الإضاءة هذا ..

* * * *



صعد لشقته بعد ساعة .. على الرغم من ضيقه وخوفه لكن حالته النفسية أمست أفضل بكثير بعدما سمع صوت زوجته مرة أخرى هاتفيا وجلوسه مع والدته وأخويه وبنتيه .. الآن فليركز قليلا فى عمله .. وضع الاسطوانة المدمجة على حاسوبه الشخصى ونقل كل ما بها فى ملف خاص، ثم فتح الملف الأول وأخذ يتابع الجريمة الأولى :

الكادر ثابت .. هناك فتاة مقيدة على منضدتين متجاورتين من مناضد الطعام الدائرية، وهناك منضدة ثالثة عليها ثلاث شموع حمراء وكرسى مخملى من كراسى المطاعم أيضا .. الكادر بعيد نوعا ليلم بالصورة كلها .. الإضاءة خافتة تأتى من شمعدان أسود يحوى شموعا سوداء يتراقص لهبها ببطء، وفى الخلفية يظهر ظِلٌّ ثابت ربما لتمثال صغير .. ظل أسود مبهم المعالم تماما، ومع ذلك تشعر أنه يراقب الموقف بعينين مضيئتين ..

الفتاة تتلوى بعنف وهى تصرخ، ثم يدخل الكادر نفس الشخص الذى يرتدى العباءة السوداء، لكنها هذه المرة



فضفاضة ومن قطعة واحدة كالخمار بدون فتحات عدا فتحة العينين فحسب، بحيث تخفى ملامح وجهه وجسده تماما .. كان يقترب منها بهدوء وفى يده سكين رفيع طويل ..

وقف جوارها بضع لحظات، ثم بصوت هادىء أقرب للحنان سألها ذلك الملثم عن سبب صراخها !

لكنها لم تلتفت له .. عيناها معلقتان برعب بالغ للسكين ..

وتصرخ ..

تتوسل له ألا يقتلها .. تبكى بعنف .. لكن الملثم يدور حولها قائلا بنفس النبرة الهادئة :

- أرجو منك الصمت قليلا .. هو لا يحب الصراخ ..

ثم - بعنف بالغ – حشر كرة صغيرة فى فمها، ولصقه بشريط عريض ..



كانت الفتاة ترتجف بينما أخذ يربت على شعرها .. و يمسح بظهر السكين على خديها وصدرها وبطنها وهى تتلوى وتصرخ وتتوسل بصوت مكتوم ..

ثم اعتدل واقفا .. بدا طوله مخيفا فى عباءته السوداء وهو يقول :

- إنها لعبة .. أحجية .. سيد النور والظلام وضع قواعدا وأعطاك الحياة كى يسلبها وكل واحد يسلم الآخر دوره .. هم يتخيلون فقط، أو هم يعطوننا الواقع بشكل الخيال .. فنستمتع .. هل تفهمين ؟

كانت الفتاة تتلوى وتصرخ بشكل هيستيرى وتحرك رأسها بعنف يمينا ويسارا، وفجأة انهالت منه صفعة هائلة على وجهها جعلت عيناها تدوران فى فزع وهو يسألها مرة أخرى بصوت هادىء :

- هل تفهمين ما أقوله ؟

أومأت الفتاة برأسها نفيا فى فزع وعيناها تذرفان دموعا بشكل عجيب ..



أكمل الرجل بهدوء وهو يدور حولها :

- الحاجة للألم .. أن تتألم .. تتألم عندما يصيبك الألم أو ترى غيرك يتألمون .. أطباء علم النفس يقولون أن ذلك يسبب تطهيرا للنفس .. وأنا أرغب فى التطهير بالفعل .. هو أمرنى بالتطهير .. تطهيرك وتطهير نفسى .. أن تتقربى له وأقرب نفسى إليه ..

لذلك ..

قرن كلامه بأن فك وثاق يدها اليسرى مما سمح لها بحرية حركة جزئية :

- أرغب فى أن ألعب معك لعبة ..

دار حول المنضدة وقام بفك وثاق يدها الأخرى .. ثم التقط السكين ووضعه على صدرها وتراجع للخلف خطوتين ثم قال :

- التطهير يبدأ منك إليك .. طهرى نفسك يرض عنك وأرضى .. أمرنا الساحر أن لديك عشر دقائق كاملة ..



ستمائة ثانية بالكامل لكى تقطعى أحد تدييك بنفسك !

شعر (حسن) بالغثيان من الكلام .. وشعر كأنما هناك ثقل هائل يحيط به .. عاد يتابع ما يحدث :

صمت القاتل لثوان بينما تعالى نحيب الفتاة وأنينها .. وأكمل :

- إذا لم تقومى بهذا فسوف أفعلها أنا عنك يافتاة .. وسنقدم دمك قربانا .. ثقى فى كلامى أنت لا تريدين أن يحدث ذلك .. أنا لا أملك إلا الطاعة وأنت كذلك ..

الاختيار اختيارك ..

ابدأى ..

ورفع يده يضغط زر ساعته .. تعالت همهمات الفتاة من تحت الكرة التى تحيط بفمها بتوسلات وأنين بينما هو يقف مراقبا إياها من بعيد ..

- بقى تسع دقائق ..



تعالى صراخها المهمهم من خلف قيد فمها .. أحس الضابط (حسن) بدقات قلبه العنيفة تكاد تخترق قلبه اختراقا .. الخوف يضرب قلبه بلا رحمة وقد استغرق تماما فى المشهد، وفجأة سمع ما يبدو كهمس جوار أذنه مع صوت تنفس ثقيل !

صوت خافت للغاية أشبه بالفحيح .. كأنه :

- (مااااافووووووييييييسسسسسس) !

انتفض (حسن) فى هلع و التفت خلفه فى توتر يبحث بعينيه عن المجهول حين ..

انقطع التيار الكهربى عن الشقة بغتة ..

نهض من مكانه مفزوعا، لكن شد انتباهه صوت القاتل من الحاسوب وهو يصيح :

- خمس دقائق !



التفت الضابط (حسن) نحو الشاشة فى ارتياع .. خمس دقائق ؟ أين ذهبت الأربع عدات السابقة ؟

جلس مرة أخرى يتابع لكن سيطر عليه التوتر من الظلام السائد ..

الخوف ..

لا ضوء إلا ضوء الحاسوب ..

فجأة أمسكت الفتاة السكين الرفيع وحاولت أن تمر به على تديها الأيمن .. شقت شقا دمويا طويلا أسفل تديها سال منه قطرات دماء ولكن صراخها المتألم علا وأوقعت السكين أرضا ..

هز القاتل رأسه أسفا وقال :

- لقد أوقعتِ السكين .. لا فائدة من استكمال الوقت إذن .. انتهى الوقت بالنسبة إليك ..



انحنى والتقط السكين واعتدل ببطء .. ثم مد يديه ببطء متعمد وأعاد ربط يدها اليمنى على الرغم من مقاومتها الضعيفة، ثم دار حولها ليربط يدها اليسرى .. بالفعل كانت الفتاة تحاول المقاومة لكن قوته بالنسبة إليها كانت كاسحة .. دار مرة أخرى ليكون بمواجهة الكاميرا، ومد يده يمسك ثديها وجذبه، وببطء جر السكين من تحته ..

الفتاة تتلوى وتنتفض وتعوى من الألم، لكنه يسحب السكين ببطء، ثم يعود ويضعه ويسحبه مرة أخرى .. حتى كاد أن ينفصل .. فتركه على هذه الحال، ومد يده يعيد الكرة مع الثدى الآخر ..

بدا أن الفتاة على شفا فقدان الوعى أو هى فقدته فعلا ..

التفت يحضر زجاجة تحوى سائلا أبيضا، ورش منه على وجهها فأفاقت صارخة من فرط الألم ..

وقف جواره بضع ثوان ثم ..



وضع السكين على عنقها وسحب ببطء حول عنقها .. حول الجلد الخارجى فقط .. بينما الدماء تغرق كل شىء .. وعينا الفتاة جاحظتين من فرط الرعب تصرخ صراخا مكتوما وتتلوى .. نظر لها بضع ثوان ثم مد يده ونزع اللاصق والكرة ووضع يده على فمها يكتم صراخها وهو يسألها :

- بهدووووووووء ياعزيزتى .. بهدوووء .. أريدين الحياة ؟

أومأت الفتاة برأسها فى ذعر أن نعم .. قال لها وهو يرفع يده من على فمها ببطء :

- انطقيها ..

صرخت الفتاة بصوت مبحوح :

- أريد الحيااااااة .. أرجوووووووووووك ..

هنا جاءت الصرخة من جوار أذن (حسن) مباشرة أن :



- لا !

وانغلق الحاسوب أمامه بغتة وساد الظلام الدامس !

* * * *

من مذكرات واعترافات (ريم) :

اليوم لم يحدث شىء جديد .. فقط الملل المعتاد المصاحب لنقل جديد، حيث لا تريد أمى أن تهمد للحظة .. طوال النهار ترتيب ثم تنظيم وتنظيم وتنظيم وتطبيق وغسيل وتنظيف و .. طوال الوقت هكذا حتى نهاية اليوم !

ربما هناك لحظات قليلة أختلسها كى أحادث (وسام) لكن لا شىء آخر ..

بعد العشاء دخلت حجرتى، وأحضرت كتابا من كتبى لأقرأ قليلا قبل النوم ..

لكن ..



لا أشعر بالارتياح مطلقا ..

اشعر أنى خائفة .. ولولا السخرية لطلبت من أبواى أو أخى أن أقضى الليلة مع أحدهم ..

تركت كتابى ومددت يدى ألتقط الهاتف ثم أخذت أبحث عن إذاعة القرآن الكريم كى تطرد الخوف من قلبى قليلا .. ظللت أبحث قليلا دون فائدة ..

غريب ..

القنوات الإذاعية كلها موجودة بكفاءة ما عدا هذه القناة ..

أمر غريب بالفعل !

زاد الوجل فى قلبى .. حاولت أن أتناسى هذا الشعور المقبض بأن فتحت لعبة ما تطرد التوتر لكن بلا فائدة .. ثم جاءتنى فكرة .. هناك لوحة كبيرة بها آيات قرآنية بالخارج لم توضع فى أى مكان بعد ..



سأحضرها وأعلقها هنا فى حجرتى حتى تبثنى بعض الراحة ..

هكذا نهضت من فراشى وخرجت من الحجرة لأجد السكون يخيم على المنزل، كما أن الغروب قد انتهى ليسود الظلام .. كانت هناك إضاءة خفيفة تأتى من مصباح صغير فى الصالة لكنها مخيفة أكثر مما هى مطمئنة ..

لماذا أشعر بكل هذا الخوف ؟

خرجت من حجرتى وسرت فى خطوات سريعة وأنا أتمتم بآيات قرآنية حتى وصلت لبغيتى وأخذت أبحث وسط الحاجيات عن البرواز الذى أريده .. ما أن أزحت بعض الكراتين حتى وجدته أمامى مباشرة .. كان ثقيلا لكنى حملته وعدت مضطربة إلى حجرتى، وهناك تنفست الصعداء ..

أشعر بالخوف يؤلم صدرى ويجعلنى ألهث .. لا أعرف لماذا، لكنى فعلا خائفة .. جدا ..



كان هناك مسمار قوى على الحائط علقت عليه البرواز وأخذت اتأمل مافيه من آيات قرآنية .. رؤية كلام اللّٰه وحدها بثتنى الكثير من الاطمئنان ..

نوعا ما ..

يجب فقط أن أزيد الإضاءة قليلا هنا .. لا أحب الظلال ..

هناك زر ثان يضاعف عدد المصابيح فى النجفة .. لكن أبى نبهنا إلى عدم الضغط علي الكهرباء لأننا معتمدون على وصلة لحين تعديل وتركيب العداد .. لقد كان هناك مشكلة كهربائية ما وسيتم إصلاحها فى القريب العاجل .. لكن لا بأس لو ضاعفت الإضاءة الآن؛ فالكل نائم ولا أجهزة تسحب الكهرباء .. ساضاعف الإضاءة ..

ما أن غمر الضوء القوى الحجرة حتى شعرت بارتياح عارم .. تمددت على السرير ناظرة للمصابيح .. ثم أمسكت كتابى وبدات اقرأ ..



بعد مرور لحظات أحسست بتيار هواء بارد يأتى من ناحية قدمى ..

شعرت بالفزع، اعتدلت من فورى لأرى ما هناك .. هناك صوت تكتكة خفيف يأتى من تجاه النافذة ..

النافذة جوارى لكنى لا أجروء على النظر تجاهها .. مرت لحظات صمت وببطء بدأت ألتفت لأرى ما هناك ليسود الظلام فجأة ..

اتسعت عيناى فزعا وشهقت .. ثوان مرت فى قلب الظلام ثم دوى صوت انفجار زجاج البرواز الضخم عندما سقط على الأرض .. ودون وعى أطلقت صرخة عالية ..

* * * *

انغلق الحاسوب بعنف دون أن يمسه أحد وساد الظلام الدامس كما خلقه الله .. مازال دوى الصرخة مسموعا فى أذنه .. تجمد الضابط حسن فى مكانه وارتفعت



دقات قلبه للحد الأقصى وهو يلهث .. أحقا ما سمعه أم أنها محض خيال ؟

الصرخة كانت غائمة مشوشة كأنها ذكرى صوتية هاجمت عقله بغتة .. هل هى تخيلات عقل مرهق فحسب أم أن هناك ..

شىء ما !

لو كانت الصرخة خيال وحسب فكيف انغلق الحاسوب وحده بعنف هكذا !

الظلام الدامس يؤلم عينيه وأذنيه .. يسمع ذلك الصفير المميز مع بسط الظلام لكامل سطوته .. رغما عنه سيطر عليه الرعب وبصوت خفيض تمتم بالاستعاذة، ولدهشته تزامن ذلك مع عودة التيار الكهربى !

مازال قلبه يدق فى عنف والخوف يضرب قلبه بلا هوادة ..



رغم كل شيء فالحاسوب المغلق أمامه يعلن أن هناك شيء ما غير طبيعي يحدث ..الشعور أنه ليس وحده في المنزل .. هناك من يريد إيذائه .. وبشدة .. ارتجف جسده وهو يتأمل حجرة نومه الكئيبة .. لماذا صارت عينا زوجته في صورتهما مخيفة هكذا ؟ بل لماذا صارت صورته في المرآة مثار هلع في قلبه ؟

أخذ (حسن) نفسا عميقا وزفره يحاول طرد توتره ،ثم بدأ يتلو بعض الآيات والأذكار مما يحفظ حتى هدأ واطمأن قلبه نوعا .. نهض متثاقلا تاركا حاسوبه كما هو، وفعل شيئا لم يفعله منذ زمن كبير ..

توضأ وصلى عسى أن يرتاح قليلا من ثقل هموم روحه !

بعدما أنهى صلاته تساءل : لماذا لا أصلي .. لماذا أحرم نفسي تلك المتعة والراحة العميقة ؟!

فرغ من صلاته، ونهض يستكمل الفيديو وقد اكتسب راحة عميقة وزال توتره .. بل يشعر وكأن الشقة



أضاءت أكثر وأكثر .. حتى صورة زوجته لم تعد مخيفة وعادت رقيقة جميلة كما عهدها دوما ..

فتح الحاسوب الذى كان متوقفا عند ذات اللحظة .. ضغط زر الاستكمال وبدأ يتابع :

الفتاة تصرخ أنها تريد الحياة ..

يهمس القاتل بهدوء :

- آسف يا صغيرتى .. لم يكن القرار بيدى قط !

ثم يمرر السكين ببطء داخل رقبتها، تنقطع تحت حد السكين العروق تدريجيا فتنتفض الفتاة ..

صوت احتكاك السكين باللحم والعظم ..

غرغرة الفتاة عندما تنسكب الدماء داخل حلقها ..

صوت الدماء وهى تنصب داخل رئتيها ..

صوت احتكاك السكين بالعظم مرة أخرى ..



دوران عينى الفتاة وهى تموت ..

حتى انفصلت رأسها تماما من مكانها، ورفعه من شعرها لينظر لعينيها المنغلقتين مباشرة .. فتح جفنيها بإصبعين وظل هكذا بضع ثوان ثم وضع الرأس على صدر الفتاة الممزق، والتفت تجاه التمثال المظلم ورفع يديه ضاما قبضتيه مع ثنى الإصبع الأوسط والخنصر فى علامة شهيرة وانحنى نصف انحناءة، ثم وقف ثابتا يتمتم بشىء ما .. لحظات وساد الظلام معلنا انتهاء الفيديو ..

أخذ الضابط (حسن) يحك لحيته النامية عدة مرات وهو يتساءل .. ياترى ما الذى قاله ؟

أعاد الفيديو للنقطة التى كان يهمس فيها ورفع الصوت لأعلى درجة ممكنة .. يبدو أنه يقول : (المجد للنور)، وينطق شيئا ما غامضا بعدها .. حاول أن ينقى الصوت قدر المستطاع .. بالكاد استطاع أن يميز :



- بيت الضابط (حسن) .. الساعة السادسة .. يوم الجحيم !

ماهذا الهراء ؟

أخرج ورقة ودون عليها توقيت هذا الجزء من الفيديو، ودسها داخل جيبه حتى يسأل عنها إن استطاع المعمل الجنائى لاحقا ..

مازال هناك فيديو أو اثنين يجب فحصهما مع بعض التقارير، لكنه أغلق الحاسوب، ثم نهض ليطمئن على زوجته تليفونيا .. مازال يفضل استعمال الهاتف الأرضى القديم .. جاءه صوت الممرض الغليظ، وسريعا ما جاءه صوت زوجته المرح الرقيق تطمئنه أن كل شىء على ما يرام، لكنها تريد العودة للمنزل سريعا .. شعر من صوتها أنها تفتقده حقا، وآلم قلبه أنه كان يفتقدها بصورة لم يتخيلها من قبل .. طمأنها على نفسه والفتيات وأن كل شىء جميل وعلى مايرام .. فقط عليها أن تهتم لنفسها وتستمتع بوقتها ..



بعثت له قبلة فى الهاتف أذابت قلبه تماما .. همس لها أن :

- أحبك ..

ثم أنهى الاتصال .. نهض بعدها متثاقلا كى يعد لنفسه شيئا يشربه ..ربما كوب قهوة مركزة ..

العجيب أنه كان يشعر بالإرهاق يكتنفه تماما .. ويشعر أنه لا يريد أن يستمر فى هذه القضية .. صحيح أنه اعتاد منظر الأشلاء والدماء، لكن هذه الجرائم تحطم الأعصاب فعلا .. هذا الرجل سادى لا يشعر بشىء .. شخص يتلذذ بالتعذيب وإراقة الدماء .. وعلى ما يبدو لا يوجد وازع معين لديه .. هو يحب القتل للقتل .. ربما يغطى الفيديو بلمسة كئيبة تشبه الأفلام الأجنبية من ظلام وملابس سوداء وكل هذا الهراء، لكنه قاتل مجنون فى النهاية .. وبما أنه مجنون فلا بد أن يقع فى خطأ تافه يرشد لمكانه ويكشف عن هويته .. فكر الضابط حسن أن يبحث الآن فى الفيديوهات بتمعن عن شىء جديد؛ إذ أنه - ربما بفحص الفيديوهات مرة



أخرى - قد يتوصل لدليل عن هذا المعتوه .. سيعطى نفسه فرصة واحدة فقط للبحث فى الفيديو القادم، وإن لم يكتشف شيئا فسيعلن انسحابه من هذه القضية وليكن ما يكون .. إنه ليس بالبال الرائق لتولى قضايا كبرى من هذا النوع الآن .. نظر للحاسوب الساكن أمامه .. لا يريد أن يعترف لنفسه بشىء ولكنه بالفعل خائف من المكوث وحده فى هذه الشقة .. ربما لو نزل عند أمه لكان الأمر أفضل من الوحدة وانقطاع التيار الكهربى ..

وسرعان ما حمل حاسوبه وهبط ليدق باب شقة أمه ..

* * * *

من مذكرات واعترافات (ريم) :

فور صراخى العالى جاءنى صوت أبى القوى يصيح متسائلا عما هناك .. لم أستطع الرد على الفور .. وسرعان ما وجدته أمامى يحمل هاتفه النقال يضىء به الطريق ووقف على مدخل الحجرة ينظر للبقايا المهشمة على الأرض .. لم يسألنى عن شىء، إنما بدا



عليه أنه يلعن حماقتى وغبائى الذين وضعانى فى هذا الموقف .. قلت له مرتجفة :

- أبى .. أنا ..

قاطعنى بحسم ساخط :

- لم يحدث شىء .. قدر الله وما شاء فعل، لكن علينا أن نفهم سبب انقطاع التيار الكهربائى الآن .. هل أفرطتى فى استخدام الكهرباء ؟

لم أستطع الرد حقيقة، وأعتقد أن أبى لم يكن بحاجة لسماع ردى .. هنا سمعت صوت هذا السخيف - أخى - يتساءل بصوته المراهق الذى يصيبنى بالغثيان عما حدث وما سبب انكسار اللوحة وعن سبب وجودها فى حجرتى من الأساس ..

لم يرد عليه أحد، فقال فى تهكم أنه ربما لأنى حمقاء ووضعتها على مسمار ضعيف حدثت كل هذه الفوضى ..



كان صوت أخى السخيف يحمل قدرا من الغضب .. كنت أعلم أنه يحب هذه اللوحة بشكل خاص .. قاطعه أبى بصرامة أن لم يحدث شىء، ثم طلب منه أن يخرجا معا ليتفقدا سبب انقطاع التيار الكهربى ..

عندما خرج (مصطفى) مع أبى دلفت أمى لحجرتى وجلسنا معا .. بالفعل كنت أرتجف جوارها من فرط الفزع .. أنا أعلم جيدا أنها تخاف من الظلام مثلى، لكن وجودها جوارى أعطانى الأمان الكافى .. بالفعل لا أخاف شيئا قط وأنا فى حضن أمى مع أنى لم أتساءل أبدا عن الكيفية التى ستحمينى بها تلك المرأة الهشة الرقيقة !

كان الظلام ثقيلا للغاية على الرغم من كشاف هاتفينا أنا وأمى .. أعنى أنه ثقيل يكبس على أنفاسنا فلا نستطيع التنفس ! كل شىء ثقيل مسموع بوضوح حتى صوت نفسينا، فاقترحت أمى أن نخرج لنقف فى الشرفة قليلا .. وافقتها فى وهن متحمس .. الوقوف فى الشرفة أفضل فعلا من المكوث فى هذه الحجرة الخانقة ..



رويدا رويدا وعلى ضوء كشافى الهاتفين بدأنا نتحرك نحو الشرفة، لكنى لم أكن مرتاحة أبدا .. أتعلم ذلك الانقباض الذى يعتصر قلبك وكأنما هناك من يمسك به بيديه فلا تستطيع التنفس إلا بالكاد ؟

خطوة وراء خطوة فى الظلام .. الخيال يعصف بعقلى فأكاد أرى أشياءا تتحرك فى الصالة أمامى ..

خيالات فى كل مكان ..

كما أن هناك صوت هسيس أو فحيح خافت للغاية !

وصوت خطوات أيضا .. أو ربما هو صوت خطواتنا ؟

كنت أعتقد أنى موهومة حتى سألتنى أمى فى همس :

- (ريم) .. هل هناك أحد فى الشقة ؟

السؤال كان صاعقا لأنه أكد شكوكى .. كان صوتى يرتجف رغما عنى وفى صعوبة همست :

- لا .. لا أعرف .. ربما كانت .. ربما هذه تهيؤات ..



لكنى أنا نفسى لم أكن مقتنعة بردى .. تجاهلنا خوفنا هذا حتى وصلنا أخيرا إلى الشرفة المطلة على الصحراء السوداء التى يرتفع فيها بنايات سوداء من حولنا .. المناطق السكنية الجديدة التى تعج بالمبانى الفارغة هذه مناطق سيئة ومخيفة .. كم كنت أتمنى أن نكون الآن فى شقتنا القديمة !

كان قلبى يدق دقات عنيفة للغاية .. أشعر بجسدى يرتجف وأتصبب عرقا .. أعرف أن هذه الأعراض أعراض انسحاب الأدرينالين من الدم، لكن لماذا جاء الأدرينالين أصلا ؟

لماذا أشعر بهذا الفزع ؟

ولماذا أسمع صوت ضحكات أو صرخات فى أذنى طوال الوقت ؟

ظللت مع أمى فى الشرفة فى الهواء الطلق نتحادث .. خطر على بالى أن أفتح إذاعة القرآن الكريم على الهاتف هنا ربما نستطيع اقتناص الإشارة لتطمئن



قلوبنا قليلا .. العجيب أنى لم أستطع إيجادها على هاتفى وعلى هاتف أمى قط !

قررت أن أستمع للقرآن الكريم من ملف صوتى كان بالهاتف .. فتحت هذا الملف، وبدأ الصوت المطمئن يدوى من سماعة الهاتف مبددا خوفى وقلقى .. استندت على سور الشرفة وأنا أستمع للصوت الجميل يدوى بآيات الله تعالى ثم ..

ثم أحسست بلطمة هائلة على يدى طار على إثرها الهاتف ليسقط على كومة الرمال أسفل المنزل ويصمت تماما !

أطلقت شهقة فزعة، وصرخت أمى وهى تحدق نحو المكان الذى سقط فيه الهاتف ..

صحت أن أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .. سألتنى أمى عما حدث فأخبرتها بما حدث وأنا أندفع لأغوص داخل جسدها مرتجفة ..



هزت رأسها وقالت بضحك متوتر أنى حمقاء وأنى لابد قد أوقعته من يدى لأنى لم أنم جيدا وكل هذا الهراء .. وسألتنى ما إذا كنت أحب أن أنزل لأحضره !

مستحيل قطعا .. لن أتحرك من هنا أبدا حتى يعود التيار الكهربى .. فليحضره (مصطفى) وهو صاعد .. ووسط سكون الليل هذا بدأنا نتمتم بآيات الله .. وما لبث أن عاد الضوء بعد قليل ..

نزلت مع أمى وقتها وقد عاد الاطمئنان لنا نوعا .. أخذت الهاتف من على كومة الرمال، ثم عدنا للمنزل .. تلك الفكرة السخيفة أن يحضره لى (مصطفى) كانت سيئة .. إنه فضولى وربما فتح المحادثات .. تفحصت الهاتف .. حمدا لله لم يحدث للهاتف شىء ..

لكن .. أقسم أنى سمعت صوت زمجرة خلف أذنى تماما وأنا ألتقط الهاتف ..

تهيؤات .. أعلم ذلك تماما ..

هذا المنزل يؤثر علينا بشكل ما ..



عدنا نقف فى الشرفة نرمق الطريق حتى ظهر أبى وأخى قادمين .. الأمان قادم أخيرا .. كنت أشعر بارتياح لوجودهما معى ..

ما حدث كما فهمت لاحقا أن الكابل الذى يوصل لنا الكهرباء قد انقطع وتزامن ذلك مع احتراق أحد مفاتيح النور الأساسية هنا .. والمخيف أن الاحتراق على شكل دائرة سوداء تحوى خطوطا متقاطعة .. لو أنصفت أو تحليت بشىء من الخيال لتصورت أنه يشبه رأس التيس !

الحقيقة أنى أخشى هذا المنزل بشدة .. أخشاه وأكرهه ولا أريد الحياة فيه .. لست أدرى لماذا لا نتخلص منه فحسب ونبحث عن أى مكان آخر ..

ما أن دلف أبى للمنزل حتى اطمئننا على بعضنا ودلف كل منا لحجرته وأضاء لى أبى ضوءا خفيفا وابتسم ابتسامة مشجعة .. رباه كم كنت أشعر بالأمان فى وجود أبى، بينما جاء صوت السخيف يطلب منى ألا أكسر شيئا آخرا .. عليه اللعنة .. تمددت فى فراشى



وأنا أتساءل هل سيمكننى النوم هذه الليلة مع كل هذا التوتر ؟

ورغما عنى انطبق جفناى ورحت فى سبات عميق أسود ..

و غدا يوم آخر ..



الفصل الثالث

(مفاجآت مذهلة) !

لقد رأيت الشيطان وتعاملت معه وهو يأتى لمن يطلبه ويحقق أمانى من يريد؛ فلماذا لا أقدم له روحى؟ ماذا فعل لك الله على كل حال؟

جورج جابرييل مياس (كاتب مسرحى انجليزى)

(ريم) :

استيقظت من نومى نشيطة ! وقد أثار ذلك دهشتى فى الواقع؛ لأنى لم أنم جيدا بالأمس بعد ذلك الانقطاع الكهربى ..

على كل حال اليوم هو يوم الاستكشاف .. فهذا المنزل أبى قد اشتراه من صديقه بثمن بخس حقا .. كان صديقه متعجلا للبيع، وأبى كان متعجلا للشراء .. وتمت الصفقة .. سرعان ما استعان أبى بمهندس ديكور ليتم المهمة سريعا .. بالفعل غير أبى الديكورات



العامة والألوان الموجودة و أعاد تصميم الطابق الثانى، بينما ترك الطابقين الأول والثالث كما هما بنفس التصميم القديم لكنه أضاف ألوانا زاهية مبهجة على حوائط المنزل .. أما التى فى الطابق الأرض فكانت على المحارة فقط .. كما كان لدينا سطح رائع، وقبو رائع ..

هذا القبو بالذات كنت أنوى أن أسطو عليه بشكل أو بآخر .. قبو يشبه ذلك الذى يظهر فى الأفلام الأجنبية ويصلح تماما لكل شىء .. سيكون ملكى .. لكن (مصطفى) يريد أن يضع فيه طاولة بنج .. وأمى تهتف فى صرامة أن لن يمسه أحد .. وأبى يبتسم ..

حسنا .. سنستكشفه اليوم ..

العجيب أن مع ضخامة المنزل لم نرَ هذا القبو غير مرة واحدة عند الشراء، كما لم نحتج لأن نخزن فيه شيئا حتى الكراكيب؛ لأن المنزل كان ضخما بما يكفى ليبتلع كل مالدينا من أشياء ويتبقى لدينا مساحات فارغة كبيرة ..



فى هذا اليوم أفطرت سريعا مع (مصطفى)، ثم نزلنا سويا للقبو ..

كان القبو رطبا مظلما ولكنه كان فى حالة جيدة .. صحيح أنى أبى لم يمسه، لكنه كان يحمل ذلك الطابع الأووبى الظريف حيث أن الحوائط أصلا هى حجارة المنزل وكنت أحب هذا المنظر كثيرا .. أوقدنا النور لنرى المكان بشكل أوسع ومشينا خطوات بسيطة نستكشف بها المكان .. المكان فارغ تقريبا .. لكن هناك شىء ما وراء هذا العامود هناك ..

جرينا نستكشف ما يوجد هناك فى فضول .. إنه يشبه الحذاء أو هو حذاء بالفعل !

تقدمنا أكثر ..

هناك رائحة غريبة فى الجو ..

تقدمنا أكثر ..

هناك طرف سروال أسود يتبدى من فوق الحذاء ..



وصلنا إليه لنرى المشهد المروع كاملا ..

هذا رجل ميت !

جثة .. فى منزلنا الجديد !

أطلقت صرخة عالية، بينما صاح (مصطفى) فورا على أبى وأمى وهو يتراجع للخلف ..

وما لبث أن جرى لأعلى وهو يصيح أن هناك رجل ميت بالأسفل ..

وتتابعت الأحداث المثيرة بسرعة غريبة بعد ذلك ..

فقد نزل أبى وشاهد الجثة بينما احتضنتنى أمى وهى ترتجف كالعادة وأخى يتقافز فى حماس وهو يتظاهر بالرجولة !

أبى يتصل بالبوليس ..

استجوابات سريعة ..



يحملون الجثة فى كيس بلاستيكى أسود ويرحلون ..

شعرت أن هذا القبو أصبح ملعونا للأبد .. كيف نستطيع دخوله الآن بعدما وجدنا فيه جثة ؟

ما عرفته أن الجثة كانت لرجل أربعينى تقريبا، مات منذ يوم واحد هنا .. كانت وفاته نتيجة جرعة مخدرات مسمومة حقنها لنفسه بنفسه كما ظهر من المحقن الملقى جوار الجثة، ويبدو على محياه آثار فزع وألم شديدين ..

لا شبهة جنائية على الإطلاق .. يرجحون أنه مشرد أو لص تسلل للمنزل ليختلى بنفسه ومخدراته ثم حدث ما حدث ..

العجيب أنه كان قوى الجسد لا يبدو عليه أثر الإدمان قط .. عندما أتذكر شكله أتذكر أنه كان على قدر من الوسامة المغلفة بالسواد .. سروال أسود وقميص أسود وحذاء أسود ..



لكن هذا كله لا يهم .. كيف نستطيع المبيت فى هذا المنزل بعد ذلك ؟

* * * *

جثة فى منزلنا الجديد .. وبعد يوم واحد من وجودنا فيه ..

لكن هناك شىء صغير لم أحكِ عنه لأحد ..

عندما صاح (مصطفى) على أبى وأمى ليهبطا كان قد هرول تجاه المدخل لا إراديا ..

وبقيت وحدى مع الجثة فى القبو ..

كانت عيناى متسعتان .. أخذت أرتجف وأرتجف كما لم أرتجف من قبل، ومع ذلك سيطر على شعور غريب .. يجب أن ألقى نظرة على الجثة .. وحدى ..

وبخطى مترددة سرت نحوها ..



كان رجلا ميتا بكامل ملابسه، مستلق على ظهره يحدق فى السقف بعينين متسعتين وفم مفتوح، ولكن وجهه كان مخيفا حقا .. مخيفا لأنه كان خائفا ..

خطوة أخرى ..

لمحت فى يديه شيئا غريبا ..

كان يقبض على ما يبدو كأوراق .. أوراق قديمة صفراء تبدو وكأنها من الجلد، إذ أن مع قبضته القوية عليها فلا تبدو عليها تلك التجاعيد الورقية المعتادة ..

لست أدرى كيف فعلت ذلك لكنى اتخذت خطوة أخرى تجاهه .. قلبى يدق كالطبل والدوار يكتنف رأسى الآن والسواد يكتنف عقلى .. مددت يدى ونزعت الأوراق من يده .. نزعتها من يده بسهولة على الرغم من قبضته التى تبدو قوية عليها.. فى هذه اللحظة هبط أبواى وأخى ..

بسرعة دسست الأوراق فى بنطلونى وتراجعت مرتجفة ..



ولا تسألنى عن السبب فيما فعلت .. أنا لست شجاعة أبدا ولست مغامرة .. ولا أدرى كيف اقتربت من جثة وانتزعت منها أوراقا !

لكن هذا ما حدث ..

تستطيع القول أنى لم أكن فى وعيى .. وكأنى كنت مسلوبة الإرادة تماما ..

تتابعت الأحداث وكأنى فى غيبوبة .. أتابع بنصف وعى ما يدور حولى حتى انتهى اليوم وانتهى كل شىء ..

مر اليوم .. واحتفظت بهذه الأوراق فى غرفتى .. على الرغم من كل شىء تبدو هذه الأوراق مثيرة .. مثيرة لأنها بالتأكيد تحوى أسرارا ما .. كثيرا ما سمعت عن هذه الأوراق التى تفعل أشياءا عجيبة .. سحر !

بالفعل وقتها كنت أشعر بالإثارة تغزو جسدى ..



ولاحقا فى حجرتى وحدى أخذت أتأمل الأوراق بتأن وانبهار .. بالفعل تبدو أنها تحمل رموزا سحرية ما ..

عندما أنتهى من مطالعتها ويهدأ المنزل قليلا سأبحث عن تلك الرموز والكتابات فى الانترنت .. ربما كانت مفتاحا للسعادة ..

ولكن .. إذا كانت مفتاحا للسعادة فلماذا مات هذا الرجل ؟

يجب أن أعرف ما فى هذه الأوراق أولا ..

تفحصتها قليلا ثم خرجت لنتعشى واقترح أبى أن نبيت سويا هذه الليلة فوافقت على مضض .. سنبيت فى حجرة (مصطفى) كما قال لأنها متسعة ! أنا لا أريد ذلك لكنى لا أملك الرفض .. وجلست معهم قليلا وعدت لأبحث عن الأوراق كى أخفيها جيدا بدلا من وضعها تحت الوسادة هكذا لكن ..

الأوراق اختفت من حجرتى !



على الفور تذكرت أن (مصطفى) لم يكن معنا طوال الوقت .. أعرف يقينا أن اللص هو (مصطفى) ..

ذلك الوغد ..

* * * *

من مذكرات الأب الورقية التى وجدناها بعد وفاته :

هذه إحدى المرات القليلة فى حياتى التى لست أدرى فيها ماذا أفعل .. مع الوقت أتأكد أن شرائى لهذا البيت كان خطئا جسيما .. كم أشعر بالاختناق من هذا البيت .. ثم جثة ؟

من دون كل بيوت العالم تظهر جثة فى بيتى أنا ؟

لا أريد تذكر تلك الليلة السوداء التى قضيناها بعدها .. لم يحدث شىء، لكننا اجتمعنا كلنا فى حجرة (مصطفى) ونمنا ..

كانت (ريم) غاضبة ولا تريد أن تبيت هنا وكنت ألاحظ ذلك لكنى تجاهلته .. افترشنا الأرض ونمنا .. كان نوما



قلقا مليئا بالكوابيس .. وفى اليوم التالى كنت متأكدا من شىء .. أن وجود تلك الجثة كان سببا فى وجود كل تلك المصائب .. نعم .. لا تأتى الجثث إلا بالشر دوما ..

لكن رأيى تغير بعدما حدث ما حدث ..

فى اليوم التالى خرجت زوجتى للسوق القريب بحجة أن تشترى بعض الحاجيات، لكنى كنت أعلم أنها متوترة فحسب وترغب فى الخروج لإفراغ طاقتها السلبية وحسب .. طلبت أن تأخذ معها (مصطفى)، بينما كانت (ريم) نائمة فى حجرتها ..

هكذا جلست وحدى فى حجرة الجلوس أشرب الشاى وأشاهد التلفاز بعينين لا تفقهان شيئا .. كان هناك مذيع يتحدث عن شىء مهم لا أعرفه .. فجأة صمت المذيع تماما، والتفت نحو الكاميرا وظل يحدق فيها وكأنه ينظر إلى عينى مباشرة !



أخذت أنظر إليه فى عجب .. هل هناك مشكلة فى التليفزيون ؟

والصوت أيضا اختفى .. فقط هذا المذيع يحدق تجاهى بنظرة ثابتة مخيفة جدا ..

ثم بدأت تعبيرات وجهه تتغير .. تمتلىء حقدا وكراهية ..

مددت يدى وأمسكت بالريموت وحاولت تغيير القناة .. لا شىء يحدث !

حاولت إغلاق التلفاز تماما من ريموت التلفاز نفسه أو من الآخر .. وأيضا لا شىء يحدث !

هذا شىء مخيف .. قررت أن أنهض لأنزع قابس المشترك كله، لكنى فوجئتت بعينى المذيع تتبعانى .. تجمدت لحظة وانتصب شعر جسدى بالكامل وتراجعت فى رعب لأنهار جالسا مرة أخرى وأنا أرمق عينيه المخيفتين .. هنا فتح فمه على اتساعه وصرخ بصوت رهيب ..



صرخت أنا الآخر وسقطت على جانبى فوق الكنبة أرتجف وأخفى وجهى بيدى وأنا أصرخ أن أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ..

ساد الصمت لحظات، ثم فتحت عينى على هزة (ريم) لى وهى تنادى برفق مشوب بالقلق :

- بابا .. بابا .. ماذا حدث ؟

أأنت نائم ؟ هل كان كابوسا ؟

انتفضت واقفا أرتجف .. لا ليس كابوسا .. مستحيل أن يكون هذا كابوسا قط .. نظرت فى خوف بطرف عينى تجاه التليفزيون .. مازال المذيع جالسا يتحاور مع ضيفه بصورة طبيعية ..

لا تفسير إلا .. هل نمت ودخل الحوار التليفزيونى لعقلى وصنع ذلك الكابوس المتقن ؟

ربما ..



لكنى لم أر فى حياتى قط كابوسا بكل هذا الوضوح !

نظرت إلى (ريم) .. كانت ممتقعة الوجه تبدو خائفة .. سألتها ماذا هناك فجاوبتى أن لا شىء وأنها فقط خافت من صراخى !

كانت تكذب .. أنا أعلم ابنتى حين تكذب، لكنى متوتر الآن ولا أستطيع مناقشتها بالعقل،فابتلعت كلامها واعتدلت فى جلستى ومددت يدى وأغلقت ذلك التلفاز .. لم اعد أستطيع النظر إليه ..

قالت (ريم) أنها ستدخل لتحصل على حمام دافىء منعش يذهب عنها كل هذا التوتر ثم تصنع لنا كوبين من القهوة ..

ابتسمت لها موافقا واسترخيت على الأريكة، وأسلمت عقلى للتفكير ..

هذا المنزل ..



لا بد من تطهير هذا المنزل .. وجود جثة وكوابيس متتالية يتبعه حتما وجود .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

لا بد من أن أحضر أحدا من أهل العلم يطهر هذا المنزل ..حتى ولو كان ما برأسى مجرد خيالات أو خرافات فسوف يريحنى نفسيا على الأقل ..

ليت ابنى (حسن) لم يتغيب عنا هذه الأيام .. هذا الفتى يستطيع التصرف فى كل وقت ..

استغرقت فى التفكير برهة، إلى أن أفقت على صوت صراخ (ريم) يملأ الشقة قادما من الحمام ..

* * * *

(ريم) :

ذلك اليوم الغريب .. كنت جالسة فى حجرتى أبحث عن تلك الأوراق السحرية فى عدة مواقع بعدما استعدتها خلسة من حجرة (مصطفى) السخيف .. هو



أحمق رغم كل شىء وخبأها أسفل درج ملابسه الداخلية .. هكذا استعدتها مباشرة .. استغللت خرج أمى و(مصطفى) اليوم واستعدتها وجلست أبحث عن شكلها أو بعض رموزها على الانترنت .. وقتها خطر لى خاطر ظريف .. سأسحبها (scan) على الحاسوب ثم أعيدها لمصطفى ولنر ماذا سيفعل بها .. أنا أعرف مكانها عنده ولربما كان وجودها عنده أفضل من وجودها عندى .. هكذا سحبتها بالكامل وأعدتها له ثم بدأت بحثى على الإنترنت !

كنت أعتمد على المواقع الأجنبية غالبا لأن المواقع العربية تمتلىء هراءا صافيا وغالبا مسروق من مواقع أجنبية .. كان ذلك حين سمعت صوت صراخ أبى ..

نهضت مسرعة لأرى ماذا هناك، فوجدت منظرا لن أنساه ابدا ..

أبى ..

على الأريكة ..



أمام التلفاز ..

متخشب ..

يفتح فمه ..

ويصرخ ..

عيناه بيضاوان تماما ..

ويصرخ ..

غالبت رعبى، وذهبت إليه بقدمين مهتزتين أهزه لأوقظه ..

ما أن لمسته حتى نظر تجاهى بعينين بيضاوين تماما، ومد يديه يمسك رأسى يقربه من رأسه وصرخ فى وجهى مباشرة ..

وتركنى ..



ثم فتح عينيه الطبيعتين ونظر نحوى فى تساؤل منهك ..

قلبى ..

أشعر أنه سيقف فزعا ..

لا أستطيع التنفس بصورة صحيحة ..

هل كان هذا كابوسا ؟

ولكن ..

أى كابوس هذا الذى يفعل ذلك بالناس ؟

أنا متأكدة من شىء واحد أن هذا المنزل به شىء شرير ..

لكنى لا أدرى ماذا أفعل !

ظللت جوار أبى أطمئن عليه ثم فكرت أن ربما لو أخذت دشا دافئا سأهدأ قليلا وأستطيع بعدها التفكير



بهدوء ..وربما نصنع كوبين من القهوة نشربهما سويا بعيدا عن صراخ أمى وسخافة (مصطفى) .. هكذا أخبرت أبى ثم أخذت ملابسى وذهبت للحمام .. حرصت ألا أغلق باب الحمام، وعلقت ملابسى على المشجب وراء الباب وفتحت الماء الدافىء ..

ثم بدا الضوء يتذبذب !

ما هذا ؟

رفعت عينى لأعلى تجاه المصباح الوردى الجميل لأجد الضوء قد استقر أخيرا ..

ربما كان ذلك الكابل سينقطع من جديد ؟

أخذت نفسا عميقا .. كان قلبى يدق فى قوة ..

أنا خائفة ..

خلعت ملابسى رويدا رويدا بينما الماء ينساب فى صمت داخل حوض الاستحمام .. لقد وضعت سماعة



الدش داخل الحوض حتى أتجنب الضجيج لأنى لا أريد ضجيجا يوترنى ..

ثم سمعت ذلك الصوت ..

تكتة ..

كأن نقط ماء تسقط ببطء على زجاج، أو كأنه ظفر حاد ينقر على سطح أملس .. الصوت يأتى من ناحية المرآة ..

تقدمت بوجل لأرى ماذا هناك ..

لا شىء ..

صورتى من الناحية الأخرى تطالعنى فى خوف ..

خوف شديد ..

إنها تفتح عينيها فزعا ..

حول عينيها يزداد سوادا ..



تتسع عيناها أكثر ..

فمها يتسع ..

تحدق نحوى وتقترب من الناحية الأخرى ..

كل هذا وأنا ساكنة لا أتحرك أصلا ..

بالفعل تجمدت من الرعب .. وفجأة انطلقت دون أن أنظر نحو الباب المفتوح لأهرب من هذا المكان، لأصطدم بجدار سيراميكى بدلا من الباب !

صرخت صرخة عالية وأنا أسقط على الأرض و ..

فقدت الوعى ..

* * * *

(مصطفى) :

عدنا من السوق - أنا وأمى - لأجد كارثة ..



الإسعاف موجود، وأبى منهار، و(ريم) فاقدة الوعى ترتجف وتتشنج ..

سألتها أمى فى جزع ماذا حدث ..

اجابها أنه سمع صراخ (ريم) من الحمام، جرى عليها ليجدها على باب الحمام تتشنج وترتجف وعيناها بيضاوان تماما ..

فطلب الإسعاف ..

وها هم يحاولون إفاقتها .. إنهم يقولون أنها نوبة صرع ..

لكنى أعلم أنها ليست نوبة صرع .. فقط أخشى أن أقول ذلك ..

أختى كانت تتعرض للمس !

* * * *



بعد فترة قصيرة أفاقت (ريم) مما ألم بها .. وكانت لا تذكر شيئا مما حدث .. تقول أنها دخلت لتستحم، ثم استيقظت لتجد نفسها على الأرض وحولها المسعفون .. فقط ..

كانت لهجتها هادئة وغريبة .. أنا متأكد تماما من أنها تعرضت للمس الشيطانى .. لقد صرخت فى الحمام بل وأغمى عليها أيضا .. أليست هذه علامات قوية للمس ؟

عموما لم يجد رجال الإسعاف ضرورة لنقلها إلى المستشفى .. فقط يجب أن تهتم بنفسها جيدا وتتناول وجبة خفيفة من الفواكه .. هكذا قالوا ..

أخذت أمى تحتضنها وتقبلها وترتجف .. لم ننطق .. فقط ظللنا جالسين لعدة دقائق قبل أن نقوم من مكاننا ونناقش ما ينبغى أن نفعله .. كان رأى أبى صريحا أن لا بد من أن نحضر شيخا ليقرأ القرآن فى هذا المنزل ..

هذا المنزل مسكون ..



مسكون !

كنت أعلم ذلك أيضا، لكنى لم أكن خائفا على الإطلاق .. بل كانت هناك أفكار غريبة تدور فى رأسى ..

اقرأ الأوراق ..

اقرأ الأوراق ..

اقرأ الأوراق ..

منذ أخذتها من حجرة (ريم) وطوال الوقت كانت الفكرة تلح على رأسى إلحاحا شديدا ..

فقررت أن أقرأها ..

اليوم ..

* * * *

الأم :



لم يعد هناك شك .. هذا المنزل مسكون .. وسنحضر أحدا ممن يفهمون فى هذه الأمور ..

اتصلت بصديقة لى تعرف رجلا ممن يمارسون هذه الأشياء الغريبة .. وطلبت منها رقم هاتفه ..كى يأتى إلينا ويرى ما يجب فعله بالضبط ..

كنت متعجبة بشدة .. قديما كان الشيوخ لابد وأن نذهب لرؤيتهم ويكتبون أشياءا ويمارسون أشياءا ويطلبون طلبات كثيرة .. أما الآن فهم يأتون بالطلب !

اتصلت بهذا الرجل .. جاءنى صوت وقور فيه الاطمئنان ..

أخبرته بالمشكلة، وأخبرنى أنه لا داعى للقلق إن شاء الله .. أخبرته بالعنوان وأنا أرتجف ..

لماذا أرتجف ؟

بسبب تلك الضحكات الخافتة التى أسمعها طوال المكالمة !



ومما زاد عجبى أن جاءنا ذلك الشيخ بعد ساعتين تقريبا .. رجل وقور ملتح يرتدى بذلة كحلية عليها عباءة بنية؛ أى أنه نموذج رائع لما يعتبره زوجى نصابا !

اتصل بنا هذا الرجل من خارج المنزل، وطلب أن نقابله فى الخارج ولن يدخل الآن ..

كان شيئا غريبا .. لماذا لا يدخل، ولماذا لم يدق الجرس ؟

على كلٍ خرجنا وقابلناه ..

كان كلامه مخيفا .. أخبرنا أنه محصن ولا شىء يستطيع رؤيته أو متابعته لكنهم يستطيعون سماعه؛ لذلك لا يستطيع دخول المنزل حتى لا يتصنتون عليه ..

وأخبرنا أنه يرى بوضوح من هنا أن المنزل يعج بهم .. وأنهم غاضبون يريدون بنا أذى شديدا .. وأننا يجب أن نوافق على مساعدته لو أردنا النجاة مما يحدث ..



طبعا وافقنا .. لن يحدث شىء أسوأ مما حدث بالفعل، فأشار لسائقه الخاص والذى كان معه ديك أسود وبخور ما أن يحضر هذه الأشياء فأحضرها ووقف بها جوارنا .. ثم طلب منا الشيخ ثلاثة آلاف جنيه مقدما !

أرجو ألا يكون نصابا ..

بصوت هادىء مخيف طلب منا ألا نخاف من أى شىء يحدث بالداخل ..

مهما رأينا ..

وأن نمسك دوما بأيدى بعضنا ..

أعطى لكل واحد منا ورقة مكتوب فيها أشياء غريبة .. وطلب منا قراءتها واحدا بعد الآخر .. نظرت للورقة فحفظت ما فيها من نظرة واحدة .. ولا أعرف كيف حدث ذلك؛ لأنى لم أكن من ذوى القدرات التى تستطيع حفظ المكتوب قط خاصة وأنه كلام كثير يصعب حفظه ويصعب قراءته أصلا !



حفظته من نظره واحدة، بل أنا أذكر ما فيها حتى الآن .. كان مكتوبا فيها :

بحق سامواء الملك الكبير..

بحق شارشيدان والجن المأمون..

الوحى الوحى..

العجل العجل..

الساعة الساعة..

بعل بسلاطيل بالعلا بكهو مثل بسبطقوش دكليش هيلوش عيلوش قسما بعاينة بحق الاسم الذى فلق الصخر وأظلم الليل واضاء النهار بعلشاقش أجبنى واسمعى عزيمتى وشم ودخنى وبخورى ..

يا رافيل سلساطيل بعل اصرف اصرف ..

شعرت بالفزع .. كانت الأوراق الأخرى بها مثل ذلك من الكلام غير المفهوم ..



قرأنا مابها مرة بعدة مرة فى سرنا، ثم طلب منا أن نمسك أيدى بعضنا بقوة على شكل دائرة وقف هو فى وسطها، وسرنا معا ببطء نحو المنزل ..

ثم ..

دخلنا معا للمنزل ..

* * * *

الأب :

كان رجلا مخيفا بكل ما يفعله .. ما أن دخلنا معا للمنزل، حتى سمعنا صوت صراخ امرأة .. صراخ مسعور متوحش مخيف ..

صراخ يأتى من القبو ..

نظر لنا الرجل نظرة حادة وصاح ألا نترك أيدينا وأمرنا بالجلوس فورا ..



كنا قد دلفنا للحجرة الأولى فى الطابق الأول؛ وهى حجرة شبه فارغة لم نضع فيها شيئا بعد، وبسرعة جلسنا على الأرض كما نحن فى دائرة متشابكى الأيدى؛ بينما خرج الرجل من وسطنا ورسم حولنا خطا دائريا ثم أشعل البخور فى مبخرته ووضعها فى منتصف الدائرة، ثم طلب منى الإفساح حتى يجلس معنا .. جلس بينى وبين ابنى وأمسك بيدينا ..

وبدأ يتمتم ..

يتمتم ..

أشعر بيديه ترتجفان ..

يتمتم ..

تراب الأرض يهتز..

يتمتم ..

ثم انقطعت الكهرباء ..



ارتجفت ..

كنا قبل المغرب بقليل، لكن مع ذلك كان الظلام كثيفا كأن هناك من ألقى علينا بطانية قطيفية سوداء فى قلب الظلام ! ظلام ثقيل له لون وملمس يطبق على أنفاسنا !

و صوت الظلام يحيط بنا ..

نعم ..

صوت الظلام ولا أدرى كيف !

ومازال الشيخ يتمتم بأشياء لا أدرى ماهى ..

الظلام يكتنف كل شىء حولنا، ولكن دائرتنا بها ضوء وحدها يضىء بالكاد فنرى منه بعضنا البعض ..

ثم سمعنا هذه الخطوات ..

صوت امرأة تضحك ..



خطوات تسير بتؤدة خارج الدائرة ..

خطوات ثقيلة .. مقبضة .. ثابتة .. تسمع من تحتها صوت الرمال على الأرضية ..

نظرت نحو مصدر الصوت خارج الدائرة ..

شاهدت ساقين أنثويتين يعلوهما ظلام تسيران حول الدائرة وتقترب منى رويدا رويدا .. تمر خلف ظهرى ..

أشعر بالرعب، وشفتاى رغما عنى تتمتمان بالاستعاذة بالله .. جسدى ينتفض والشيطان يمر من خلفى ببطء لزج ..

سمعت همسا مخيفا :

- اصمت .. اصمت .. اصمت .. اصمت ..

رفعت عينى لأرى الشيخ جوارى وخلفه الساقان تتراقصان ..



فجأة شهقت (نهى) زوجتى شهقة عالية .. يبدو أنها لم تر المشهد المخيف إلا الآن وكادت أن تترك يدى لولا أنى أمسكت بها بقوة ..

وظل الشيخ يتلو مايقوله فى صرامة وعلى وجهه علامات تركيز رهيب ..

والدخان الخانق للبخور يتزايد ..

وصوت الأقدام يتعالى ..

أحسست بالشيخ ينهض ويترك يدى وجعلنى أمسك يد ابنى ودلف هو داخل الدائرة ثم أمسك بالديك الأسود ! لست أدرى من أين أحضره؛ فلم أره وهو يدخل به .. آخر مرة رأيت فيها الديك الأسود كان مع السائق بالخارج ..

وبسكين قصير حاد فصل رقبة الديك بحركات سريعة، ثم دار حولنا يرش الدماء وهو يتمتم .. رأيت زوجتى تتقزز بينما كانت ابنتى ثابتة متخشبة كأنها تمثال من العاج !



وقتها سمعنا صوت زمجرة عالية مخيفة .. بدأت أشعر بأشياء تحتك بى من الخلف كأنها قطط صغيرة .. كنت أرمق الشيخ طوال الوقت ولا أنظر نحو أى شىء آخر لكن عندما نظرت خارج الدائرة وجدت ..

فئران !

الحجرة قد امتلأت فجأة بالفئران الكبيرة ذات عيون حمراء مضيئة ..

ورغما عنى صرخت بصوت عال .. فصاح بى الرجل ألا أخاف ..كانت عيناه شبه مضيئتان فى الظلام وهو ينظر نحوى .. وتابع أنى طالما فى الدائرة فلن يحدث شىء قط ..

ثم أمر (مصطفى) أن يبدأ ويقرأ ما فى ورقته ..

ما أن بدأ (مصطفى) قراءته حتى علا من لا مكان صوت صراخ امرأة متصل انتفض له جسد ابنى وتوقف عما يقوله ..



نظر له الشيخ بعيون حادة وأمره أن يكمل ..

بصوت مرتجف أقرب للبكاء أكمل (مصطفى) وصوت الصراخ يتعالى ..

ومالبث أن ارتفع صوت كلاب تنبح بصوت عال ..

نباح مخيف .. عال .. وكأنها خلفنا مباشرة وتستعد للهجوم علينا !

أنهى (مصطفى) ما يقرؤه ثم بدأنا كلنا نقرأ تباعا ماهو مكتوب فى أوراقنا .. والصراخ والنباح يتعالى ..

ويزداد توحشا ..

ضربات قلبى تكاد تخرق صدرى .. أشعر وكأنى على شفا نوبة قلبية ..

فجأة كأنما تلقت (ريم) لطمة قوية طارت على إثرها تاركة يد أخيها وأمها لتسقط داخل الدائرة تتشنج وتصدر صوت فحيح متصل .. عيناها سوداوان تماما،



ومن فمها تسيل رغاوى بيضاء شنيعة .. تنظر نحونا وتكشف عن أنيابها بشكل بشع ..

صاح الشيخ يأمر الشيخ بغلق الدائرة بأيدينا عليها سريعا، ثم هبط جوارها وأخذ يتمتم بأشياء غريبة ..

أخذت تتلوى وتتشنج وتنتفض وتنظر نحوه بزاوية مستحيلة .. ثم لطمته لطمة هائلة تدحرج على إثرها على الأرض وهى تصرخ :

- لن تلمسنى .. ابتعد .. ماذا تريد .. ابتاااااعيييييييد !

اعتدل الشيخ فى مجلسه وهو يتأوه ثم قال بصرامة :

- اخرج منها واخرجوا جميعا ..

صرخت بشكل رهيب ثم اشتعلت النران حولنا جميعا بغتة .. نيران لافحة عنيفة مع صراخها العالى المتزايد .. نهض الشيخ وأخذ يصيح بصوت صارم :



- بحق المهالى والعوالى .. بحق عاينة ابنة النور .. بحق الله اخرج من هنا مطرودا للأبد ..

صرخت الفتاة صراخا عنيفا وهى تتشنج على الأرض ولفح النيران الذهبية يتزايد من حولنا ممزوجا بصرخات مفزعة تأتى من كل مكان ومن لا مكان ..

كنت ارتجف وكنا نرتجف .. أخذ الشيخ نفسا عميقا ونفخ فى راحتيه وهو يتمتم بآيات من الذكر الحكيم بصوت عال لم أفهم منه شيئا فبدأت الأرض تتزلزل من حولنا وأحسست بشىء يحتك بيدى .. نظرت لأجد امرأة بشعة تحاول قضم يدى تزامنا مع صراخ الشيخ أن نتماسك ولن نصاب بأذى .. لفح النيران يتزايد والصراخ يتعالى .. تقدم نحوها خطوة وركع جوارها ووضع يده على رأسها فصرخت صرخة عالية أخيرة ثم همدت تماما ..

الصراخ الرهيب حولنا يتعالى .. وجه الشيخ صار ممتقعا للغاية لكنه صاح بصوت رهيب فينا أن نصيح معه :



- يا قوى يا قادر ..

يا قوى يا قادر ..

يا قوى يا قادر ..

والأرض تتزلزل أكثر وأكثر .. التراب ينهال علينا من كل مكان .. اسمع أصوات تكسير وتحطيم أشياء .. أسمع أصوات بذيئة تشتمنا وتيبنا وتتوعدنا بالموت .. ونحن نكمل نداءنا، ورأيت بعدها منظرا بشعا ..

ابنتى .. وجدنا دودة تخرج من أذنها تتلوى بسرعة ..

دودة بيضاء طويلة ..

تتبعها دودة أخرى ..

ومن أنفها ..

وفمها ..

وأذنها الأخرى ..



وهى تتشنج ..

والنباح يتعالى، والصراخ يتعالى من حولنا ..

والشيخ ما انفك يصرخ ونحن معه ..

- ياقوى يا قادر ..

يا قوى يا قادر ..

يا قوى يا قادر ..

الدود يزحف مسرعا نحو خط الدائرة، ويتلاشى فور ملامستها ..

وفجأة اشتعلت النار فى سماء الحجرة فوقنا تماما مع صرخة عظيمة حتى أصبحت النيران تحوطنا فى كل مكان ونكاد نشوى من اللفح الرهيب ..

فجأة اعتدلت ابنتى وتحول سواد عينيها لأبيض تماما وامسكت بطنها، فأمسكها الشيخ ومال برأسها نحو النيران المحيطة بنا مباشرة .. صرخت زوجتى بلوعة



وصرخنا جميعا لكنه لم يهتم وأمال رأسها فى قلب النيران مباشرة ..

فور ملامستها للنار انزاحت عنها على حين أفرغت فتاتى مافى معدتها وكان مخيفا ..

دماء مختلطة بدود أبيض مقزز سرعان ما انساب حول الدائرة التى تحوطنا وهو يفور .. والنيران من حولنا تختفى وصوت الصراخ ونباح الكلاب و.. كل شىء ينسحب ويبتعد ويختفى باختفاء النيران ذاتها .. لحظات وساد الصمت والظلام ولهاث فتاتى ونحيب أمها ..

ثم عاد التيار الكهربائى يغشى أبصارنا فجأة، بينما كانت (ريم) راقدة تلهث مغمضة العينين وجسدها كله يرتجف ارتجافات خفيفة .. وجوارها الشيخ يقف وعباءته تتطاير حوله فى مشهد أسطورى جديد بأفلام السينما، والغبار يملأ المكان حولنا ..



ثوان مرت وما لبث أن جلس الشيخ يلتقط أنفاسه وهو يلهث بشدة ..

مرت ثوان ثم نظر نحونا وهو يبتسم ابتسامة شاحبة وقال :

حمدا لله على السلامة .. تم تطهير البيت !

* * * *

(مصطفى) :

كان شيئا بالغ الرعب ..

ومع ذلك فقد كنت مدهوشا مأخوذا بهذا الرجل مبهورا به .. الرجل الذى يفعل كل هذه الخوارق إنما هو رجل لا يخاف شيئا .. كأنى شاهدت بطلا خارقا حقيقيا من أبطال السينما أمامى ..أعلم أن كلامى يبدو سخيفا لكن بالفعل هذا الرجل قدم لى عرضا سحريا رائعا بالغ الرعب والإثارة والتشويق .. لم أكن خائفا جدا كما ينبغى ولا أدرى لذلك سببا !



بمجرد أن انتهينا، كانت (ريم) تعتدل جالسة على الأرض وتمسك رأسها وتتأوه ..

ودون أن ننهض من مكاننا حتى سألته فى لهفة عما حدث .. أخذ يهز رأسه فى حكمة ثم قال لنا :

- حسب ما رأيت فغالبا هناك أعمال سحرية سفلية دارت فى هذا المنزل فى وقت ما؛ فجاء على إثرها مجموعة من الجن إلى هنا لكنهم لم ينصرفوا .. الذى أحضرهم لهنا لم يصرفهم وظلوا عالقين لا يعرفون ماذا يفعلون .. كما لم تتم هذه الأعمال بالكامل ولذلك كانوا يشعرون بالغضب .. يريدون لهذا الطقس الملعون أن يتم لأنهم محبوسون هنا ولا يستطيعون العودة لعالمهم بالكامل، كما لا يستطيعون البقاء هنا، والجن عندما يغضبون يصابون بالجنون ويؤذون أصحاب المنزل بشتى الطرق .. أى أنهم لا يريدونكم هنا ويريدون إيذاءكم فى نفس الوقت .. ومن ذلك أن الفتاة تم أذيتها وهى فى الحمام .. اتلبست !

صرخت أمى فى جزع، لكنه أكمل :



- وهكذا تتابعت الأحداث حتى جئت أنا واستعنت بملوك الجان وأعوانهم وبالله تعالى قبل كل شىء وطردتهم .. وكى تكونون على وعى فصوت النساء التى تصرخ كان الجن الذى يعيش هنا ويريد أذيتكم ..

صوت الكلاب كان صوت الجن الذى معى ويطردهم ..

أما الدود الذى خرج من (ريم) فهو الجن الذى كان داخلها وخرج .

استمعت له منبهرا؛ فقد كان كلامه بسيطا .. على الرغم من أنه كلام مرعب مخيف إلا أنه يبدو مطمئنا جدا ..لم أعتقد أن هؤلاء الناس يشرحون شيئا للعامة أمثالنا .. سألته فى تعجب :

- ألم تكن خائفا ؟

قال فى هدوء :

- وممَ أخاف ؟ .. يا بنى لو خفت أنا لانتهيت .. لا يوجد مكان للخوف فى عالمنا .. لقد رأيت عائلة مثلكم



ذات مرة وكلهم ملبوسون عدا الأب - وهو ما كان سيحدث لكم حتما - كانوا بانتظار اصطيادكم واحدا وراء الآخر بداية بالفتاة .. ينتظرون وقت ضعفكم وانهياركم .. فإما اللبس وإما الجنون ..

ساد الصمت ثوان ثم عدت أسأله متجاهلا نظرات أبى المستنكرة :

- وهذه اللغة الغريبة التى كنت تتحدث بها ونتحدث بها ؟

نظر نحوى فى دهشة مبتسمة، بينما صاح بى أبى حين لم تفلح نظراته :

- (مصطفى) .. يكفى ذلك ..

بالفعل لم يجبنى الشيخ عن سؤالى هذه المرة .. ماحدث هو أن نهضنا جميعا، وأعطت أمى ذلك الشيخ مبلغا آخرا تقبله شاكرا، وأوصانا بعدم إغلاق سورة البقرة خلال الفترة القادمة قط مع الحفاظ على



الصلوات فى أوقاتها وإشعال البخور طيب الرائحة قدر المستطاع ..

بعد رحيله كان أول شىء جربته هو البحث عن إذاعة القرآن الكريم؛ فعلى حسب ما سمعت من أمى أنهم لايستطيعون التقاط إشارتها فى هذا المنزل .. فتحت المذياع وأخذت أقلب بين قنواته ببطء شديد حتى ارتفع صوت الشيخ الحصرى يملأ المكان بالراحة والطمأنينة ..

إنها موجودة ..

حمدا لله ..

لقد انتهى كل شىء ..

بقى فقط أن أعرف ما الذى يوجد فى تلك الأوراق !

* * * *

انتهى كل شىء !



* * * *

إنها البداية فحسب .. لم يحدث شىء أصلا حتى الآن !

* * * *

فى الواقع بعدما حدث ما حدث من مواقف عجيبة ومخيفة، لم نكن مرتاحين بالكامل طبعا للمكوث فى هذا المنزل .. لكننا فضلنا الانتظار قليلا حتى يعود (حسن) ونأخذ القرار سويا .. هكذا ظللنا فترة ننام معا، ونأكل معا، ونذاكر معا .. بل وأحيانا ينادى أحدنا على الآخر ليقف على باب دورة المياه ولم ينكر أحدنا ذلك على الآخر قط .. ظللنا هكذا حتى مرور أسبوع تقريبا حتى بدا واضحا لنا أن الأمور أصبحت بخير بالفعل وأن لا شىء شرير هناك ..

شقتنا أصبحت نظيفة مضيئة لا ينقطع منها القرآن الكريم قط ..

ولكن (ريم) كانت تزداد انعزالا كل يوم ..



كانت طبيعية جدا، وتذهب لجامعتها وتقابل صديقاتها وتجلس معنا .. لكن مع مرور الوقت أصبحت تطيل الجلوس فى حجرتها أمام شاشة الحاسوب .. بالطبع أصابنا القلق .. وكلما سألها أحدنا عن السر فى انعزالها، تجيب فى مرح مصطنع أنها تذاكر ..لكنى أعرف أختى جيدا .. ليست هذه مذاكرتها أبدا ..

كانت مشغولة شأن من يبحث بكل جهده عن شىء ما ..

وهى لا تذاكر .. لا تذاكر على الإطلاق .. أنا أعلم ذلك جيدا ..

وكى أكون أمينا مع نفسى فالفضول كان يقتلنى لمعرفة ما الذى تبحث فيه تحديدا لأنى لا أراها تتحدث مع أحد قط .. طوال الوقت هى تفتح مواقع أجنبية وتقرأ فيها ..ربما لو حصلت على نظرة واحدة فقط لحاسوبها .. نظرة واحدة ربما فهمت منها شيئا ..

هكذا أخذت أتحين الفرصة لألقى هذه النظرة .. تارة أتسحب من ورائها بحجة أعطائها مشروبا دافئا ..



وتارة أتسلل خلفها بحجة سؤالها ما إذا كانت تريد شيئا، لكنها كانت دائمة الحذر .. كانت مترقبة متحفزة هى الأخرى طوال الوقت، وما أن تشعر بى حتى تغلق شاشة الحاسوب وتشكرنى فى براءة مصطنعة ..

الفضول ..

ثم خطرت فى بالى فكرة .. هناك برامج تجسس أستطيع زراعة أحدها فى جهازها ومعرفة ما الذى تفعله الآن بمجرد جلوسى أمام حاسوبى أنا .. أنا لم أستعمل أحد هذه البرامج من قبل ولكن ببعض البحث على الإنترنت وجدت عدة برامج سهلة التنصيب .. وضعتها على فلاشة وانتظرت أن تتاح لى الفرصة كى أدخل لحجرتها ..

انتظرت يوما كاملا على أعصابى أكاد أجن من فرط الحماس، وكانت ذاهبة اليوم إلى الكلية ولن تعود إلا ليلا .. هكذا ادعيت المرض .. لن أذهب للمدرسة اليوم .. كان وضعا غريبا على أمى بالذات، لأنها اعتادت منى



الالتزام .. ولكن لا حيلة أمامها غير تركى فى المنزل فهمى لم تعتد منى التكاسل ولابد أنى مريض بالفعل ..

أخذت أنتظر مرة أخرى حتى هبط الجميع وتركونى وحدى فى الشقة ..

رغما عنى شعرت بالخوف يضرب جدران قلبى بقسوة وتدافعت لذاكرتى الذكريات القريبة تنهش عقلى بضراوة، خاصة مع الصمت المحدق بنا من كل صوب إلا من صفير بعض الهواء الصحراوى الجاف .. هذه أول مرة أكون فيها بمفردى فى هذه البناية اللعينة .. أن تكون بمفردك فى شقة هذا شىء، وأن تكون بمفردك فى بناية كاملة جرت فيها حوادث شيطانية فهذا شىء آخر !

طردت تلك الأفكار اللعينة من رأسى ونهضت لأرفع صوت إذاعة القرآن الكريم فى الصالة وعدت لفراشى ثم انتظرت ساعة كاملة حتى لا يعود أحد ويرانى .. لا أريد مفاجآت غير سارة !



عندما حان الوقت المناسب بالنسبة لى توجهت بهدوء نحو حجرتها ..

لست أدرى لماذا أشعر بكل هذا الخوف والتوتر .. ربما لأنى أول مرة أجرب إحساس اللص المتلصص ؟

ربما .. كانت الساعة وقتها قد تجاوزت التاسعة بقليل، والشمس تغمر المكان بضوئها ..

لكنى خائف !

هززت رأسى بعنف وتمتمت ببعض الآيات فى سرى وقررت أن أتم خطتى سريعا، ثم أعود لأندس فى فراشى ولن أتحرك منه إلا عندما يعود أحدهم من الخارج الآن أشعر أن هذه الفكرة كانت سيئة بحق !

مددت يدى لمقبض باب حجرتها فاكتشفت أنه موصد !

غريب .. لم تكن أختى ابدا من هذه النوعية .. اندهشت حتى أنى تجمدت لثوان، ثم بدأ عقلى يعمل



من جديد ..إنه قفل منزلى هزيل .. قفل يسهل أن افتحه بسكين رفيع وأدفعه لاعلى .. أما الصعب حقا فهو أن أعيده مثلما كان .. أى أن الحجرة ستظل مفتوحة وستشك (ريم) فىَّ بكل تأكيد .. يجب أن أتخذ القرار ..

وقفت مترددا للحظات، ثم ذهبت للمطبخ وأحضرت سكينا طويلا رفيعا .. سأعتمد على ادعاء أنها شاردة وحسب ..

عموما، هى لن تتحدث معى .. سيكون من الصعب تبرير موقفها أمام أبى وأمى خاصة أن لا شىء سيتغير فى الحجرة .. سأقوم بتنصيب البرنامج وأعود لحجرتى فقط .

دفعت السكين بين الضلفة والقائم، ثم ..

تك !

انفتح الباب بصرير خافت .. صرير مقبض آلم قلبى وسط كل الصمت المحيط بى ..



تجاهلت انقباض قلبى ودلفت إلى حجرتها بهدوء ..

لا شىء غريب .. لا يوجد شىء يستدعى إغلاق الباب !

بسرعة توجهت لحاسوبها وفتحته لكنى فوجئت بكلمة سر على الجهاز !

تجمدت .. كيف لم أفكر فى ذلك ؟ ماذا أفعل الآن ؟

وقفت مضطربا للحظات، ثم راودتنى فكرة قد تنجح .. سأضع الفلاشة فى مكانها وأعيد تشغيل الجهاز .. هناك أحد هذه البرامج التى حملتها يعمل بمجرد وضعه على الجهاز وينصب نفسه بنفسه .. لا يحتاج إلى تنصيب خارجى منى، لكنى لم أجربه قط .. هل هناك فعلا برنامج لن يحتاج منى إلى شىء آخر بمجرد نقله ؟

على كل حال ليس عندى خيار .. إما هذا أو أعود بخفى حنين ..



فعلت ذلك عدة مرات على أمل أن تنجح خطتى، ثم أغلقت الجهاز وأغلقت باب الحجرة فى هدوء وعدت لحجرتى ..

أشعر الآن بارتياح ممزوج بالقلق والفضول والترقب ينهشون تفكيرى نهشا .. ترى هل سينجح البرنامج ؟

دفنت مشاعرى هذه فى مذاكرتى حتى عاد أبواى، ثم عادت أختى لحجرتها ليلا .. وقتها كان أبى وأمى جالسين يشاهدان التلفاز، وأنا جالس فى حجرتى أذاكر ..

سمعتها تلقى السلام، فنهضت سريعا لأشاهدها ..

مدت يدها لتفتح باب حجرتها، ثم رفعت حاجبيها فى دهشة ..رفعت نظرها نحو أبويها، ثم نظرت تجاه حجرتى وأطالت النظر .. ومالبثت أن دلفت لحجرتها بهدوء دون تعقيب ..

عدت لفراشى سريعا وفتحت هاتفى – البرنامج يصلح للهواتف أيضا - والذى نصبت عليه البرامج التى أعتقد



أن أحدها ربما يعمل ووضعته جوارى تحسبا لأن تفتح الحاسوب الآن ..

وفجأة وجدتها داخلة حجرتى !

انتفضت من المفاجأة ..

ظلت واقفة أمام الباب وعيناها تحملان غضبا هائلا .. شعرت بالتوتر يجتاحنى ..

وبنبرة غريبة قالت :

- (مصطفى) .. لا تدخل حجرتى مرة أخرى ..

ثم دارت وغادرت .. هكذا ببساطة .. عرفت وقررت أن تواجهنى، ثم عادت لحجرتها ..

لم أدر ماذا أفعل .. هل أواجهها ؟

هل أعود وأنكر؟

فضلت البقاء فى الفراش والكلام معها لاحقا ..



وظللت أنظر فى هاتفى المحمول ..

البرنامج الذى وضعته يعتمد على نقل صورة من شاشتها إلى هاتفى، فأرى ماذا تفعل .. ولكن ..

هل سيعمل ؟

هناك أيقونة تضىء فضغطت عليها وفجأة سطعت الشاشة عندى بخلفية حاسوبها ..

إنه يعمل ..

إنه يعمل .. مرحى ..

ثم انطفأ فجأة !

لست أدرى ما حدث ..

وبينما أنا حائر هكذا، وجدت (ريم) تدخل على الحجرة مرة أخرى، وتلقى أمامى بالفلاشة !



يالحماقتى ! فى غمرة توترى نسيتها هناك ..فى حاسوبها ..

رفعت عينى تجاهها مرتبكا، فاصطدمت بنظرة قاسية ..

كنت أريد أن أتكلم ولكن .. ماذا أقول ؟

نظرت نحوى نظرة غريبة طويلة، ثم غادرت الحجرة !

* * * *

كيف يمكن أن أبرر موقفى ؟ لقد أصبح من الواضح أنى أنا المتسلل .. لا يوجد شىء يستطيع أن يدافع عنى الآن ..حتى فلاشتى لا تشبه أى فلاشة أخرى لأنى اشتريتها بشكل فريق الكرة الذى أحبه .. وفى محاولة منى لدفع التوتر بدأت أفكر فى فعل شىء أتحاشاه منذ فترة ..

تفحص الأوراق التى وجدناها مع هذا الميت وأخذتها (ريم) ..



هذه الاوراق .. لقد سرقتها منذ فترة من (ريم)، وهى لم تسأل عنها قط، ولم يبد عليها حتى أنها فقدتها .. وأنا وضعتها بعيدا عن يدى وكنت أخشى فتحها .. لا تلمنى، فالأحداث المتتابعة الفترة الماضية كانت أقوى من احتمال أعصاب أى شخص ..

كما أنى أعلم أن لها ارتباط وثيق بموته .. لا أدرى كيف، ولكنى متأكد من ذلك ..

نهضت من على سريرى بحذر وفتحت دولابى، ومن فرجة رفيعة بين الأخشاب تحت ملابسى الداخلية استخرجت هذه الأوراق ..

عندما لمستها أحسست بقشعريرة تنتاب جسدى كله .. هناك قوة معنوية هائلة تجتاحنى بمجرد ملامسة هذه الأوراق ..

أخذت أتفحصها بعناية .. كانت عشرين ورقة .. وإن لم تكن أوراقا تماما بل كانت أشبه بجلد شديد الرقة مكتوب عليه بخط اليد كلام كثير جدا بلغة أجنبية ما،



ومرسوم عليه بعض الرسومات الغريبة .. ما بين مخلوقات بشعة، وجداول ورموز مكتوب داخلها بخليط حروف من عدة لغات .. العربية والعبرية والانجليزية على ما أعتقد . كانت كل ورقة يعلوها رقم من تلك الأرقام اليونانية القديمة، وتمتلىء تماما بكلام وإرشادات ورسومات غريبة .. وحجم الأوراق نفسه كان كبيرا نوعا وغير منتظم ..لا توجد ورقة تشبه الأخرى أو تماثلها حجما ..

أخذت أتفحصها ورقة ورقة وأتأمل مافيها من رسومات حتى وصلت للورقة الاخيرة .. هنا شهقت فعلا ..

ياللجمال ..

كانت الورقة تصور ملاكا .. كأنه شاب رائع الجمال ذو جسد متناسق جميل ووجه شديد الوسامة، ومن خلفه جناحان أبيضان عظيمان، وتحته مكتوب عدة كلمات لم استطع فهمها ..



أخذت تماما بالصورة .. ظللت أحدق بها عدة دقائق مأخوذا بروعتها .. لم تكن صورة عادية قط، بل وكانما هى ثلاثية الأبعاد مرسومة خارج الورقة .. تأسرك بالكامل وتخلب لبك كما لم تفعل صورة من قبل .. وعينا الصورة قويتان جدا ..

وفجأة حدث شىء غريب ..

سمعت طرقات أمى على الحجرة تدعونى للاستيقاظ والاستعداد لمدرسة !

أى مزاح هذا ؟

الساعة لا تتجاوز التاسعة مساءا بأى حال !

رفعت عينى عن الورقة لأصطدم بأشعة الشمس تدخل من نافذة حجرتى !

مستحيل ..

هل نمت وأنا جالس ؟



هل ظللت أحدق فى تلك الرسمة طوال الليل دون أن أشعر ؟

الغريب أنى لا أشعر بالتعب على الإطلاق ..

بسرعة جمعت الأوراق ووضعتها فى مخبئها مرة أخرى، وذهبت للمدرسة .. بالطبع طوال اليوم لم أفهم شيئا من دروسى ولم أتحدث مع أصدقائى أو ألعب الكرة كما اعتدنا .. لم أكن افكر إلا فى تلك الأوراق وما تحتويه من أسرار ..

وتلك الصورة ..

انقضى اليوم بطيئا، وعدت للمنزل مرهقا .. أول شىء فعلته بعدما تناولنا الغداء، أن أغلقت على نفسى الحجرة بدعوى أنى ورائى مذاكرة كثيرة، ثم فتحت الإنترنت وأحضرت أول ورقة وكتبت أول كلمة لأعرضها على برنامج الترجمة الفورية ..

وظهر السؤال على الشاشة :



- الترجمة من اللاتينية ؟

اللاتينية ؟

غريب هذا ..أليست هذه لغة غير مستخدمة ؟

أجبت بنعم .. وجاءت الترجمة للكلمات التى أكتبها تباعا :

- الرب .

الرب ؟ هل هذا كتاب دينى لطائفة شاذة ؟

ثم أكملت الترجمة كلمة كلمة :

- الرب أنا ..

لا إله إلا أنا ..

بمعرفة هذا الأمر، من يجروء على عبادة الآلهة المزيفين ؟

لا ظلام إلا نورى .. وظلامى هو النور الحقيقى ..



أنا الملاك الذى أحب البشر ..

أنا الخالق الحقيقى للإنسان ..

أنا زهرة الصباح وأمل الهالكين ..

أنا العظيم القريب المحب ..

أنا إبليس !

عند هذه النقطة ألقيت الورقة التى فى يدى وأخذت أرتجف فى شدة وتصبب العرق غزيرا على وجنتى ..

لم يسيطر على إلا شىء واحد .. كما قال الشيخ هناك طقوس تتم فى هذا المنزل ..

طقوس عبدة الشيطان ..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..



أحسست بالفزع يكتنفنى .. هل هذا ما قتل الرجل الذى وجدنا جثته ؟

الشيطان ؟

لا بد من أن أتخلص من هذه الأوراق .. ولن أكون وحدى ..

لا بد أن تساعدنى (ريم) ..

* * * *



الفصل الرابع

(أوراق شيطانية)

أن يختارك الشيطان ليس اختيارا منك .. فإما أن تتبعه وتعيش هانئا وإما أن تتجاهله وتعيش تعيسا نادما طوال حياتك .. أعرف أنه خطأ ولكنه خطأ رائع !

أليكسيس براندون .. من كهنة الشيطان بكنيسة الشيطان (سان فرانسيسكو).

(ريم) :

ذلك الأحمق (مصطفى) .. ماذا يريد منى ؟

دخل حجرتى وعبث بأشيائى، بل وكان يريد سرقة ملفات من على جهازى .. هل يعرف أنى سحبت نسخة من الأوراق عندى أم عم كان يبحث بالضبط ؟

ربما هو يشك أنى أعرف أحدا ما وأحادثه على الإنترنت ؟



وما شأنه أصلا ؟

طوال عمرى أحادث ناسا كثيرين ولم يعترض أحد علىّ قط !

هل أبى وأمى يشكان فيَّ فأمراه بفعل ذلك ؟

كنت غارقة فى خواطرى هذه، حينما سمعت طرقات خافتة على باب حجرتى ..

نهضت وفتحت الباب فإذا به (مصطفى) !

كان شاحبا ممتقع الوجه ..

ويرتجف ..

سالته فى برود :

- ماذا تريد ؟

أجابنى فى خفوت :

- دعينى أدخل وستعرفين كل شىء ..



و على الرغم من غضبى منه تركته ليدخل .. جلس متوترا على فراشى ثم أخذ يحكى .. فى الحقيقة أصابنى الذهول مما فعله .. يسرق منى ما وجدته ويخفيه، ثم يكتشف أنه ورق شيطاني أو سحرى يخص الشيطان أو عباده، ويخفيه كل هذا الوقت، والآن يريدنى أن أساعده فى التخلص منه ! مثار الذهول أنه اكتشف ذلك قبلى على الرغم من بحثى المضنى عدة مرات على الانترنت .. ربما كان عندى حق عندما تركت لديه الأوراق ..

لكن لماذا دخل حجرتى من الأساس ؟

عندما سألته أجابنى انه كان يشك أنى .. ربما أتعامل مع شىء غريب لايفهمه، وأنه أحب أن يطمئن أنى بخير خاصة بعد الأحداث الاخيرة ..

فقط !

هو أحمق وغبى، لكنه يحبنى ويخاف على ..

لم أرد عليه .. صمتُ قليلا ثم سألته :



- ماذا تريد أن تفعل الآن ؟

أجابنى :

- فكرت فى أن نخرج سويا خارج المنزل، ونحرق هذه الأوراق فى الصباح معا .. بعيدا عن الليل ومايثيره من قلق ..ما رأيك ؟

أومأت برأسى موافقة فى وهن .. أنا معى نسخة إلكترونية أستطيع قتلها بحثا لاحقا .. كما أنى أشعر أنى زاهدة أصلا فى البحث فى هذه الأوراق !

ابتسم مع إيمائة رأسى ثم طلب أن .. يقضى معى هذه الليلة فى حجرتى !

للحق كنت أفهمه تماما .. وبشكل ما - وبعدما حكى ما حكاه - كنت أيضا أخشى النوم وحدى ..لا أريد أحداثا كابوسية أخرى خاصة بعدما قيل لى من أنى كنت ممسوسة ! لم أذكر شيئا عن ذلك قط لكنهم يحكون لى أحداثا غريبة .. المهم أنى وافقت على مضض مصطنع، وأنا بداخلى مرحبة جدا بهذا الفعل .. لكنه لن



ينام معى على ذات الفراش .. فلينم على الأرض إن شاء ..لم يعترض وإنما وافق بسعادة .. ذهب لحجرته وأحضر بعض المفروشات فردها على الأرض واحتضن وسادة صغيرة ولم يلبث أن نام على الفور !

غريب .. ولكن حسب روايته هو لم ينم منذ ليلتين ..

تمددت على فراشى وأغلقت عينى محاولة النوم أنا الأخرى ..وسرعان ما رحت فى سبات عميق .. هناك الهلاوس الافتتاحية التى نبدأ بها حلم الليلة ثم جاء هذا الحلم الرئيسى العجيب :

- رأيت انى أسير فى حديقة غناء مبهرة، حديقة كلها اشجار جميلة رائعة، وهناك أصوات تشبه الموسيقى من حولى ولكن أجمل بكثير ..الجو العام يبعث على الاسترخاء .. تداعب أنفى روائح الأزهار والفواكه.. ومن بعيد ظهرت هذه المخلوقات ..

شباب رائعوا الجمال يطيرون من مكان لآخر بسعادة واضحة .. يتنقلون من شجرة لأخرى يلتقطون الثمار



العالية ويقذفونها لفتيات بالغات الحسن فى الأسفل، ثم يقومون بأداء حركات بهلوانية رائعة باستخدام أجنحتهم شاهقة البياض .. بينما الفتيات فى الاسفل يجلسن على أرائك وثيرة تضحكن وتتناولن الفاكهة من الشباب الطائر ..

رأيت نفسى أسير خطوات أتأمل هذا العالم المبهر .. كان الكل مشغول بما يفعله ولا أحد منتبه إلى .. الضحك والسعادة يملآن الأجواء والموسيقى العذبة تصدخ بعذوبة وأنا منبهرة و ..

وفجأة صمت كل شىء .. توقف الشباب عن الطيران وثبتوا فى الهواء يحدقون نحوى بعيون ثابتة ونظرة مخيفة .. الفتيات توقفن عن المضع وأخذن يحدقن نحوى بذات النظرة الثابتة المخيفة .. حتى صوت الموسيقى اختفى ..

أحسست بالفزع .. حاولت التحرك لكنى تسمرت تماما فى الأرض ..



حاولت الصراخ لكن صوتى اختنق فى حلقى ..

ثم بدأوا فى الاقتراب منى .. دون أن يحركوا اطرافهم كانوا يقتربون .. نظراتهم الثابتة الجامدة وعيونهم .. الجو العام يظلم ويزداد قتامة وهم يقتربون .. هناك ظلال سوداء تحيط بعيونهم تماما ..

منظرهم مخيييييف ..

وفجاة فتح الجميع أفواها سوداءا طويلة وصرخوا صرخة عالية وهم يقتربون منى بسرعة والجو يظلم ثم ..

ثم نهضت من نومى صارخة ..

أخذت ألهث بشدة ..

كابوس لعين ..

نظرت جوارى، فإذا بـ(مصطفى) معتدل على فراشه البدائى يلهث هو الآخر وعيناه زائغتان .. نظر نحوى



فكدت أسأله عما به لكن نظرة عينيه جعلتنى لا أريد سؤاله .. لكن سألنى هو :

- كابوس ؟

أومات برأسى أن نعم ..

قال ببطء وهو يتحاشى نظراتى :

- وأنا أيضا .. كنت أسير فى حديقة جميلة بها ملائكة وبنات جميلات و ..

اتسعت عيناى فزعا ..

إنه نفس الحلم !

قاطعته :

- وفى النهاية صرخوا واقتربوا منك .. تمام ؟

ارتفع حاجباه فى دهشة، وأومأ برأسه أن نعم ..



تنهدت ونظرت تجاه النافذة .. كان الوقت فجرا والكون منير الآن والشمس على وشك الشروق، لذلك قلت له بحسم :

- هيا بنا لنحرق هذه الأوراق الآن ..

لم أكن أشعر بالشجاعة بل بالخوف الشديد .. خوف يملأ أركانى بعنف .. لكن ما كان يدفعنى الآن أنى لا أستطيع أن أمر بما مررت به سابقا .. لا أحد يعلم ما رأيت وما أحسست به يومها ..

لا أحد ..

أنا لا أذكر شيئا بالفعل مما حدث أمام أهلى لكن فى غيبوبتى ..

رأيت الجحيم ..

رأيته ولن أعود له مرة أخرى ..



لذلك نهضنا سويا وهبطت فى هدوء مع (مصطفى) للطابق الأسفل .. الكون يصطبغ باللون الأزرق استعدادا لبزوغ شمس يوم جديد وهناك هواء بارد منعش يملأ جوفى بالفزع !

لم أعد أشعر سوى بالفزع ..

دون كلام تقريبا جمعت مع (مصطفى) بعض الأغصان والأخشاب الجافة، وفى مدخل المنزل فى إناء فخارى مكسور وضعنا فيه تلك الاشياء، ثم قليل من النفط المتبقى من أعمال الدهان، وسرعان ما توهجت النار ..

ببطء مد (مصطفى) يده ليضع أول ورقة فى النار ..

وكما توقعت ..

لم يحدث شىء ..

لم تحترق ..

عندما عاد وأمسكها فى حيرة لم تكن حتى ساخنة ..



كنت متأكدة أننا لن نستطيع حرق هذه الأوراق .. فى أعماقى هاتف يخبرنى أن الموضوع لن يكون بمثل هذه السهولة قط .. يقين شملنى، خاصة عندما ظهر ذلك القط الأسود !

قط أسود كبير الحجم ظهر من الفراغ ووقف خلف السياج الحديدى للمنزل يرمقنا فى هدوء وثبات ..

شعرت بنبض قلبى يتزايد ..قطعا هذا ليس قط طبيعى على الإطلاق وما أكثر الحكايات التى تحكى عن تجسد الشياطين فى أجساد قطط سوداء !

وببطء فغر القط فاه ببطء عن فجوة عميقة سوداء ..

دون صوت ..

ثم سمعنا صوت فحيح غاضب يأتى من ورائنا ..

التفتنا أنا و(مصطفى) ونحن نرتجف لتصطدم أنظارنا بقط آخر يفح بعنف .. وعيناه جمرتان من النار ..



صرخت فى انفعال شديدحاولت أن أكتمه حتى لا ينتبه أبى وأمى لنا، بينما صاح (مصطفى) بالاستعاذة، ثم ..

لا شىء !

أنا و(مصطفى) وحدنا بلا نار ولا قطط، بل وكنا واقفين داخل شقتنا أمام باب الشقة .. لم نهبط حتى من شقتنا !

ما الذى يحدث بالضبط ؟

أخذنا نحدق لبعضنا دون صوت .. لا نحتاج للكلام لنفهم ..

الشيطان يعبث بنا ..

ودون صوت عدنا لغرفتنا .. يجب أن نبحث أكثر لنفهم ..

* * * *



الأم (نهى) :

لا أريد أن أبدو هيسترية، لكن هناك شىء مخيف يحدث مرة أخرى فى هذا المنزل !

هذا منزل غريب مخيف .. أنا أخاف منه وأكرهه حقا، وعندما تستقر الأمور نوعا لابد أن نجعل له تصريفا ما .. سنبيعه أو نتخلص منه أو نهدمه حتى .. نسدد فقط بعض الديون ثم ليكن ما يكون ..

أنا أخاف منه ولا أنفك تراودنى الكوابيس طوال الوقت، ولذلك أنا لا أغلق فيه القرآن أبدا ليلا ولا نهارا ..

ولكن ..

ماتزال هناك أحداث كثيرة صغيرة وغريبة لو ربطتها كلها معا لوجدت مشهدا مخيفا يحدث ..مشهد لا أريد التفكير فيه ولا معرفته ..



فى الحقيقة أنا لا أخاف على نفسى قط وإنما أنا أخاف على الأولاد .. كنت لا أصدق الآباء الذين يقولون ذلك قديما لكن هذه هى الحقيقة .. الرعب يملؤنى عليهما فحسب ! إنهما فى سن المراهقة، ويقولون أن هذا السن هو سن الاستحواذ الشيطانى والمس وما إلى ذلك ..

ومع ذلك فأنا لا أتحدث معهم فى شىء .. لا أريد ترسيخ أفكار سوداء فى رأسيهما؛ ولربما كانت هذه الأفكار السوداء فى رأسى أنا فحسب ..

حوداث غريبة كثيرة ..

ذات مرة كنت واقفة فى المطبخ، وسمعت صوت مواء قطة .. مواء كالعواء ضعيف طويل يجمد الدم فى العروق ..

مواء يأتى من كل مكان ولا مكان ..

مواء خافت كأنه داخل عقلى أنا فقط .. انتبهت على صوت المواء هذا .. وانتبهت إلى أن لا صوت للقرآن



هناك وصوت المذياع اختفى تماما !

خرجت من المطبخ لأجد جهاز التسجيل القديم مكانه على منضدة السفرة يعمل كماهو؛ فتلك الأجهزة القديمة تضىء لمبة صغيرة عندما تعمل، لكن دون صوت !

هل هناك من خفض صوت المذياع؟ كيف وأنا وحدى فى الشقة؟

مددت يدى لأرفع الصوت لأجد أغنية صاخبة مصحوبة بشوشرة عالية !

انتفضت فى مكانى وصرخت واستعذت بالله بصوت عال .. لحظات وعادت إذاعة القرآن الكريم من تلقاء نفسها !

توترت بشدة وأخذت أرتجف .. هززت رأسى بعنف وعدت بوجل إلى المطبخ، لكنى لم أنس أن أرفع صوت المذياع لأقصى حد له .. الجو صامت حولى كئيب .. على الرغم من أننا فى وضح النهار فالكآبة تغمر البيت



.. من قال أن البيوت المستقلة أفضل من العمارات السكنية ؟

هذه مرة ..

مرة أخرى كنت ساهرة مع زوجى ليلا نشاهد التلفاز، بينما (مصطفى) و (ريم) فى حجرتيهما .. كان النعاس يغالبنى، لكنى كنت جالسة لأكمل الفيلم من أجل خاطرزوجى .. ومع ذلك رويدا رويدا سقط جفناى رغما عنى .. بعد قليل استيقظت لأجد التلفاز مطفأ وزوجى دخل حجرة النوم وتركنى مكانى .. هو معتاد على ذلك لأنى لا أحب أن يوقظنى أحد .. نهضت ببطء، بينما كان انعكاسى فى الشاشة المعتمة فى التلفاز جالس أصلا !

وسط الظلام المحيط بى بربشت بعينى قليلا لأتأكد .. إنه ثابت ينظر لى وسط الظلال وظلام الشاشة دون أى ملامح واضحة !

تحركت بجذعى يمينا ويسارا لأتأكد ..



إنه ثابت ..

هل هذا كابوس ؟

نهضت من مكانى واقتربت خطوة من الشاشة، لكن انعكاسى ظل جالسا يحدق فىَّ من قلب الظلام ..

ثم سمعت هذا الصوت المخيف ..

لست أدرى كيف أصفه، لكنه صوت كصوت تنفس ثقيل لرجل مريض بالربو .. تقلصت أحشائى خوفا، وتراجعت فى فزع للوراء وأنا أكتم شهقة لأرتطم بجسم لين خلفى .. رغما عنى صدرت منى صرخة قصيرة مليئة بالرعب والتفت مرتجفة لأنظر من ورائى، فلم أجد أحدا !

أخذت أتلفت حولى يمينا ويسارا وأخذت أستعيذ، ثم هرولت تجاه حجرة النوم لأندس فى الفراش جوار زوجى .. ليلتها أخذت أقنع نفسى أنها هلاوس فحسب ..



هلاوس ..

مرة أخرى كنت وحدى فى تلك الفترة ما بين العصر والمغرب .. الولد فى درس ما والفتاة فى الكلية وزوجى نائم، وكنت جالسة أنا فى الصالة أشاهد التفاز .. فيلم كوميدى سخيف من أحد تلك الأفلام الجديدة وتلك القنوات التى تعرض عشر دقائق من الفيلم ثم نصف ساعة من الإعلانات .. وفجأة غالبنى الشعور أن هناك شخص ما يقف خلفى .. القشعريرة تجتاحنى بالكامل .. أشعر بقبضة قاسية تعتصر قلبى من الخوف .. البرد يجتاح جسدى .. انكمشت فى مقعدى وأخذت ألهج بذكر الله تعالى، ولكن صوت التلفاز العالى أخذ يهدأ رويدا رويدا، ومالبث التلفاز أن صمت من تلقاء نفسه ! وهناك تلك الزمجرة الخافتة .. زئير عجيب لا أدرى .. صوت غاضب مخيف ..

قررت الهروب من ذلك والنوم ! أو للأدق لقد هجم على النوم ثقيلا فلم أستطع رفع جفنى .. نوم ثقيل كاسح لا فكاك منه .. رغم كل شىء فالنوم أسرع هروب ممكن؛ فتمددت على الأريكة ألتمس من ظهرها الأمان



وأنا أحدق فى السقف وصدرى يعلو ويهبط بشهقات الرعب .. لو استمر الأمر على ذلك ستصيبنى أزمة قلبية حتما ..

مع دخولى فى النوم بدأ الصراخ !

صراخ يهاجم تلك الفترة القصيرة التى تتواجد قبل النوم .. اتسعت عيناى عن آخرهما ودق قلبى دقات متتالية عنيفة آلمتنى .. نهضت لاهثة وحانت منى التفاتة نحو التلفاز .. إنه يعمل كما هو، وبصوت عال أيضا !

مددت يدى نحو جهاز التحكم وأغلقت الجهاز وبخطى خائفة سرت نحو حجرتى لأنام جوار زوجى .. استعذت بالله وتمددت جواره، وهذه المرة سقطت فى نوم عميق مباشرة ..

ليلتها حلمت بعدة كوابيس رهيبة لا أذكر منها شيئا سوى مخلوقات طويلة مخيفة تحاول النيل منى ..



هناك روث يملأ بيتنا .. أطفالى وزوجى يسقطون فى بئر عميقة داخل المنزل.

فتحت عينى مع حلول المساء لكنى لم أستطع الاستيقاظ ..

اتسعت عيناى عن آخرهما .. لكن كان جسدى كله متشنجا ولم أستطع النهوض مع أنى مستيقظة !

ظللت هكذا للحظات مذعورة لا أدرى ماذا أفعل .. أنا مستيقظة لكنى لا أستطيع النهوض .. أخذت أحاول الحركة وأحاول وأحاول، ثم فجأة تحرر جسدى كله ..

نهضت من رقدتى أعب الهواء فى جشع .. سأموت حتما مالم ينته هذا الضغط النفسى الرهيب .. وانتبهت لخفوت صوت إذاعة القرآن من بعيد .. الغريب أنى قمت خارجة لحيث المذياع ورفعت الصوت فى حزم ..ربما أكون قد شعرت بالملل من كل هذه الألاعيب !

هناك شىء ما غريب مخيف .. ربما أكون متوهمة وربما لا ..ربما هى كوابيس من تلك الفترة التى



قضيناها فى فزع .. وربما أحتاج طبيب نفسى !

فى الصباح حينما غمر ضوء الشمس كل شىء نزلت مع زوجى للعمل .. كنت أشعر بالشرود يكتنفنى ..

هل هناك شىء جديد لا نعلم به ؟

أم هى مجرد تهيؤات ؟

فى المعتاد كنا ننزل أنا وهو نسير لبضع دقائق حتى نصل لمكان تنتظره فيه سيارة العمل .. فيركب هو وأكمل أنا سيرا حتى المحطة القريبة ..هو على المعاش منذ فترة قريبة لكنه فضل العمل حتى لا يتكاسل فى المنزل ..

أما فى هذا اليوم فقد نزلنا مبكرين نوعا .. كنا مرهقين بشدة وكأننا خضنا صراعا طوال الليل أو كأننا كنا نعدو حول هذا المنزل ..

نحن نجاهد لنطرد شيئا ما يجاهد هو الآخر ليستحوذ على المنزل ..



وعلينا !

المهم ..

خرجنا من المنزل وبدأنا نبتعد بخطوات مرهقة .. لم نكن نتحدث تقريبا .. أخنا نسير ونسير .. ولسبب ما شعرت أننا أخذنا وقتا أطول من اللازم .. نظرت خلفى نحو المنزل .. المنزل يبدو على مسافة واحدة لا تتغير !

نظرت أمامى لأجد أن النقطة التى يجب أن نصل إليها تبدو واضحة أمامنا لا تحتاج سوى دقيقتين أو ثلاثة من السير الوئيد فقط ..

وأخذنا نسير .. ونسير .. عشر دقائق كاملة والوضع كما هو !

هدفنا ما زال يبدو على بعد دقيقتين، ومنزلنا على نفس المسافة من ورائنا !

أخذ قلبى يدق فى عنف والدوار يكتنف رأسى ..

هممت أن أسأل زوجى ما إذا كنت متوهمة أم أن ما يحدث يحدث بالفعل حين سمعت هذا العواء الطويل يعقبه هذه الزمجرة العالية الغاضبة ..

اتسعت عيناى فى ذعر، ونظرت نحو زوجى .. وجدته واقفا ينظر نحوى فى فزع .. ينظر ورائى للدقة .. التفتّ ورائى لأجد كلبا أسودا عملاقا واقفا خلفى بالضبط .. كلب أسود ذو عينين حمراوين وكأنهما مشتعلتين بالنار .. يكشف عن أسنان بيضاء يتساقط منها الزبد، ويزمجر تلك الزمجرة التى تنبىء بهجمة قريبة .. تراجعت خطوة للوراء وجسدى كله يرتجف .. بينما حاول زوجى زجره بحيلة قديمة هى أن يلتقط حجرا ويلقيه نحوه .. ولكن الكلب لم يتأثر ..

لم يهتم ..

بل تراجع خطوتين ثم عدا نحونا وقفز فى الهواء ينقض على أنا بالذات .. صرخت فى عنف وأغمضت عينى فى قوة ورفعت يدّى متوقعة الألم الرهيب .. لكن لا شىء يحدث .. فتحت عينى لأجده وقد اختفى



فى الهواء .. لقد مللت من هذا السؤال لكن .. ما الذى يحدث بالضبط ؟

نظر لى زوجى وعيناه تنطقان بفيض من التوتر .. وما لبث أن وجه نظره لمكان بعيد .. إنه أوتوبيس العمل ..

قلت له أن يذهب هو لعمله لأنى لا أستطيع اليوم أن أذهب لمكان .. أشعر بالإرهاق يكتنفنى .. لم يناقشنى كثيرا وهو ما أثار عجبى .. زوجى عنيد ولم يتركنى وحدى قط طوال حياتنا، فلماذا صمت الآن وهو يعلم جيدا ما نتعامل معه .. لقد رأى ما رأيت وسمع ما سمعت، ولكن ..

رد فعله عجيب فعلا !

كيف يتركنى دون أى رد فعل ؟

المهم أنى عدت أدراجى للمنزل ..

وهذه المرة كان المنزل يقترب بسرعة مخيفة حتى أنى وصلت إليه خلال دقيقتين على الأكثر !وعندما



وصلت إليه خيل إلى أنى أسمع صراخا غاضبا .. وقفت مترددة على الباب لثوان قبل أن أدلف إليه ..

* * * *

فى الداخل وجدت كلا من ابنتى وابنى يستعدان للخروج .. أصابتهما الدهشة لمرآى مبكرا هكذا؛ ولكنى أخبرتهما أن كل شىء على ما يرام .. فقط إرهاق بسيط جعلنى أرغب فى الراحة اليوم ..

ثم ودعتهما على باب المنزل .. كان قلبى يدق فى عنف وأنا أفكر فيما أنتوى فعله ..

سوف أهبط للقبو لأبحث هناك ..

لماذا تنظر لى ابنتى هذه النظرة الغريبة ؟

دلفت أولا لحجرة نومى وتمددت قليلا لأن جسدى يؤلمنى بالفعل كما أرغب فى النوم قليلا .. أعرف أن المشاعر عجيبة متناقضة لا تناسب الموقف لكن هذا ما حدث !



ولم أنم ..

تمددت قليلا فقط لأستعيد لياقتى المعدومة ثم نهضت ..

صنعت كوبا من الشاى وحرصت أن يكون صوت القرآن عاليا جدا، وبدأت أتوجه للقبو ..

كان قلبى ينبض نبضات غير طبيعية على الإطلاق .. الرعب والذعر يكتنفانى بالكامل .. جسدى كله يرتجف، ولكن لا بد أن أبحث ..

منذ تلك الحادثة المشئومة ونحن لم لهذا القبو تقريبا ..

هناك سر مخيف هنا ..

وسأكتشفه !

* * * *

الشيخ :



عندما استدعونى لذلك المنزل لم أكن أعتقد أنى سأجد شيئا غير مألوف .. كل مرة يتم طلبى فيها لا يتعدى الموضوع أن يكون أحد الناس قد أصابه شىء من العبث الشيطانى، وهؤلاء يسهل التعامل معهم للغاية لانه مجرد عبث قبل أى شىء .. الشياطين عامة تجيد إلقاء الذعر فى القلوب وتحب إخافة البشر عبر بعض الحركات المعروفة لنا .. نظرات ثابتة متجمدة وعيون متسعة .. الكثير من الصراخ وتغيير الاصوات .. التخشب ..تغيير أماكن الأثاث وإشعال بعض الحرائق الصغيرة .. وكلها أمور تافهة فعلا لانهم يدارون ضعفهم بإثارة الخوف لدينا ..

أحيانا يتملك الجسد مارد قوى أو مجموعة من الشياطين، وهؤلاء من يتسببون فى الإيذاء البدنى مثل تمزيق شعر ضحيتهم أوالتهام الصراصير والعناكب وبعض الحشرات الأخرى !

والحقيقة كما قلت أن كل هذا عبث .. ربما يبعثهم ساحر لهدف ما فى نفسه .. بل إنى عرفت سحرة يبعثون بشياطينهم هؤلاء ليمسوا البشر؛ كى يأتوا



إليهم ليخلصونهم مما هم فيه .. مصلحة مشتركة .. السحرة يقدمون لهم القرابين وما يشاءون من دماء وكفر ومعصية ترضى سيدهم، والشياطين يقدمون لهم القوة والثراء والحياة الرغدة !

لكنى عندما رأيت هذا المنزل شعرت بشعور مختلف ..

هذا المكان شرير !

البيت نفسه شرير ..

الأرض نفسها شريرة ..

وهذه الأسرة لو لم ترحل من هنا لأصابهم أذى كبير ..

وفوق كل هذا، فالمكان يعج بالجان والشياطين .. بالفعل كانت ابنتهم على وشك أن يتم استحواذها بالكامل ..استحواذ قوى شرير لم أسمع عنه إلا نادرا وفى حالات خاصة للغاية .. فى الواقع لم أر مثله فى حياتى قط !



لقد قمت بحرب صغيرة .. حرب قمت فيها بطرد غالبية الشياطين الموجودة بالمنزل وأخرجت من كان يحاول استحواذها ..

لكنى كنت خائفا بالفعل .. تماسكت أمام الأسرة لكنى كنت على وشك الانهيار عدة مرات .. لأول مرة فى حياتى لا يقيم معى شياطين يقومون بالاستحواذ أى حوار .. عادة ما يتكلمون لكن هؤلاء التزموا الصمت الكامل تقريبا .. ربما بضع كلمات متناثرة غاضبة وكفى .. فطردت الغالبية ..

الغالبية فقط ..

ولأول مرة فى حياتى شعرت بالخوف ..

إنهم يحاولون قتلى !

شعرت بالنهاية تقترب ..

أصابنى الهلع عدة مرات، ولكنى تمالكت نفسى ..



وطردت الشياطين ..

كنت أسمعهم يزومون ويصرخون فى غضب ..

ويتوعدوننى ..

حتى عندما استدعيت من يعاوننى من ملوكهم، كان التوتر هو السيد هنا .. وعرفت لاحقا أن عددا من معاونىّ قد مات !

يجب أن أعترف .. هذه المرة الموضوع أكبر من إمكاناتى .. لم أواجه هذا القدر من الشر من قبل قط ..

أنهم سيعودون .. وسينتقمون منى ومنهم ..

ولن يبارحوا البيت ..

كان الموقف غريبا جدا على .. كما قلت أنا لم أواجه موقفا مماثلا أبدا ..

لذلك .. كان على أن أطلب المساعدة من خبير قوى ..



رفعت هاتفى وبحثت عن رقم هاتفه ..

د.(جلال الدين عامر) !

* * * *



الفصل الخامس

(الملاك الساقط)!

لقد طردنا الله من السماء ونحن قادرون على الانتقام لكننا لن نفعل .. فلنترك البشر يكتشفون خالقهم الحقيقى بأنفسهم ! (.............)

(حسن) :

تبقى لى فيديو واحد فقط وأتخذ قرارى إما المواصلة أو الاعتذار عن القضية .. والحق يقال أنى أميل للاعتذار لأنى لا أفهم شيئا على الإطلاق، كما أن عقلى غير صاف ولا أستطيع التفكير بوضوح .. هذا غير الإرهاق العجيب الذى لا يريد أن يتركنى وشأنى !

يجب أن أهدأ قليلا ثم أواصل عملى؛ لذلك خرجت من حجرتى لأجد أمى جالسة تشاهد فيلما قديما وتبتسم تلك الابتسامة الحزينة التى تميز كبار السن .. أشرق وجهها عندما رأتنى وهتفت باسمى؛ فذهبت نحوها



وجلست جوارها وأخذت أحادثها ونضحك معا .. رويدا رويدا التف حولنا أخى (مصطفى) وأختى (ريم) .. ظللنا نتحادث ما يقرب من ساعتين، وهو مالم نفعله منذ وفاة والدى القريبة .. على الرغم من أننا هنا منذ عام واحد تقريبا إلا أن أحداثا كثيرة للغاية مرت علينا هنا ..

كم أكره هذا المنزل .. والعجيب أن والدتى فاتحتنى فى أمر بيعه .. وافقت بشدة، وكذلك وافق (مصطفى)، أما (ريم) فقد عقدت حاجبيها والتزمت الصمت ! أنا أعلم أن المراهقين لا يحبون كثرة الانتقالات، ولربما هى صمتت لأجل ذلك ..

لقد حصلت على طاقة إيجابية كبرى بعد هذه الجلسة .. كنت أتمنى أن تشاركنا الفتاتين لكنهما نائمتين فى فراشهما .. أحسست أنى أكثر نشاطا الآن وأكثر قدرة على مواصلة العمل؛ فاستأذنت أمى لأقوم كى أتابع عملى .. تابعتنى بعينيها الحنونتين وهى تدعو الله لى .. لكن وأنا ذاهب كى أتابع ما أفعله لم تفتنى نظرة



(ريم) الغريبة لى .. لو لم تكن أخت لأقسمت أنها نظرة كارهة ناقمة غاضبة ! ماذا دهاها هذه الفتاة ؟

سأتحدث معها لاحقا .. ربما هى غاضبة منى لأمر ما !

دلفت للغرفة وأغلقت الباب جيدا خلفى، ثم فتحت الحاسوب وبدأت أتابع الفيديو الأخير ..

* * * *

بداية الفيديو فتاة تصرخ بصوت مكتوم .. المكان يشبه الأماكن الأخرى من حيث الجو العام .. مازال الظلام الكثيف هو سيد الموقف، والتمثال الصغير على جانب من الشاشة، ومصدر الإضائة الوحيد هو الشمعدان الأسود جوار الفتاة المقيدة ..

الفتاة تتلوى وتنتفض وهو يدور حولها بذات السكين الطويل ذى المقبض العجيب .. كان يلقيه فى الهواء ويتلقفه بين الفينة والأخرى .. لفت نظرى السكين هذه المرة لأنه كان يبدو وكأنه يستعرض به .. أوقفت الصورة وأخذت لقطة من الشاشة وأخذت أتأمل



السكين .. مقبض خشبى منقوش ونصل فضى اللون منقوش هو الآخر .. ببحث سريع على الإنترنت وجدت أن هذا السكين اسمه (الثيلما) ويستخدمه عبدة الشيطان !

كنت أشك طبعا فى أن يكون القتل خاصا بهؤلاء المعاتيه .. ويبدو أنى كنت محقا للأسف !

تابعت الفيديو .. كان شكل القاتل مخيفا خاصة مع الرداء الطويل الذى يخفى أبعاد جسده .. هذه المرة كان رداؤه أسودا له غطاء رأس مبطن باللون الأحمر، لكنه يخفى رأسه بحيث لا تظهر أى ملامح على الإطلاق .. وبصوت غريب عميق قال بلغة عربية فصحى سليمة :

- " الحياة .. مجرد عملية بيولوجية متكررة .. لا قيمة حقيقية لشىء .. اليوم أنت هنا وغدا لست هنا .. بلا قيمة .. بلا أهمية ..فقط من يملكون المعرفة الحقة يستحقون النجاة .. فهل تعرفين ؟ "



كانت الفتاة تنظر نحوه فى رعب بالغ وقد سالت عيناها بالأصباغ الكثيفة ومساحيق التجميل التى وضعتها سابقا على وجهها فبدت مخيفة هى الأخرى .. عيناها جاحظتان بشكل مبالغ فيه، ومع سؤاله أومأت برأسها إيجابا فى عنف بالغ .. لم تكن تستطيع الكلام لأنه وضع فى فمها كرة مطاطية محاطة بشريط لاصق كالعادة ..

بدا عليه من صوته الاندهاش وهو يسألها مرة أخرى :

- " أتعرفين بالفعل ؟ "

ثم رفع رأسه عاليا وأخذ شهيقا عاليا مسموعا وعاد ينظر نحوها سائلا :

- حسنا .. ما السر ؟

وقرن كلامه أن نزع ببطء الكرة المطاطية الصغيرة التى كانت تكمم فمها وأمرها أن تتكلم .. أخذت الفتاة شهقات متعددة وهى تبكى وترتجف، ثم أخذت



تتوسل إليه ألا يقتلها .. ظل يرمقها لثوان وهى تتوسل توسلا يمزق نياط القلوب .. ذكرت أبيها وأمها و ..

بعنف دس الكرة المطاطية فى فمها مرة أخرى وصاح بغضب :

- " كنت أعرف ذلك .. كنتِ تخدعينى .. أنت كاذبة مثلهن .. كلكن كاذبات .. نفس الكذب يافتاة، ولربما لو كنتى نطقتى الحق لكنتى نجوتى اليوم ! "

بدا وقع كلماته رهيبا ..

سار ببطء إلى أن خرج من الكادر تماما، وفجأة ارتفع صوت أغنية أجنبية رومانسية شهيرة، وعاد للكاد مرة أخرى .. كان يهز رأسه ذات اليمين وذات اليسار مع ألحان الأغنية ويتمتم مع كلماتها :

You raise me up , so I can stand on mountains ..

You raise me up , to walk on stormy seas ..



والتف حولها بحيث يكون مواجها للكاميرا عند ذراعها الأيسر، وببطء بدأ يحرر قيدها ويتمتم بصوت عال مع كلمات الأغنية :

Im strong , when I am on your shoulders

You raise me up to more than I can see

نظر لها وهمس مع الفاصل الموسيقى :

- " أعلم أنه لاذنب لك، ولا لى .. لكن سنرى لاحقا من السبب ! هو أمرنى .. وأنا اخترتك .. العبث يافتاة .. لكن لا تقلقى سيبعثك مرة أخرى لتخدميه للأبد .. هكذا يفعل مع المخلصين له !

كان الضابط (حسن) يرى كلامه غير منطقى وغير مترابط .. هناك قدر كبير من الجنون فيه !

حرر القاتل ذراعها الرقيق وأمسك يدها بقوة وانحنى يقبل أناملها برقة !، وهى تحاول التملص .. ثم جذب يدها فاردا ذراعها بالكامل وارتفع صوته بالغناء مع الأغنية :



There is no life,no life without its hunger

Each restless heart beats so imperfectly

ووضع سكينه الطويل على مفصل الكتف، وجذب السكين فى هدوء ..

تقلصت أحشاء الضابط مرة أخرى وهو يسمع عواء الفتاة المتألم المكتوم وتشنج جسدها على المنضدة وعروقها النافرة النابضة من الألم ..

أى وحش هذا ؟

لماذا يفعل ذلك ؟

الفتاة تعوى وتتلوى وقد برزت عروق عنقها وجبهتها أكثر وأكثر من فرط الألم .. أخذت تحرك رأسها ذات اليمين وذات اليسار من الألم الشنيع .. أما القاتل فكان يبدو هادئا للغاية وهو يدندن الأغنية ويسحب السكين ذهابا وإيابا على ذراع الضحية .. يلف السكين حول المفصل ليقطع لحم الفتاة حتى وصل للمفصل الأبيض الذى ظهر واضحا جليا امام الكاميرا ..



عند هذه النقطة أوقف الضابط (حسن) الفيديو .. لم ير فى حياته كم الاستهانة بالحياة مثلما رآه هذه المرة .. الرعب والتقزز يسيطران عليه والدوار يكتنف رأسه، بينما هناك شعور مقيت فى بطنه .. للحظات أخذ يتنفس بعمق ليطرد تلك المشاعر الرهيبة من مخيلته وود لو يضع يديه على هذا القاتل ليفعل به مثلما يفعل فى الأبرياء .. من داخله تصاعدت نبرة غضب قوية وهو يتخيل شعور زوج هذه الفتاة أو أبيها أو أمها .. وبغضب ممزوج بالغثيان عاد يمد يده ليكمل المشهد الرهيب ..

بالسكين بدأ القاتل يحاول فصل مفصل الذراع بهدوء، والفتاة تعوى .. تنتفض .. ثم رفع السكين الطويل مسافة قصيرة وهوى به مرة ..

ومرة ..

وفى الثالثة سقط فى يده الذراع يمسكه من رسغه ..أما الفتاة فكانت ماتزال تتلوى وتحاول الصراخ ..



كانت قد أفرغت معدتها من الألم لكن الكرة المطاطية فى فمها وقفت مغلقة مجال الخروج ..

كانت تختنق بقيئها، فمد يده ينزع الكرة ويترك لها المجال لتتنفس .. كان الضابط (حسن) يشعر بالدهشة لأنها ماتزال على قدر من الوعى مع الألم الشنيع وما تفقده من دماء ..

وضع القاتل الذراع المبتورعلى المنضدة جوار الفتاة، ورفع يده بالسكين ليقطع شريحة من اللحم يضعها أمامه على طبق ما .. انتزع منها الجلد وترك اللحم الأحمر ينز دما .. رش عليها قليلا من التوابل كانت جوار الطبق فى قنينة صغيرة، ثم حمل الطبق وجلس على الكرسى الوحيد بالقرب من رأس الفتاة .. أمسك شوكة وسكينا أخرى وقطع جزءا من اللحم، ورفع الشوكة نحو فمه .. تجمد للحظات ثم وضع الشوكة فى فمه ببطء وأخذ يلوك .. ثوان مرت ثم بصق ما يلوكه وهو يصدر صوت من قارب على التقيؤ ..

نهض من مكانه ونظر لها قائلا :



- " كنت أعتقد أنه .. يبدو أنه كذب .. حسنا .. أنا آسف ! "

قرن كلامه بضحكة خافتة، وببطء مد يده يلتقط السكين الطويل من على المنضدة، ووضعه على عنقها وهى تلهث رعبا وتئن ..

ثم .. بدأ ينحرها ..

بدا وكأنه يراقب عينيها باهتمام .. يتابع ألمها بشغف .. السكين يروح ويجىء ببطء شديد فى البداية، ثم أسرع فجأة .. السكين يبدو حاميا جدا لأنه خلال ثوان قليلة كان قد أنهى مهمته .. رفع رأسها المقطوع أمام رأسه .. كان بها بقية من حياة تظهر فى عينيها المذهولتين وفمها الذى اختلج مرة أو مرتين .. وبينما كان جفناها ينطبقان مد يده الأخرى يفتح عينها ويتأملها بشغف تماما كما فعل فى الفتاة الأخرى ..

ظل هكذا ثوان حتى خبا ضوء الحياة فى عينيها تماما، ثم ألقى الرأس بإهمال على الأرض وتوجه نحو



الكاميرا .. مد يديه يجذب لوحة ما من جوار الكاميرا ووضعها أمام الشاشة .. مكتوب عليها :

ثلاثة أيام !

!

ثم أظلمت الشاشة مع انتهاء الفيديو ..

كان الضابط (حسن) يشعر بالصدمة وكأنما هذا هو أول فيديو يراه !.. ظل ثابتا فى مكانه برهة لا يتحرك .. التساؤلات تخنقه ..

ما الذى رآه بالضبط ؟

وعم يعبر ؟

ولماذا قتل الفتاة ؟

ولماذا قتل أصلا ؟



كان يشعر بالحمض يتصاعد فى جوفه وأحشاؤه تتقلص فى عنف .. نهض بتثاقل من أمام الحاسوب ليبحث عن شيء يشربه فى المطبخ .. ربما بعض المياه الغازية تغسل هذا القيح الذى ملأ روحه ..

تناول كوبا عملاقا ملأه بكم وافر من الثلج، ثم صب عليه المياه الغازية الفوارة .. حمل الكوب بيده اليمنى ورفعه إلى فمه ليشرب، لكنه انزلق بقوة من يده ليسقط على الأرض ويتحطم بدوى مزعج ..

تجمد قليلا .. يا للسخافة .. شعر بالحنق من نفسه .. ألهذه الدرجة أصبحت قواه خائرة ؟

لكن الحق أنه شعر بالكوب يتم جذبه من يده جذبا .. كأنه انتُزِع من يده انتزاعا ! .. ومع ذلك ..

حسنا .. لا بأس .. بحث عن مكنسة يجمع بها الشظايا وشيئا يجمع به السائل الفوار على الأرض، ولكن عندما نظر نحو الشظايا وجد شيئا غريبا .. وجد بقايا زجاج مكسر فحسب !



أين المياه الغازية ؟

شظايا الزجاج تملأ المكان، لكن لا أثر لأى سائل على الأرض على الإطلاق .. الأرض جافة تماما ولا دليل على وجود المياه الغازية سوى بعض قطراتها على الحائط فحسب !

هل امتصتها سجادة ما ؟

أى سجادة ؟ أقرب سجادة على بعد متر كامل ..

لا تفسير ؟

لا تفسير !

جمع الشظايا شبه الجافة من على الأرض، ثم ألقاها فى صندوق القمامة، وفتح الثلاجة كى يأخذ زجاجة المياه الغازية، ففوجىء أنها كاملة لم ينقص منها شىء !

اتسعت عيناه فى فزع شديد وأخذ قلبه يدق فى عنف .. شعر بالدوار يكتنف رأسه .. السؤال اللعين يدوى



مرة أخرى :

- ما الذى يحدث ؟

فتح المبرد كى يرى الثلج الذى وضع منه فى الكوب .. وجد مكعبات الثلج ناقصة بالفعل .. المكعبات التى ملأ بها الكوب منذ قليل فارغة، ولكن المياه الغازية كاملة !

فى رأسه دارت خاطر واحد :

- عبث شيطانى ..هذا عبث شيطانى ..

برهة مرت ثم هز رأسه فى عناد وهو يحدث نفسه أن ماحدث إنما هو من قبيل تعب ما أو نتيجة لإرهاقه فحسب .. لا بد أنه مرهق لدرجة أنه يتخيل كل ما يحدث .. نعم ..

يعرف تماما أن تفسيره لنفسه غير مقنع على الإطلاق، لكنه يعرف أنه لو استسلم لانهار .. يجب أن يتماسك فى وجه أى خطر من أى نوع .. حتى لو كان خطرا خفيا !



حمل زجاجة المياه الغازية المليئة كاملة وعاد بها لحجرته وقد قرر أن يشرب من الزجاجة مباشرة، وهناك انقبض قلبه فى عنف أمام المشهد المخيف ..

حاسوبه مفتوح على اللقطة التى فيها القاتل وهو يضحك .. ويكرر هذه اللقطة بعينها، ويكررها ..

ويكررها ..

ويكررها ..

ضحك غريب ..

مقبض ..

بدا فى أذنيه كأنه صوت غراب ينعق ..

العالم من حوله يزداد قتامة ..

سواد يكتنف الحجرة ..

ومرة أخرى يتصاعد حدة التوتر داخله فى عنف ..



انقباض رهيب ..

يشعر كأن حوله فى الحجرة حركة من نوع ما ..

أشياء ..

أشخاص ..

أوهام ..

صراخ ..

ضحك ..

هسيس ..

أمسك رأسه بيديه وصاح بأعلى صوته أن :

- كفى !

وقد كان !

الحاسوب مغلق أسود والجو صامت ولا صوت !



همس لنفسه أنه يسير على خطى زوجته بامتياز .. وضحك ضحكة خافتة ..

تناول نفسا عميقا ثم جلس أمام حاسوبه .. من داخله كان يتعجب أن أحد إخوته لم يستيقظ أو أمه ذات النوم الشبيه باليقظة .. كل هذا الضجيج والصياح ولم يأت أحد أو ينادى عليه يطمئن أو يستفهم ؟

غريب ..

قرر أن يخرج ليطمئن عليهم خلسة .. بالفعل ألقى على كل واحد نظرة .. (مصطفى) نائم و(ريم) تفعل شيئا على الحاسوب وأمه نائمة نوما عميقا والفتاتان مازالتا تغطان فى نوم عميق ..

حسنا .. فلنعد للعمل ..

كان على حاسوبه بعض تقارير المعمل الجنائى الخاص بكل جريمة على حدة .. فتح التقرير الخاص بالجريمة الأخيرة وبدأ يقرأ :



" الجريمة تمت فى مطعم فى الاسكندرية، تقريبا فى الواحدة صباحا حيث تم اكتشاف الجثة إثر فتح أحد العمال للمطعم صباحا واصطدامه بالمشهد المروع للجثة دون الرأس، وكانت الرأس ملقاة بعيدا عن الجسد بنحو متر ونصف تقريبا ..

بجوار الجثة منضدة صغيرة ومقعد، وطبق وشوكة وسكين طعام، وعلى الطبق بقايا لحم بشرى منزوع من ذراع الضحية المقطوع .. وبفحص الجثة وجدنا فى فم الرأس عصا صغيرة أو رمح صغير لا يتجاوز طوله الخمس سنتيمترات ..

أشاح الضابط (حسن) عينيه عن الشاشة وهو يفكر .. لم يذكر سيادة المأمور شيئا عن أى قطع معدنية .. لا بد أنه نسى .. وعند هذه النقطة أخذ يبحث فى الصور المرفقة حتى وجد صورة هذه القطعة .. بالفعل تبدو كرمح صغير يدور حوله ثعبانان صغيران وخلفه دائرة حرشفية ما .. الغريب أن هذا الشكل كان مألوفا بشكل ما لديه .. يذكر جيدا أنه يعرفه لكنه لا يعرف أين رآه



من قبل ولا متى ..كانت القطعة تبدو منشورة بعناية من جسم أكبر وليست مصنوعة وحدها فى الأساس ..

جرى بعينيه على تفاصيل الجريمة عسى أن يجد شيئا جديدا، ثم أسرع وفتح تقرير الجريمة الأولى التى شاهدها أولا .. أخذ يجرى بعينيه على السطور حتى وجد ضالته .. ذراع معدنية مفرودة بإصبعين فقط فى إشارة ما، وتبدو من نفس خامة القطعة الأولى .. يبدو أن هذا القاتل يضع أجزاء من تمثال صغير الحجم .. ربما هى رموز ما أو .. مجرد علامة تميزه ؟

ربما ..

فتح التقرير الثالث، ووجد أيضا جزءا ثالثا .. جناحان معدنيان دقيقان .. ما معنى هذا ؟

هذه أدلة لا تقبل الشك على وجود .. وجود شىء ما لا يفهمه ! أى أنه لم يستنتج شيئا من هذه الأمور ولا هذه القطع !



أخذ يفكر بضع دقائق، ثم أفاق على صوت هاتفه يرن .. إنه رقم سيادة المأمور ! بصوت ملىء بالقلق رد على الهاتف، فأتاه صوت المأمور الصارم أن يأتيه حالا فى منطقة قريبة منه وأملاه العنوان ..

والسبب ؟

ضحية رابعة !

* * * *

عندما وصل لمكان الجريمة كان المكان محاطا بقليل من الخبراء وحسب .. لكنهم من كبار الخبراء الجنائيين فى مصر .. من النظرة الأولى للجثة عرف أن لا يوجد إلا بقايا إنسان وبعض العظام المتكسرة فحسب ! كان يبدو وكأن هناك شيئا ما قام بافتراس هذا الرجل .. ومن خبرة (حسن) بالقاتل فلابد أن ما قام بافتراسه فعله وهو حى !

كانت هناك شاشة صغيرة معلقة من السقف ويخرج من جانبها فلاشة صغيرة سوداء دون أى معالم،



وجوارها سهم ورقى كبير كتب عليه باللون الأحمر كلمة (هنا) ..

الموجودون يبدو عليهم الوجوم بشدة .. المأمور بنفسه موجود ؟

هذا شىء غريب ولا يحدث كل يوم؛ لكنه سرعان ماعرف السبب .. الفتى المقتول يمت بصلة قرابة لأحد الوزراء .. هكذا الموضوع يتعقد أكثر فأكثر ويصبح أكثر عرضة للإعلام !

أمر المأمور الضابط (حسن) أن يتفقد المكان جيدا ربما يجد أدلة ما .. كان الضابط يبحث بالفعل عن الرمز المفقود .. أين الجزء المعدنى ؟

عندما سأل عليه وجده محرزا لدى رجال المعمل الجنائى .. هذ المرة كان كرة أرضية فوقها فراغ وكأنما تم تجويف ما فوقها وأمامها قدمان ينتهيا بحافرين .. غريب ..



تأملها داخل كيسها للحظات ثم أعادها .. أخذ يتفقد المكان، ثم طلب نسخة من محتويات الفلاشة .. لا بد أنها تحوى تفاصيل الجريمة الجديدة ..

سرعان ما حصل عليها على اسطوانة مدمجة .. عندما تسلمها ربت المأمور على كتفه وأخبره أنه يعتمد عليه بشدة .. كانت عيناه تحملان كما هائلا من المشاعر .. ما بين الحزم والرجاء واليأس ..أومأ الضابط (حسن) برأسه إيماءة غير مفهومة، ثم غادر المكان بهدوء عائدا لمنزله وقد شارفت الشمس على الشروق ..

وصل لمكان سكناه سريعا، وبينما كان يركن سيارته أمام المنزل كان يفكر :

- لماذا يا أبى أخذت هذه البناية .. كانت شؤما منذ سكنا فيها .. كم تمنى لو يتخلص منها الآن دون إبطاء !

طرد هذه الأفكار من رأسه، ثم دلف للمنزل وصعد السلم بخطى هادئة .. الجو العام هادىء لكنه ذلك الهدوء المقبض الكئيب، وصوت أحد الطيور البرية



ينعق مع نسمات باردة تبعث القشعريرة فى النفس .. فكر أن يدخل عند أمه، لكنه فضل أن يصعد لشقته ويصلى ثم ينال قسطا من الراحة ..

بالفعل عبر من طابق أمه صاعدا نحو شقته وأخرج المفتاح و ..

سمع فحيحا خافتا ..

ومع تكات القفل بدأ يشم تلك الرائحة ..

رائحة عفنة تملأ الجو ..

فتح باب الشقة، فاصطدمت عيناه بالظلام المحدق وبموجة حارة تخرج من قلب شقته مع تلك الرائحة المقيتة .. بالفعل رائحة رهيبة .. وكأن المكان ملىء ببقايا عضوية ما !

وضع منديلا على أنفه ودلف لشقته كى يفهم ما هذا الذى يحدث .. ربما فسد الطعام فى الثلاجة ؟



خطوة وراء خطوة تجاه مصدر الرائحة .. تبدو كأنها تأتى من دورة المياه .. حاول إضاءة أنوار الشقة لكن الظلام يعلن سيطرته على الموقف .. لم يكن النور مقطوعا فى بقية البناية كما لاحظ وهو يصعد .. سيتفقد الأمر لاحقا .. هناك ضوء خافت يأتى من النوافذ؛ فمازالت السماء تتخضب باللون الأزرق القانى ولما تضىء بعد ..

خطوة وراء خطوة فى الظلام ..

باب دورة المياه مغلق .. مد يده وفتحه مسلطا الضوء على أرضية الحمام ليجد هولا !

قط أسود ملقى على جانبه مغطى بالديدان البيضاء .. الديدان تخرج من فمه وأذنه وعينيه وأنفه وتدلف إليهم بكامل الحرية .. على الرغم من ذلك كان يموء فى ضعف وعيناه تمتلئان رجاءا وألما .. يحرك فكيه بمواء صامت أحيانا وبأنين أحيانا و ..

ويتعفن حيا !



ارتجف الضابط (حسن) وكاد أن يسقط من المشهد ..

قدماه ترتجفان بشدة وأسنانه تصطك ومعدته تعلن تمردها على الرائحة البشعة ..

القط يحرك رأسه بزاوية مستحيلة ..

يموء مواءا ضعيفا للغاية، ثم يتحرك .. ينهض مترنحا على قوائمه الأربع فيسقط مكانه بضعف ..

يرتجف الضابط (حسن) أكثر ولا يدرى ماذا يفعل ..

فجأة يطلق القط مواءا طويلا وهو يحاول النهوض فينتثر الدود من على جسده ..

يقف مترنحا ثم يتخذ خطوة تجاه الضابط (حسن) .. وعلى الرغم من أنه شخص شجاع إلا أنه لم يتمالك نفسه فأعطى ظهره لدورة المياه وولى مدبرا .. لن يبيت ليلة وحده هنا حتى يفهم تحديدا ماذا يحدث ..



وعلى باب الشقة قبل أن يخرج التفت وراءه للحظة .. خيل إليه أنه يرى ظلا طويلا أسودا يقف فى منتصف الصالة وسمع صوتا غاضبا ..

لم ينتظر أكثر، وإنما أغلق الباب خلفه وهبط لشقة أمه يلتمس الأمان ..

يجب أن يجد حلا لكل هذا الهراء !

* * * * *

على الرغم من كل هذا التوتر إلا أنه نام !

واستيقظ من نومه فى العاشرة تقريبا محطم الأوصال .. لم يكن يرغب فى الذهاب للعمل اليوم لكن المأمور ينتظر منه تقريرا سريعا بسبب قرابة القتيل لأحد الوزراء .. إذن لا بد أن يشاهد الفيديو الأخير ثم يكتب ملاحظاته المبدئية وليكن مايكون بعدها .. على الرغم من طاقة الغضب التى يحملها تجاه هذا المعتوه القاتل وبالفعل يتمنى الآن الإيقاع به، إلا أنه بالفعل اكتفى من كل هذه الدماء .. نهض من فراشه ودلف لحجرة أمه



يلقى عليها تحية الصباح .. كان المنزل فارغا إلا منهما بعدما ذهب الجميع لمدارسهم وكلياتهم .. صنع لنفسه ولأمه مشروبا ثم عاد لحجرته وحيدا يرشف المشروب ساخنا .. فتح حاسوبه ووضع الاسطوانة مكانها ثم تراجع فى مقعده وبدأ يشاهد ما يحدث ..

يبدأ الفيديو بمشهد ثابت معتاد من الظلام والتمثال والشموع السوداء، لكن هناك ضوء أبيض يأتى من الأعلى يكشف عن الحجرة الفارغة .. الشاب مقيد على الأرض شبه عار إلا مما يستر عورته فحسب ..

ومن طرف الكادر يتقدم القاتل بشكله المعهود يمسك فى يده سكين طويلا منقوشا حادا ورفيعا للغاية .. سار القاتل الهوينى نحو الفتى المقيد المرعوب ومد نحوه يده بالسكين فى بطء .. كان الفتى يتلوى ويتوسل، لكن القاتل فقط قطع قيوده بحركة واحدة تدل على مدى حدة السكين، وبصوت عميق طلب منه الهروب .. قالها وتدلت يداه جواره صامتا !



ظل واقفا بعدا بضع ثوان كأنما تحول لتمثال مصمت يرتدى ملابسا فضفاضة وقفازات سوداء وقناعا !

اعتدل الفتى فى جلسته ونظر للقاتل بتوتر وهو يتحسس يديه إثر انقطاع وثاقه .. أشار له القاتل بالسكين أن اذهب ..

تلفت الفتى حوله غير مصدق ونظر نحو الباب القريب .. نهض ببطء وسار نحو الباب القريب فى حذر غير مصدق .. خطوة تلو خطوة وهو يلتفت نحو القاتل بين الحين والآخر، بينما القاتل مازال ثابتا كما هو .. لا يتحرك ويوليه ظهره ثابتا ..

خطوة وخطوة .. ما أن لمس مقبض الباب حتى استدار القاتل فجأة وطوح يده بالسكين على ظهر الفتى بالكامل صانعا شقا دمويا مخيفا .. تقوس ظهر الفتى وصرخ من الألم والتفت نحو القاتل وعيناه تحملان فزعا رهيبا، فهوى عليه القاتل بطرف السكين مرة أخرى مسببا جرحا قطعيا طويلا فى صدره وبطنه .. صرخ الفتى مرة أخرى والقاتل يسأله فى هدوء :



- ألا تعلم ؟

حاول الفتى أن يهرب لكنه تعثر وانزلق فى دمه فسقط يتشحط فى دمه .. عاجله القاتل بطعنة فى رأسه سمع (حسن) صدى عظمها وهو يرتطم بالسكين .. زحف الفتى ممسكا برأسه بعيدا عن الموت القادم بقسوة، والقاتل وراءه يسأله بهدوء غريب :

- ألا تعلم ؟ يبدو أنك لا تعلم ..

ظل الفتى يزحف حتى وصل لركن ما والتف جواره فى وضع الجنين كأنما يحتمى به .. ظل القاتل واقفا ينظر إليه فى صمت، ثم بخطى بطيئة بدأ يتحرك خارجا من الكادر .. توان وارتفعت موسيقى صاخبة مع كلمات شهيرة .. كلمات أغنية شهيرة عند عبدة الشيطان !

دخل القاتل الكادر مرة أخرى مع الكلمات المتتالية :

I wanna be your slave..



الفتى عند الركن يبكى وينوح ويتأوه ..

..Do every thing you say

مع اقتراب القاتل رفع الفتى كفين داميين كأنما يبغى الدفاع عن نفسه رفع القاتل سكينه وهوى بها على كفه ..

..And if I don’t behave

فشطركفه جزئين من بين الأصابع إلى رسغه ..

..Want you to make me beg

صرخ الفتى ألما، بينما رفع القاتل سكينه مرة أخرى وهوى ..

على كتفه ..

.. I wanna be your slave

على ظهره ..

..Break out the whips and chains



على فخذه ..

..Cause I can take the pain

على جنبه ..

..Make me scream your name

كان يبدو أنه يتخير أماكن القتل التى لا تقتل .. أنهى ضرباته وهو يردد بالعربية من جديد :

- ألا تعرف ؟

لا تعرف ..

كان الشاب منهكا للغاية والدماء تنز منه من كل مكان .. اختفى القاتل عن الكادر قليلا، ثم تناهى للمسامع صوت يشبه الضحكات .. وما لبث أن ظهر ومعه ..

ضبع !

ضبع شديد الضخامة ينبح بصوته القمىء الشبيه بالضحك بلا توقف .. كان يمسكه بعصا معدنية طويلة



تبدو وكأنها تعطيه دفعات كهربائية إذا ما حاول التمرد .. ما أن رأى الضبع الشاب المنهك وشم رائحة الدماء حتى ازدادت حركاته عصبية وتوحشا وازداد الكلب رعبا وصراخا مذعورا ..

وقف القاتل أمام ضحيته لثوان .. ثم أطلقه عليه !

الضباع حيوانات قذرة.. قذرة للغاية؛ إذ أنها لا تقتل ضحيتها أولا ثم تلتهمها كما تفعل الأسود، بل تبدأ بالتهامها من مؤخرتها وأقدامها وهى حية !

ضاعت صرخات الفتى مع هجوم الضبع الرهيب يفترسه ..

وقف القاتل قليلا يتأمل المشهد .. الضبع كان شرسا لغاية ويتعامل مع الفتى بعنف زائد .. أخذ يمزق كل ما يلمسه من الفتى، بل وسمع الضابط حسن صوت العظم وهو ينسحق تحت وطأة الفكين العملاقين القويين ..

دقائق مرت حتى انتهى الضبع منه تماما وتركه أشلاءا كما وجدها الضابط (حسن) لاحقا .. هنا تحرك القاتل



وفتح الباب للضبع كى يخرج هائما فى قلب الصحراء السكنية دون اهتمام بما يمكن أن يفعله فى الناس وأغلق الباب وراءه بهدوء .. ثم ألقى وسط الأشلاء شيئا معدنيا لامعا وهو يقول بصوت هادىء مسموع متوجها نحو التمثال :

يا إلها خانه الحظ ومُنِع المديح ..

يا أمير الغربة المظلوم ..

يا من علمتنا عبادة الدم وحب الأسمال ..

أبانا الذى تقبَّلنا بعد أن طردنا الله ..

المجد والمديح لك فى السماء والجحيم ..

تقبل منى !

وأمام عينى (حسن) المذهولتين تحرك التمثال واقفا مشيرا بيده نحو القاتل و .. ساد الظلام بضع لحظات



ثم ظهر اسم (حسن) الرباعى على الشاشة لوهلة قبل أن سود الظلام الدامس معلنا انتهاء الفيديو !

* * * *

من مذكرات واعترافات (ريم) :

فشلنا تماما فى التخلص من الأوراق .. ككل قصص الرعب رمينا الأوراق فوجدناها على فراشى .. سرق (مصطفى) حمضا من المدرسة وألقاه عليه فانساب كالماء ليحرق الأرضية !

لا فائدة ..

هكذا قررنا أن نحتفظ به فى مكان أمين حتى نسأل شخصا عما ينبغى أن نفعل به .. أخشى أن يتم إذاؤنا لو تصرفنا تصرفا خاطئا .. اقترح أخى أن المكان الأكثر أمانا هو غرفتى !

جبان .. طفل جبان ! وافقت على مضض وبالفعل وضعت الأوراق تحت ملابسى ..



مر اليوم سريعا، ولكن فى المساء جافانى النوم تماما .. التفكير يسيطر علىّ .. ترى ما الذى فى هذه الأوراق ؟

أعرف أن هذه حماقة لكنى نهضت وأحضرت الأوراق وجلست لأتصفحها .. كنت خائفة بالفعل لكن الفضول كان أقوى من خوفى !

* * * *

الفضول قتل القط !

* * * *

عندما أخذت الأوراق لأتصفحها، لم يكن ببالى أبدا سوى أنها أوراق قديمة بالية ربما تحوى بعض الطلاسم فقط وهو الذى تسبب فى هذه الحركات الخوارقية .. لم أكن أدرى أن مجرد القراءة خطر كبير ليس له حد ..

* * * *



جلست على سريرى مساءا أتصفح الأوراق لقد تناولنا جميعا العشاء منذ قليل وذهب كل منا كى ينام فى حجرته .. أبى وأمى معتادان دوما على النوم فى تمام العاشرة .. وأخى ربما يسهر قليلا يتابع مذاكرته ثم ينام هو الآخر .. أى أن الدار أمان .. فلأشبع فضولى إذن بدلا من هذا الأرق !

الأوراق كلها ذات شكل قديم غريب، لكنه مألوف نوعا .. ربما شاهدت ما يشبهه فى الأفلام الأجنبية .. كل صفحة تحمل كما كبيرا من الكلمات اللاتينية والرسومات العجيبة التى لا تفهم ما الغرض منها بالضبط .. أخذت أتأمل الأوراق ورقة بعد ورقة .. رويدا رويدا تحول خوفى إلى استمتاع بهذا الفضول وإن كان قلبى يرتجف بين الحين والآخر .. مع استمتاعى هذا أنا أعرف جيدا أنى ألعب بالنار وأنى أقف على حافة الخطر ..

حتى وصلت لآخر صفحة .. يا الله .. ماهذه الروعة ؟



أتذكر أن أخى الأحمق حكى لى عنها سريعا لكنى لم أتخيل قط أن تكون بمثل هذا الجمال !

كان رسما رائعا شديد الإتقان لشاب جميل جميل يرتدى ملابسا بيضاء تشبه ملابس حكماء اليونانيين القدامى .. الرسم كان عجيبا جدا، كان كأنه يبرز من قلب الورقة فيأسرك بنظرة عين خلابة فعلا .. أنا لم أر فى حياتى رسما بهذه الروعة قط .. الحقيقة أنى ظللت وقتا طويلا أحدق فى الرسمة وتفاصيلها، حتى رأيت شيئا غريبا لاحقا .. وكأن هناك جناحان ينفردان وراء الشاب وفوق رأسه تتكون تلك الهالة التى تميز الملائكة والقديسين، وبدا وكأن وجهه يشع نورا وبهاءا وجمالا .. الجناحان والهالة موجودان منذ البداية لكن ظهرا لاحقا لعينى .. لست أعرف كيف حدث هذا !

تلاحقت أنفاسى انبهارا، ومددت يدى أتحسس الصورة وأتأكد من وجود الرسم وأنه رسم حقا .. الرسم موجود ومرسوم بدقة شديدة .. هل أنا لم أره منذ البداية فحدث معى خداع بصرى ؟ أم أنه مرسوم بدقة وحرفية تجعله لا يظهر للعين إلا بعد فترة ؟



لا أدرى .. فقط أخذت أتأمل الصورة من جديد وأتابع تفاصيل جسده وثنايا عضلاته بشغف .. هذه الصورة لا تمل أبدا من التحديق فيها بالساعات .. ولن تصدقنى إذا قلت لك أنى ظللت أحدق فيها قرابة الساعة كاملة، ثم أغلقت الأوراق وفردتها تحت فراشى ونمت .. دون خوف أو قلق وكأن كل قلقى امتصه ذلك الرسم الجميل ..

وفى هذه الليلة حلمت بالملاك لأول مرة ..

كنت مستغرقة فى نومى ثم فتحت عينى بهدوء واعتدلت فى فراشى وسط الظلام .. ثم ذابت حوائط حجرتى وتبدلت لتظهر من خلفها النجوم لامعة جميلة مريحة نفسية، وهناك ضوء أزرق بنفسجى خفيف يحيط الكون من حولى .. حتى الأرضية ذابت وفراشى يبدو وكأنه يطير فى قلب الكون نفسه، ومن لا مكان جاءنى صوت جميل كالموسيقى .. صوت عذب رائع يدلف لقلبك مباشرة ويتخلل خلايا جسدك !



لم أكن أدرى ماذا يقول هذا الصوت فى البداية، لكنى كنت سعيدة به جدا، خاصة مع الجو المحيط وكأنى أسمع موسيقى خلابة .. ثم ظهر أمامى ببطء فى السماء .. أمام فراشى مباشرة ..

ملاك !

نفس الملاك الذى رأيت صورته فى الأوراق .. ظهر جميلا بهيا رائعا منتصبا أمامى فى كامل بهائه، يشع نورا أبيضا صافيا جميلا ..

وتكلم معى ..

أخبرنى أنه يحبنى ويرغب فى الخير لى .. وأخبرنى أن الناس تسىء فهمه عندما يحاول مساعدتهم .. وأنه لا يريد بأحد إلا الخير فقط .. وأن هناك سوء تفاهم كبير، ثم طلب منى الثقة فيه !

- هل ستثقين فىَّ ؟



همست فى حلمى أن : نعم .. فابتسم هو الآخر وتراجع للخلف و ..

واستيقظت من نومى سعيدة .. تجربة جميلة حقا .. بطرف عينى لمحت شيئا ما على وسادتى .. نظرت لأجد تلك الزهرة .. زهرة جميلة بهية رائعة تشع نورا هى الأخرى، وحينها تردد الصوت فى أذنى عذبا : الزهرة هى أنا .. إن حافظى عليها تحافظى على ..

ابتسمت ونهضت من نومى بسلاسة وكأنى نمت لعام كامل، ووضعتها فى كوب ماء جوارى، ثم ارتديت ملابسى وذهبت للجامعة مباشرة !

دون اغتسال أو حتى غسيل وجه !

* * * *

الأم :

لم أدر قط سبب احفاظ (ريم) بتلك الزهرة البشعة فى حجرتها !



الفصل السادس

(مطرقة الساحرات) !

عندما يختار الشيطان ساحرة ويتم طقوسه معها فلا سبيل لنجاتها ونجاة من حولها إلا بحرقها حية ! (هاينريش كريمر) مؤلف كتاب (ماليوس ميلفيكاروم).

(ريم) :

عندما عدت من جامعتى كان كل مايشغل بالى أن أنام .. أريد بشدة أن أقابل الملاك الجميل مرة أخرى .. ولكن عندما تنتظر النوم لا يأتيك بسهولة .. ظللت أتقلب على فراشى أفكر .. أعبث قليلا بهاتفى .. آخذ كتابا وأقرأ فيه ثم ألقيه .. أحاول الكلام مع (وسام) لكن الأحمق غير موجود .. ما الذى يجعلنى متأكدة من أنى سأراه الليلة ؟ أليس من الممكن أن يكون كل ذلك مجرد حلم طويل جميل ولن يتكرر ؟



الوردة هى الدليل .. من أين أتت الوردة ؟ بل من أين جاءت تلك الوردة الملائكية الرائعة أصلا ؟ إنها وردة لا وجود لها فى الأرض من الأساس !

مر الوقت بطيئا ولست أدرى كيف انزلقت فى النوم ورأيته ..

هكذا مباشرة .. بمجرد أن أغلقت عينى رأيته فى حجرتى وكأنى لم أنم .. خرج لى من الحائط بصورة جميلة جميلة وبهية ورائعة لأقصى درجة جعلت قلبى يدق فى عنف .. وقف ينظر لى فى هدوء مبتسم، ثم ارتفع عن الأرض وفرد جناحيه الرائعين الذان اخترقا جدران الحجرة فى نعومة ..

سألته بصوت منبهر :

- أأنت ملاك ؟

عندما سألته اختفت البسمة من وجهه وقل الضوء المنبعث منه وضم جناحيه، وبدا وكأن المكان يظلم إلا



من ضوء خفيف يأتى من لا مكان .. ساد الصمت لثوان ثم قال بصوته الموسيقى الجميل :

- نعم .. أنا ملاك .. منبوذ !

اتسعت عيناى وتلاحقت أنفاسى .. ملاك منبوذ ؟ ما معنى هذا ؟

دار حولى وأمسك يدى ثم ارتفع ببطء، فوجدت نفسى أحلق معه فى سماء الحجرة !

ثم انطلقنا معا مخترقين الحوائط نحو السماء ..

نحو النجوم الصافية ..

الجو منعش رائع والسماء صافية جدا والنجوم لامعة بشكل غريب، وهناك من منظور علوى رأيت الملائكة !

نعم ..

بين واقف وساجد وراكع .. بين محلق فى السماء أو يدور حول الناس يفعل شيئا لمساعدتهم .. سألنى



بصوت رقيق :

- هل نحن أشرار ؟

أومأت برأسى نفيا فى حماس .. كيف يكون الملاك شريرا ؟

أومأ هو الآخر برأسه فى أسف، وعاد يدور فى السماء دورة واسعة .. ما أجمل هذا الشعور بالخفة والانطلاق والطيران فى السماء .. وما أجمل لمسة يده ليدى .. دار معى دورة فى السماء ثم استوى جالسا فى الهواء وتركنى سابحة أمامه بلا خوف .. سابحة فى الهواء أفعل ما يحلو لى، لكن ما حكاه لى جعلنى أنتبه وأترك اللهو .. قال لى :

- هناك سوء تفاهم كبير كما أخبرتك من قبل .. لا أحد من البشر يدرى الحقيقة الكاملة .. الحقيقة أننا كنا ملائكة نعبد الله القوى القادر فى السماء، ثم جاء جدكم آدم .. وفجأة تحول الاهتمام لآدم .. لم يكن أحدنا يفهم شيئا من هذا التحول، ولم نكن نهتم أن



نفهم .. حتى طلب الله منا السجود لآدم .. رفض أحدنا السجود، وتعاطف معه آخرون .. فكان رد الفعل هو ..

النفى التام !

ومع كلماته تحول المشهد من حولنا لأرى سماءا زرقاءا صافية يتساقط منها آلاف الملائكة من السماء .. يتساقطون ويحترقون، ومع ذلك ينظرون للسماء نظرة كلها أمل ورجاء .. وسط النيران التى تلتهمهم يحاولون التحليق نحو السماء .. ثم يسقطون نحو الأرض ..

وتتتابع كلمات الملاك :

والعجيب أنه كان خطأ واحدا - لو كان خطأ - .. نحن لم نرفض السجود لكننا فقط لم نفهم الحكمة .. كبيرنا سأل متعجبا عن سبب السجود، فكان التعامل العنيف معه ومعنا والطرد والإقصاء ..

صمت برهة، وتغيرت المشاهد حولنا مرة أخرى لأرى الأرض تحتنا حمراء قبيحة وأصوات مختلطة مابين



الضحك والصراخ والصياح والآهات المستمتعة والمتألمة .. هناك بشر يشربون الخمور وبشر يزنون، وهناك من يذبحون أناسا آخرين، وهناك من يعذبون بسادية .. وهناك من يقطعون لحم بعضهم ويأكلونه وهناك من يدفعون بجيوش جرارة ليبيدوا بلادا بكاملها، وهناك من يلقى المتفجرات فى مدارس أطفال، وتدوى أصوات الانفجارات والرصاصات، بينما أسمع صوت عظام تتكسر فأنظر تحتى لأجد دبابات تدهس شبابا وآخرون يدفنون بشرا أحياء .. هناك من يقيدون الناس ويقطعونهم بالسكاكين دون مبالاة بصراخهم وألمهم ..

صرخت ووضعت كفى على عينى ..

اختفت المشاهد القاسية وعادت السماء السوداء بنجومها الهادئة تحيط بنا .. غلب الحزن على صوت الملاك الجميل وهو يكمل :

- ثم يسامح هؤلاء !



ما الخطأ الرهيب الذى قمنا بها كى نعاقب بالنفى للأبد ؟

ساد الصمت ثوان .. ثم عاد النور يسطع فى المكان وتتبدل المشاهد لأشعر بالأرض تحت قدمى وتتكون جدران حجرتى من حولى .. لكن الحجرة مليئة بالزهور والفراشات الجميلة .. واستطرد قائلا :

- ولكنا مع ذلك نحب البشر .. نحب أن نخدمهم .. نحب أن نصنع لهم الخير .. هكذا خلقنا الله نحب الخير فقط ولا نملك إلا أن نفعل الخير، وعبر الأزمنة كل واحد منا يختار بشرا كى يساعده لكن البشر كثيرون .. هناك من يرانا وهناك من نساعده بشكل غير مباشر .. احيانا تكون مساعدة بسيطة كأن ننقذهم من حادث وأحيانا تكون مساعدتنا لمن يستحق الثقة مثلك أكثر .. لقد اخترتك أنت وسأحقق لك كل ما تتمنينه كل شىء .. وسأقول لك كيف ..

وعند هذه النقطة استيقظت ..



فقط فتحت عينى على فراشى ولم أتحرك .. ظل صدرى يعلو ويهبط وأنا أحدق فى السقف ..

ما الذى يحدث ؟

ما ..

الذى ..

يحدث ؟

* * * *

فى اليوم التالى ذهبت لكليتى كالعادة، لكنى لم أفهم شيئا من المحاضرات على الإطلاق .. المحاضرون يذهبون ويأتون وأصحابى يثرثرون ويمزحون وياكلون وكأنى أشاهد فيلما بالحركة السريعة .. حتى الأوقات لم أميزها .. وإنما حدث معى شىء عجيب للغاية ..

مسجد الكلية فى الطابق الأسفل .. عندما جاء وقت الظهر دلفت للحمام كى أتوضأ كعادتى مع صديقاتى



وإن كنت زاهدة فى الصلاة هذا اليوم ! عندما بدأت أتوضأ وجدت الماء يؤلمنى !

نعم .. هل تعلم ذلك الشعور عندما تكون فى يناير، وتكون مصابا بالبرد الذى يحطم عظامك وجسدك كله يرتجف، ثم تضطر للقيام كى تتوضأ، فلا تجد إلا مياها مثلجة كى تتوضأ بها ؟

إنه شعور قريب من هذا ولكنه أسوأ .. أنهيت وضوئى بالكاد، ثم نزلت كى أصلى، فلم أجد المسجد !

كان يوجد جدار مصمت كبير لا ينتبه إليه أحد .. وأصلا لايوجد حولى أحد !

وقت ثوان مشوشة لا أدرى ما الذى يحدث .. أين المسجد ؟

وقف ثوان لا أعرف ما الذى يحدث، ثم اخترق سمعى تكبيرة ..

الله أكبر ..



ما أن سمعت الكتبيرة حتى وجدت باب المسجد أمامى بغتة وكأنما ظهر من العدم !

توترت بشدة .. ولكنى دخلت للمسجد رغما عنى بدفع إحدى صديقاتى .. جسدى كله يرتجف وكأنى موصلة بتيار كهربى شديد القوة ..

وصليت ..

صلاة عجيبة للغاية .. أجاهد لأرفع يدى، وأحارب لكى أركع وأبذل مجهودا خرافيا كى أعتدل ثم أنهار على الأرض ساجدة فلا أقوى على الاعتدال إلا بمشقة بالغة، ثم أنهض وكأن أحدا ثقيلا جالس على كتفى ! ناهيك عن أنى لم أكن أدرى ماذا أقول أصلا ..

أنهيت صلاتى خرجت من المسجد منهكة القوى .. لا أستطيع السير إلا بالكاد وأشعر بدوار عنيف للغاية .. جلست جانبا جوار جدار المسجد حتى استعدت شيئا من قوتى وحولى الفتيات يبدون قلقات على .. تحاملت على نفسى وابتسمت مدعية أنى يجب أن



أذهب للمنزل الآن .. فليفهمن ما يردن أن يفهمنه، المهم أن أبتعد عن هذا المكان .. بعد بضعة خطوات من المسجد - وعلى الفور - عادت قوتى إلى !

هناك شىء ما خطأ !

شىء لا يشبه تجربتى السابقة ..

يجب أن أتحدث مع هذا الملاك لأفهم ..

* * * *

عندما نمت هذه الليلة لم أر الملاك ..

ولا فى اليوم التالى ..

ولا الذى يليه ..

أسبوع كامل مر على وأنا محتارة ..

هل هكذا انتهى كل شىء ؟



أما الوردة التى بجوار السرير فكانت تتساقط أوراقها يوما بعد يوم وتذبل وأنا أراقبها بقلق، وكثيرا ما طلبت منى أمى التخلص من هذه الوردة القبيحة ..

قبيحة !

لست أدرى كيف تقول عليها قبيحة وأنا أراها أجمل زهرة فى الكون !

وبعيدا عن ذلك فهى الذكرى الوحيدة التى تربطنى بالملاك الجميل .. طبعا لست بحاجة لأن أقول أنى لم أصلِّ قط خلال هذا الأسبوع .. حتى جاء اليوم السابع، وتساقطت فيه آخر أوراق الزهرة .. تبقى فقط القلب الأحمر الذى كانت تنبعث منه الأوراق ..

وفى هذه الليلة ظهر لى الملاك ..

ظهر فى الحقيقة هذه المرة وليس فى الأحلام !

وتحدث معى ..



كثيرا !

* * * *

حسنا .. لقد اقتنعت بكل ما قاله .. خاصة أنه أخبرنى أنه يريد لى خيرا فقط .. فقط سأقدم بعض الأشياء البسيطة للغاية له ولن أفعل شيئا ضد رغبتى قط .. وعلاوة على ذلك فسيلبى مطالبى إن أردت شيئا .. كل فترة طلب بسيط سيطلبه منى وأنا نائمة مرة واحدة كل ثلاثة أيام او أربعة .. فلنر ماذا سيطلب ..

* * * *

اليوم الأول :

طلب منى أن أذهب لأى مكان قريب وأختار شجرة ضخمة عجوز .. شجرة لا تثمر أى ثمار من أى نوع، وهناك أختار غصنا طويلا شبه مستقيم، وأكسره من الشجرة مستخدمة سكينا حديديا لم يستخدم من قبل قط، ثم أعود إلى منزلى .. فقط .. وهو طلب بسيط للغاية .. حولنا أشجار جافة كثيرة وأعرف رجلا ممن



يبيعون أدوات مطبخ رديئة لابد أن أجد عنده تلك السكين ..

وقد كان !

* * * *

اليوم الثانى :

طلب منى أن أهبط للقبو وحدى تماما ومعى هذا الغصن الطويل، ثم أشقه بالطول نصفين بدقة مستخدمة نفس السكين الحديدى الذى استخدمته بالأمس .. والنصف الأول هذا أكسره إلى ثلاث قطع متساويات وأصنع منها مثلثا، والنصف الثانى أضعه بالطول واقف فى منتصف المثلث .. بالطبع يجب أن يكون مرتكزا على أى شىء .. لم يكن هناك شىء قريب منى غير مصحف صغير .. ارتجفت من الفكرة، لكن طيفه الشفاف الرقيق كان موجودا معى وأخبرنى ألا أخاف وأستخدمه .. هذا المصحف مجرد كلام مكتوب فقط، وكل ما سأفعله أنى سأستخدمه لأجعل الغصن يقف منتصبا فحسب ..



كنت خائفة حقا، لكنى فعلت ما أمرنى به .. ثم أمرنى أن أردد كل اسم من الأسماء التالية مائة مرة ومرة قبل الفجر .. لم تكن مشكلة لأن الليل مازال فى أوله :

طلطائيل ..

سمسائيل ..

كازن ..

سافك ..

بافوميت ..

عندما كنت أنهى ما أقوله كان هناك طيف يظهر .. يظهر ويختفى .. أحيانا أشعر بحر لافح وأحيانا أشعر ببرد قارس .. لكنى قلبى كان دائما منقبضا .. يطمئننى وجود طيف الملاك معى فقط ..

عندما أنهيت ما أقوله ظهر أمامى من لا شىء ما يبدو وكأنه قطعة جلد عليها رسومات وكلمات وأشياء غريبة



لا أدرى كنهها .. وأمرنى بالتوقيع عليها بصوت رقيق ..

لكن .. كيف أوقع عليها ؟

ليس معى قلم ..

أخبرنى أنه يقبل منى أى شىء كتوقيع .. وكل ما يخرج منى فهو طاهر لأنه خرج من نفس بشرية ..

وطلب أن ..

أن ..

أقضى حاجتى وأوقع بها على الورقة !

حسنا .. كان موقفا غريبا مقززا، لكنى لم أستطع رفض هذا الأمر .. الوقت سار بسرعة غريبة وألمح الفجر يقترب !

بالفعل .. ولا تسألنى كيف قضيت الليل كله هنا لأنى لم اشعر بانقضاء أكثر من ساعة !



على الرغم من تقززى الشديد إلا أنى فعلت ذلك ووقعت ببقايا العصا المحترقة التى كانت داخل المثلث ..

عندما أنهيت ذلك سمعت صوت ضحك كثير كأن المكان ممتلىء بمجموعة كبيرة من الناس، وظهر أمامى الملاك متجسدا هذه المرة أيضا وليس مجرد طيف .. لكنه ظهر كأبهى ما يكون وأجمل ما يكون وملأ جناحاه المكان بالضياء، وأعطانى شيئا يشبه قطعة الجلد التى وقعت عليها .. وطلب منى قراءتها وحفظها جيدا ..

حسنا .. كانت كلمات لم أفهم معناها جيدا، لكنى حفظتها .. فهمتها ولا أدرى كيف، ثم طلب منى أن أصعد لأنام وغدا يوم آخر ..

صعدت ونمت .. لم اذهب لكليتى طبعا، ولم أستحم أو أغتسل .. لست أدرى لماذا لا أطيق الماء الآن ..

* * * *



اليوم الرابع :

لقد حلمت به بالأمس .. طلب منى أن أحضر أرنبا وقطا وفأرا .. ظل يعيد ويكرر ما يطلبه حتى استيقظت .. لماذا يريد هذه الحيوانات بهذه الشدة ؟

لم يكن الأمر صعبا .. هناك قط لطيف يتجول حول منزلنا ويتمسح بنا من حين لآخر .. وهناك محل دواجن قريب، ويمكننى شراء فأر أبيض من أى محل حيوانات ..

فعلت ذلك، وكان سهلا على أن أدخل بهذه الحيوانات للمنزل .. (مصطفى) مشغول بمذاكرته، وأمى وأبى مشغولان بالتلفاز .. هكذا نزلت للقبو سريعا وتركتهم هناك فى الحمام المغلق كى لا يهربوا، وإن حرصت على تقييد القط تحديدا كى لا يهرب أو يفترس الأرنب أو الفأر ..

ثم صعدت وأكملت يومى بطريقة عادية، إلى أن اقترب منتصف الليل .. تسللت وهبطت للقبو .. هناك



وجدت الملاك الجميل يقف مبتسما فى انتظارى .. وكان الطلب الأصعب على نفسى ..

بهدوء طلب منى أن أذبح الحيوانات بالترتيب .. الأرنب ثم القط ثم الفأر ..

اصابتنى صدمة ..

أنا لا أستطيع قتل كائن ما .. هذا غير ممكن ..أنا حتى لا أقتل الحشرات التى تهاجم منزلنا قط !

أخبرته أنى لا أستطيع فتجهم وجهه وخفت الضوء المنبعث منه وظهر عليه الحزن ..

قال لى فى صوت حزين أنى لا أثق به ..

أنه ربما .. أخطأ باختيارى ؟!

وأن الناس يذبحون الحيوانات والطيور التى آكلها كل يوم كما سمح لنا الله .. وأنى يجب أن أثق به وإلا فكل شىء سينتهى الآن !



ظللت صامتة .. أنا لا أستطيع فعل ذلك .. أخبرته مرتجفة أنى أرغب بالفعل فى طاعته لكنى لا أستطيع فعل ذلك فحسب ..

أخبرنى بصوته الجميل عن طريقة سهلة .. أضع الحيوان على الأرض، ثم أدفع السكين داخل عنقه من الجانب .. فقط ..

كنت حائرة للغاية .. أخذت نفسا عميقا .. من داخلى كان يرتفع صوت صراخ أن لا .. لا .. لا .. ولكنى أومأت برأسى إيجابا؛ فتصاعد من داخلى سؤال بنبرة حادة :

- لماذا افعل ذلك ؟

لم أجد إجابة .. فقط دلفت للحمام وأحضرت الأرنب اللطيف، وفعلت مثلما قال لى .. أسندته على الأرض، ووضعت طرف السكين فى جانب عنقه، وبضربة واحدة على مقبض السكين كانت قد انغرست فى عنقه إلى أن لامس طرف السكين الأرض !



بسرعة وضعت جسده المتشنج فى طبق كى أجمع دماءه كما طلب منى ..

كان أرنبا أبيضا جميلا .. كم مزق قلبى عندما تشحط فى دمه .. ورغما عنى بكيت بصوت .. ولكن ..

جاءنى صوته الجميل أن أحضر القط .. عندما دلفت إليه كان يموء مواءا يمزق نياط القلوب .. فككت قيد رأسه ببطء، بينما كان يتمسح بى ويلعق يدى .. حملته ووضعته بالخارج على الأرض .. أسندته بالكاد وأنا أهتز من فرط البكاء .. وسريعا ما وضعته فى الطبق يتشحط فى دمه هو الآخر، لكنى لن أنسى قط نظرة عين هذا القط ..

وفعلت المثل مع الفأر .. هذا كان سهلا إلى حد ما بالمقارنة بالاثنين الآخرين ..

فى النهاية طلب منى أن أحتفظ بالدم فى زجاجة مغلقة وأن أخلطه ببولى !

لست أدرى لماذا لم أشعر بالتقزز هذه المرة .. هل أصابتنى البلادة ؟

جمعت جثث الحيوانات الثلاثة ومسحت الآثار الدموية، وحملت زجاجتى الدموية وصعدت لغرفتى ونمت مباشرة .. لقد كانت ليلة عنيفة جدا .. ليت هذه الطقوس السخيفة تنتهى .. أنا لا أعرف لماذا أقوم بها أصلا .. ولكن ..

عندما أتذكر ما سوف أطلبه منه بعد ذلك أجد أن الأمر ربما يستحق بالفعل كل هذا العناء !

* * * *

اليوم الرابع :

انقطع عنى الملاك أسبوعا هذه المرة .. لم أكن أدرى ما السبب، لكن السىء حقا أنى اضطررت للاستحمام بسبب اللعين (مصطفى) .. اشتكى لأبى وأمى من رائحتى، فكان أن تشاجرنا واضطررت للاستحمام .. لم أكن أطيق الماء، لكنى أنهيت المهمة السخيفة سريعا ..



فى هذه الليلة ظهر الملاك لى وطلب منى الخروج ليلا من المنزل والذهاب لأى مكان خال قريب ببعض الأشياء البسيطة !

كان هذا سهلا، فما أكثر المنازل القريبة المهجورة أو تحت الإنشاء ..

تسللت من المنزل، وذهبت لفيلا قريبة .. صاحب الفيلا أنهى بناءها للتو، لكنه لم يبدأ فى تشطيبها ..

تسللت إليها فى جوف الليل والظلام ورائحة الملاط الحديث مختلطا برائحة الأسمنت .. الظلام كثيف للغاية والأرض عبارة عن طبقة من الرمال الصفراء وحسب .. كان معى كشاف كبير يشبه المكواة فى حجمه، وضعته على الأرض وبدأت أنفذ مايجب أن أنفذه ..

هناك - وكأنى فعلت ذلك مرارا وتكرارا - رسمت دائرة بالدم الذى كان معى فى الزجاجة .. الغريب أنه لم يتخثر .. وداخل الدائرة نجمة خماسية، وكتبت داخلها



الأسماء الخمسة التى رددتها من قبل، وكان معى بذور قمح وشعير كما طلب سابقا .. لم يظهر لى الملاك لكنه كان يهمس فى أذنى طوال الوقت بما يجب على فعله .. كتابة أسماء معينة داخل النجمة ورسم أشكال محددة فى أماكن معينة من النجمة، ثم أعطانى شمعتين سوداوين بيدين ممدودتين من قلب العدم !

طلب منى إشعالهما وأمسكهما كل واحدة فى يد، وأن أدور حول محيط الدائرة وأن أنشد ما حفظته من قبل وألا أملّ !ظللت أفعل ذلك قرابة الساعة أو أكثر .. وعندما بلغ بى التعب مبلغه وتوقفت لاهثة أمرنى بالجلوس داخل الدائرة جلسة القرفصاء وأكمل إنشادى !

ظللت أفعل ذلك فترة أخرى، وفجأة حدث شىء مخيف .. أو ظهر شىء مخيف كى أكون دقيقة !

ظهر أمامى مباشرة يرمقنى فى قسوة مخيفة .. لست أدرى كيف أصفه تماما .. هو رجل له رأس كبش أو



تيس، ومن ركبتيه إلى نهاية قدميه حوافر ماعز كما صوروا لنا الشيطان قديما ..

شكله مخيف للغاية ورائحته منفرة .. صرخت من المفاجأة والرعب وشعرت أنى أكاد أن أفقد وعيى لولا أن همس الملاك فى أذنى ألا أخاف وأعطيه العقد ..

أى عقد ؟

وجدته ظهر أمامى هو الآخر .. ذلك العقد الذى كنت قد وقعت عليه بالروث .. لكن العقد ؟

العجيب أنى لم أفكر فى هذا الموضوع قط .. عقد ماذا بالضبط ؟

على كل فقد مددت يدى وتناولته من الهواء المظلم حيث كان معلقا، وبيد مرتجفة أعطيته لذلك الـ..

الـ ..

هل هو الشيطان ؟



كيف ؟

أخذها منى المخلوق المخيف وهو يخور، وفتحها لثوان ثم قال بصوت غليظ .. كأنه صوت تكسير أغصان أو تحطيم عظام :

- مقبولة ..

هنا أغشى على بينما رأيته يرفعا حافرا استعدادا لكى يركلنى ..

لحظات ثم أفقت على الأرض الرملية وسط الظلام الدامس .. حتى ضوء الكشاف اختفى تماما .. نهضت بصعوبة متكسرة الأوصال وأنا أشعر بألم كاسح فى مؤخرة ظهرى .. تحسستها لأصرخ من الألم .. لقد ركلنى هذا الـ .. لا أعرف .. ركلنى وإحساسها يشبه إحساس الحرق !

بخطى لينة لا تكاد تستقر ذهبت لمنزلى ..

يجب أن أنام ..



يجب أن أنام ..

تسللت داخلة دون أن يشعر بى أحد حتى أنى دلفت للمنزل ثم للشقة ثم لغرفتى مباشرة دون أن يعترض طريقى أحد، وارتميت على فراشى لأكتشف أنى قطعت كل هذه المسافة فى الليل والشوارع عارية !

صرخت وكتمت صراخى بالوسادة ونمت .. لكن عندما نمت كان نومى كوابيسا .. هناك شخص ما كان يظهر لى باستمرار ويخبرنى أنى بعت نفسى للشيطان وسأتلقى الثمن المناسب ..

كان الشخص يظهر ويختفى .. يتقدم نحوى بخطى ثابتة ويختفى .. هناك نيران تشتعل وتنطفىء .. هناك ثعابين وعقارب وديدان وعناكب تسير على جسدى ولا أستطيع حتى الصراخ والاعتراض، ثم أسقط فجأة من أعلى نحو هوة سوداء عميقة .. وبينما أهوى تشتعل النيران حولى فأصرخ .. يومها استيقظت صباحا على صوت أمى الحبيبة تحتضننى وهى ترتجف وتحاول



أن تطمئننى .. انهرت فى حضنها باكية .. رباه .. ما الذى فعلته بنفسى ؟

* * * *

فى صباح اليوم التالى جاءنى هاتف على هاتفى المحمول من شخص لا أعرفه .. كان يتكلم باحترام شديد للغاية وبلغة عربية صحيحة أن هناك سيارة ستأتى لكى تقلنى غدا فى التاسعة مساءا لأن الكاهن الأكبر يريد مقابلتى !

كاهن أكبر ؟

كاهن ماذا بالضبط ؟ ويريد مقابلتى أنا ؟

رباه .. ماذا أفعل ؟

رددت عليه أنه بالتأكيد مخطىء لأنى لا أعرف كهنة و..

وتحول صوته تحول من الرقة والتهذيب للوحشية والشراسة ..



بصوت قاس بارد أخبرنى أن لا مجال للمناقشة .. لا مجال للتراجع .. والموت هو المقابل الوحيد لسيد النور والظلام !

شعرت بشعور فأر يغرق فى مستنقع .. أنا وحدى تماما الآن ..

من فرط جزعى نمت مرة أخرى وحلمت ..

حلمت بشىء يجب أن أفعله الآن وبعد خروج أبى وأمى وأخى من المنزل ..

ولا مجال للتراجع !

* * * *

الأم :

هبطت للقبو فى وجل وأنا خائفة بالفعل مما يمكن أن أجده .. ليست عندى فكرة واضحة عما يمكن أن أجده بالتحديد .. لكنى أنزل فى بيت مسكون أقمنا فيه



جلسة طرد أرواح شريرة من جسد ابنتى عقب أن وجدنا جثة مجهولة فى قبونا !

قبل أن أهبط وضعت سورة البقرة على هاتفى قيد التشغيل بأعلى صوت ممكن و .. توكلت على اللّٰه ونزلت ..

القبو له بابان .. الباب الأول يفضى للسلم ثم تجد الباب الثانى ..

مع الخطوة الأولى بعدما فتحت الباب الأول شممت رائحة عطن قوية ورائحة قِدم عنيفة منفرة .. هل هناك شىء متعفن بالأسفل أم .. ربما ماسورة مجارى سربت شيئا منها مسببة هذا العطن ؟

أكملت نزولى فى وجل .. لكننى أسمع صوت موسيقى يأتى من القبو .. موسيقى صاخبة ولكنها خافتة فى نفس الوقت ولا أدرى كيف .. انتبهت إلى أن لا صوت للقرآن هنا .. نظرت لهاتفى فوجدت التسجيل يعمل لكن بلا صوت !



لا بد أن السماعة أصابها العطب .. لا أريد أن أفكر فى شىء آخر .. هذا ليس وقته أبدا !

خطوة وراء خطوة لأفتح الباب المفضى للقبو ليسود الظلام الحالك !

لقد سمعت صوت سكينة الكهرباء وشخص ما يقوم بإنزالها .. من معى هنا فى المنزل ؟

لص ؟

أم أن زوجى عاد مثلا ؟ لكنى رأيته بنفسى وهو يركب سيارة العمل !

دقات قلبى تتزايد بصورة جنونية .. لقد كبرت على كل هذه الإثارة ..

مددت يدى أتحسس مكان المقبض لأفتح الباب ببطء وتتزايد الموسيقى الشنيعة .. القبو مظلم كئيب تتراقص عليه ظلال نيران حمراء عجيبة وهناك رائحة عفنة فى الجو ..



خطوة وراء أخرى .. ها هى (ريم) !

تسير فى خطى بطيئة حول دائرة ما وهى تفرد ذراعيها فى الهواء وتنظر للأعلى .. وعلى الأرض هناك مايبدو وكأنه .. كأنه كلب ؟

كلب .. مذبوح !

رغما عنى صرخت باسمها .. وتوقف كل شىء !

لا موسيقى .. لا حركة .. حتى الظلال تجمدت .. ونظرت نحوى ابنتى ..

ابنتى ..

ليست ابنتى !

ملامح قاسية ونظرة طويلة مخيفة .. ثم بدأ كل شىء يهتز .. وفتحت ابنتى فمها صارخة ..

تصرخ صراخا رهيبا ملأ مسامعى ..



تصرخ ..

وتهتز الجدران وتتطاير محتويات الغرفة فى كل صوب ..

تصرخ ..

ويسيل الدم من الحوائط .. من أذنيها وفمها وعينيها ..

تصرخ ..

كل شىء يدور .. ثم ..

لا أعرف ماذا حدث !

* * * *

(ريم) :

غرقت فى البكاء الهيستيرى وخوفى مما يحدث .. اليوم خرج أبى وأمى للعمل وبقيت وحدى .. قررت أن أنام لأهرب من كل هذه الضغوط وحلمت حلما غريبا ..



رأيتنى أرقص على ضوء شموع فى القبو أمام ذلك الشيطان .. أرقص وأدور حول دائرة وأسجد له وأنهض لأكمل ما أفعله حين ظهرت أمى فجأة .. صرخت لأحذرها لكن ساد الظلام فجأة .. واستيقظت على فراشى لأجدها جوارة محمرة العينين تبكى .. تقول أنها وجدتنى فى القبو فاقدة الوعى .. هى تكذب .. أنا أعلم جيدا انها تكذب لأن ليست هذه ملامح أمى حين تكون قلقة ..

إنها مذعورة !

نهضت أمى من جوارى بعدما أسقتنى قليلا من اللبن واتصلت بأبى تهمس له بأشياء لم أتبينها ..

الحقيقة أنى أرغب فى النوم .. تمددت على فراشى ورحت فى نوم عميق، وعندما استيقظت حدث شىء هام للغاية ..

وصلت زوجة أخى من سفرها ..



لست أدرى كيف نسيت تماما أنهما عائدان اليوم من السفر، وقد استعد أبى لإحضارهما من المطار، واستعد أخى الأصغر بترتيب الحجرات، ولكن هناك شىء ما حدث فى عمل (حسن)، فتقرر مجىء زوجة أخى وحدها مع الصغيرتين، بينما سيلحق بها أخى بعد أسبوع تقريبا .. رباه كم أحب هذه المرأة ..

وصلت من المطار، واستقبلناها جميعا بالترحاب، فهذه أمى تتلقفها فى حضنها وتغرقها بالقبلات، وأخى يداعب الفتاتين فى حماس، بينما يستنفر أبى العجوز ساعديه القويين كى يحمل حقائبها إلى الطابق الثالث حيث شقة أخى حسن ..

رغما عنى كان لقائى بها فاترا نوعا .. أنا فى حال سيئة، وهو ما شعرت به فورا .. لذلك كان طبيعيا بعد الجلوس والطعام والحكايات أن تجلس معى على انفراد وتحدق فى عينى مباشرة سائلة إياى عما هناك .. وفى الحقيقة أنا لم أكن فى حال تسمح بأن أخفى شيئا .. أنا أريد أن أحكى وأحكى حتى أفرغ كل ما فى صدرى، وهو مافعلته ..



أما هى فقد ظلت تستمع إلى وملامحها تتراوح بين الدهشة والتعجب وعدم التصديق .. كانت تستمع إلى فى صمت، وعندما انتهيت من حكاية كل شىء بما فيها الهاتف الغريب، أخبرتنى أننا يجب أن ..

نذهب معا !

نظرت لها فى دهشة غير مصدقة .. ما الذى تقوله ؟

كانت وجهة نظرها أن الموضوع يبدو خياليا .. وبصراحة شديدة هى لا تصدق حرفا مما قلته لها .. وأن هناك شىء ما غير منطقى .. ربما دس أحدهم لى حبوب هلوسة أو مخدرات بشكل ما ويحاولون اجتذابى بعد ذلك .. لذلك ربما يجب عليها أن ترافقنى لترى بنفسها ما يحدث، فإن كان مجرد عبث فلنعبث قليلا، وإن كان الموضوع جادا فسنخبر (حسن) وهو سيتصرف بحكم كونه ضابطا قويا له ثقله ..

نظرت لها بامتنان حقيقى .. لم أكن لأحلم بأفضل من ذلك فى الوقت الحالى ..و العجيب أنى نمت فى هذه



الليلة مطمئنة نوعا !

إلى أن استيقظت فى المقابر !

* * * *

مما قالته زوجة (حسن) قديما :

هناك شىء شيطانى حدث .. (ريم) استيقظت من نومها صارخة تقول أنها كانت فى المقابر منذ لحظات ! العجيب أن ملابسها كانت معفرة بالتراب .. تقول أن الشيطان ظهر لها .. صرخت فيها أن كل هذا هراء .. صرخت الفتاة وعاد رأسها للخلف وابيضت عيناها تماما وضحكت ثم همست لى :

- أنتِ .. لى !

قالتها هامسة وفقدت الوعى .. حينها صرخ عمى أنه سيتصرف ونبيع هذا المنزل اللعين وننصرف من هنا للأبد .. تعجبت لأنى لم أكن أعرف شيئا مما يدور وإن أصابنى الرعب والخوف .. احتضنت بنتىّ فى وجل



وظللت صامتة أتابع إلى أن يمكننى الاستفسار .. وليلتها توفى عمى !

* * * *



الفصل السابع

(انغماس - توريط)

الفضول خطيئة البشر المفضلة لدى الشيطان .. ومنها يدخل إليه ! سيزار بيلازارو (1666) (عام الشيطان) !

مرحبا عزيزى القارىء .. دعنا الان من مشاكل (حسن) الشخصية وأخته (ريم)، ولنثرثر قليلا .. العجيب أنك تعلم أن كل قصصى حقيقية ومع ذلك فأنت لم تتساءل ولو لمرة كيف عرفت ما قد عرفته فى الفصول السابقة .. كيف عرفت مذكرات (ريم)، وكيف عرفت ما عرفه (حسن) أو ذلك الشيخ النصاب !

إنك ترى المشكلة العويصة التى فيها حسن .. داخل منزله يعربد شيطان قوى يريد به وبعائلته أذى، وخارج منزله هناك قاتل معتوه وراءه قصة عجيبة كما سنعرف لاحقا، و(حسن) بين هاتين الدفتين ..



موقف عنيف غريب ومؤلم وغير قابل للتصديق، ولو لم أر بنفسى أجزاءا مما حدث لما صدقت حرفا ..

ما سأقصه عليك لاحقا هو جزء غير قابل للتصديق نوعا .. للأمانة هو غير قابل للتصديق على الإطلاق .. والأغرب هذه المرة أنى صرت من أفراد الرواية !

ولكن قبل أن تفكر أنى نصاب أنا الآخر وها قد بدأت الكذب، دعنى أعرفك بنفسى :

أنا (أحمد زكى) .. رجل لم يخف فى حياته قط شيئا قدر خوفه من الجن والشياطين وكل هذه الأمور الغامضة، ومع ذلك فقد رأيت من الحوادث الغريبة ما يكفى أجيالا .. هناك أناس لم يروا فى حياتهم شيطانا قط، ولهم أقدم أقصى أنواع الحسد .. ياالكم من محظوظين .. الخوف الذى يعتصر القلب اعتصارا بحيث تكون على شفا الموت حرفيا هو أقسى أنواع الخوف، ولكن لماذا تلاحقنى المصائب فى كل مكان أذهب إليه ؟



لن تصدقنى عندما أقول لك أنى أتعجب حينما يمر أسبوع مثلا دون حدوث شىء شيطانى سىء لى أو لأحد أفراد أسرتى !

وكما قلت لك سابقا دعنا من مشاكل (حسن) و(ريم) والقاتل واستمع إلى سبب نكبتى .. الفضول الذى قتل القط !

من فضلك لا تسىء الظن بى وتخبرنى أن التأليف قد بلغ مداه وأن قد بدأنا الهراء .. من قال أنى أؤلف شيئا ؟

سأحكى لك لتفهم أكثر .. لكن مبدئيا يجب أن تعرف فى الدين الإسلامى أن كل من نفث فى عقدة فهو كافر .. والعقدة هى السحر، لذلك يتعوذ الإنسان من النفاثات فى العقد، أى من الذين يكيدون لنا بالسحر ومن هنا بالطبع تم تحريم قراءة هذه الكتب ..

ولكن ..

الفضول البشرى ..



الجهل الغير متعمد ..

الأذى والشر فى صورة نقية ..

طالع ما سيأتى معى :

- أبى - رحمه الله - كان لديه مكتبة خرافية فيها من كل الكتب تقريبا حتى ظننت يوما أنه قد أحضر لشقتنا كل ماتم طباعته على ورق، لكن والدتى كانت ترى كل هذه الكتب مجرد كركبة لا طائل منها لأنها تجتذب الفئران، كما أنها مجرد مال ملقى على الأرض بلا طائل ! أمى طبيبة بالمناسبة !

ما علينا .. المهم أن أبى تخلص رويدا رويدا من كل هذه الكتب .. باع بعضها، وتبرع بالثمين منها لعدد من الأماكن والمختصين، ووزع بعضها على الأقارب ممن يحبون القراءة، خاصة عمى ..

كانت أمى طبعا متضايقة من هذه الثروات التى تذهب بلا طائل – وعندها حق - وكان ذلك قبيل وفاته بقليل .. أذكر منها الأعمال الكاملة لتشيكوف، ودستويفسكى،



ومصطفى محمود، وقنديل، ويحيى حقى،ونجيب محفوظ، وصلاح جاهين، وإحسان عبد القدوس، وغيرهم من الكتاب .. كل شىء كان موجودا حتى الشياطين الثلاثة عشر والمغامرون الخمسة وميكى وسمير !

بالنسبة لى كانت تجربة رائعة أنى تربيت منذ طفولتى وسط الكتب بعيدا عن زخم الحياة والتلفاز وكل هذه الترهات .. ودوما ماكنت ترانى منذ حداثة سنى أعبث هنا وهناك وسط الكتب أنتقى منها شيئا أقرؤه ..

إلا أن هناك جزءا صغيرا فى المكتبة لم يكن أبى يقربه كثيرا .. مكان صغير فيه مايقرب من ثلاثين كتابا ..

كتب عن الأرواح والجن وما إلى ذلك !

كان أبى كأى قارئ نهم يقرأ كل ما تقع عليه يداه وعيناه .. ومن العناوين التى قرأتها : كتاب الروح لابن القيم، ومن أسرار الروح لعبد الرازق نوفل، وأرواح



وأشباح لأنيس منصور، والجن للعلامة عبد القادر، والحياة بعد الحياة لممنزه القرشى ..

قرأت كل ذلك، وكلهم يغلب عليهم الطابع الدينى أو طابع الهراء !

عدا كتابا واحدا .. ليتنى لم أجده !

كنت فى الإعدادية آنذاك ..

كان الوقت ظهرا ..

صليت الظهر كعادتى، ثم دلفت لحجرة مكتب أبى الأثيرة لقلبى .. أطنان الكتب تنتظرنى لأنهل من المتعة دون حساب .. هكذا ترانى أعبث فى مكتبة أبى كالعادة عندما أحسست أن آخر رف أسفل الكتب متقلقل نوعا .. يبدو منتفخا وكأن تحته شىء .. أخذت أرفع الكتب، ثم رفعت الرف الخشبى نفسه لأجد تحته تجويفا يحوى كيسا قماشيا أخضر اللون .. استخرجته وحملته متعجبا .. لم يدر بخلدى أى تكهن حول ماهية هذا الكيس وإن كنت متعجبا من ملمس



محتواه .. يبدو كأنه يحتوى على لفائف ما ! فتحته ولم أجد لفائفا، بل وجدت داخله شيئا مغلفا بورق بنى يبدو ككتاب !

كتاب سرى ؟

تخيل حماستى كطفل آنذراك .. فضضت الغلاف البنى بحذر وجلست على الأرض أتصفحه الكتاب العجيب بأنفاس لاهثة مبهورة ..

الغلاف جلدى تم تخييطه يدويا، وله ملمس عجيب يجمع ما بين الجاذبية والنفور، وليس على الغلاف شىء مكتوب على الإطلاق !

كتاب بلا عنوان ؟

الكتاب – كما خمنت - كتاب سحر شديد الندرة للسيطرة على الجن الشرير ودفعه لعمل ما يشاء الإنسان ! كان الكتاب كله مكتوب بخط اليد بحبر غريب وخط منمق قديم وكأنه مكتوب بريشة من تلك



التى نراها فى الأفلام، لكن الحبر له ملمس بارز عن الورق العجيب ..

أخذت أتحسسه فى انبهار وأنا أشهق من فرط الحماس .. به كلام كثير غير مفهوم وبه جداول ورسومات مخيفة .. دون وعى حقيقى تصفحته صفحة وراء صفحة، ورقة بعد ورقة .. أنا أنفصل عن العالم .. كأن العالم أصبح أنا والكتاب فقط سابحين فى فضاء أسود بلا نجوم .. انبهار كامل واستحواذ روحانى لم أره من قبل .. هناك رائحة عطرية حولى تمتزج بعفونة صادرة من ملمس الورق الغريب ورائحة الورق القديم التى تشبه رائحة الجلد المدبوغ وسيطر على شعور عام بالخدر والانبهار ..

وفجأة سمعت صوت أبى الجهورى يصيح بكلام لم أتبيه وهو يلتقط الكتاب من أمامى وقد شارفت على الوصول لنهايته ! .. أخذ الكتاب منى وهو يصيح، وأعاد تغليفه بحرص وهو يصيح ثم حمله بعيدا وهو يصيح !



لم أفهم حرفا من صياحه .. فقط أذكر كانت عيناه مخيفتان جدا وتحملان قدرا هائلا من الغضب ..

نهضت من مكانى شاعرا بالدوار وإحساس بالغ السوء أن هناك من سحبنى بغتة من حلم جميل .. انعقد حاجباى وأنا أسأل نفسى ما الذى قرأته بالضبط ؟

لا أذكر شيئا .. إن هى إلا بضع دقائق تصفح .. تنهدت وتحركت بتثاقل ورفعت عينى للنافذة وتصلبت فى ذعر !

هل توقعت ما حدث ؟

نعم ..

الليل قد خيم ! متى ؟ كيف ؟ أين المنطق ؟

قطعا أنت تعرف أن هذا الموقف متكرر لكل من يطالع أوراقا شيطانية .. تماما مثلما حدث مع (ريم) و(مصطفى) !



رفعت عينين مذعورتين لأرمق الساعة :

الحادية عشر ليلا !

فى هذا اليوم كانت أمى عند جدتى وأبى خارج المنزل طوال النهار، وأخواى لا يضايقانى عندما اقرأ، وهو ما ظنا أنى كنت أفعله ! لكن الإثارة الحقيقية لم تبدأ بعد !

بدأت أصوات دمدمات وهمس تطاردنى ..

همس مصحوب بضحكات ..

بكاء مصحوب بصراخ ..

أصوات هامسة مخيفة لا تكاد تسمعها لكنها تسيطر عليك وتصيبك بالجنون، حتى إذا شارفت على النوم تعالت ووضحت مسببة ألما نفسيا عاتيا وذعرا لا شك فيه ..

ثم ..



هل جربت أن ترى خيالات طوال الوقت بطرف عينيك، حتى إذا رفعت عينيك لم تجد شيئا ؟

هل جربت أن تشعر بالذعر، فتحاول قراءة آية الكرسى كما علمتك أمك، فتذوب الكلمات على لسانك ولا تدرى ماذا كنت تقول الآن ؟

هل جربت أن تنظر لصورتك فى المرآة فتشعر بذعر عات مقبض وأنك تتمنى لو تجرى بعيدا فلا تملك إلا أن تشيح بنظرك بعيدا ؟

هل جربت إحساس أنه هناك من يسير وراءك طوال الوقت ؟

تلك القشعريرة فى عنقك ..

الرعب وأنت وحدك ..

أن تشعر بالأشباح والخيالات السوداء وقد ملأت حياتك بالكامل ؟



ثم ..

هل جربت أن ترى العناكب تسير على منضدتك وفراشك وكتبك ؟عناكب تسير حولك ثم تذوب من تلقاء نفسها ..

وجوه النائمين عندما تنظر إليها مخيفة للغاية ..

الحمام أصبح بيت رعب ولا تسألنى لماذا ..

كوابيس وكوابيس وكوابيس وكوابيس ..

أصبحت فجأة لا أحب الصلاة ولا أقربها .. فقط صليت مرة ! وكان فى نفسى قدر هائل من الخوف ..

هل جربت يا صديقى أن تختبر كل هذه التطورات المريعة فى ..

ليلة واحدة فقط ؟

أحسست أنى على شفا الجنون والانهيار العصبى معا .. لم أذق نوما تقريبا منذ أغلق أبى الكتاب وسحبه منى



..

رفعت عينى لسقف الحجرة وأردت أن أهتف : يارب، لكنى أصمت .. شىء ما يمنعنى .. دقات قلبى الآن تكد تخرق صدرى مثل دقات قلب الفأر عندما يسقط فى مصيدة .. أمى ترانى متوترا فتنصحنى بدش دافىء يغسل عنى همومى، فأسمع لما تقول ..

دلفت للحمام بعدما جهزت أدواتى فى شحوب، ووقفت تحت الدش الدافىء وأغمضت عينى عن المرآة المواجهة لى .. لا أريد رؤيتها .. طوال عمرى أخاف من مرآة الحمام هذه، أما اليوم فأنا أرتجف منها ..

دقائق مرت وأنا واقف تحت الدش،ثم أغلقت الصنبور وخرجت، وحانت منى التفاتة نحو المرآة .. فرأيت ..

رأيتنى وقفا غارقا فى الدم وأصرخ !

تجمدت للحظات ثم دوت صرختى وانا أهرب من الحمام منهارا ..



أخذت أبكى فى حضن أمى التى لم تدرك ماذا هناك بالضبط، وكان أبى واقفا عاقدا حاجبيه وعلى محياه علامات تفكير عميق ..

هدأت قليلا، فسحبنى أبى بالـ(بُرْنُس) كما أنا ودلفنا لحجرة مكتبه وأجلسنى أمامه فى هدوء ..

مد يده وأخرج كوبين فارغين وضع فيهما بعضا من النسكافيه واللبن المسحوق، ثم صب من غلاية الماء الخاصة به .. كانت من المرات القلائل التى يعاملنى فيها كنفسه، وهى حركة أثيرة لقلب أبى أن يصنع مشروبا دون أن يضطر للذهاب للمطبخ أو يشعر به أحد او يقطع صمته بالنداء على أمى ..

طلب منى فى هدوء أن أحكى ..

فحكيت ..

حكيت لأبى مرتجفا ما يحدث معى .. كنت خائفا بشدة وفى حالة من التخبط والحيرة .. وما كان من أبى رحمه الله، إلا أن أخذنى مع والدتى، وسافرنا إلى



بلدة أمى حيث يوجد أحد أقارب أمى من بعيد اسمه (عبد الباقى) يعمل فى العلاج بالقرآن بلا أجر ..

حسنا .. هل تعتقد أن الأمور جرت بسلاسة ؟

تابع معى ما حدث ..

دخلت عند (عبد الباقى)، فوجدتنى أخرج من عنده !

لا أعرف كيف ..

أبى يقول لى ادخل . وما أن أمد قدمى للدخول، حتى أجدنى أسير مبتعدا عن منزله !

صرخت أمى أن (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) وبعدها بلحظات خرج (عبدالباقى) من المنزل ولا تسألنى كيف عرف أننا واقفون هنا !

دون سلام ولا أى شىء نظر لى بهدوء ومشى تجاهى واصطحبنى للدخول .. وفجأة وجدتنى أخرج من عنده ..



ليلا هذه المرة !

دخلت نهارا .. وخرجت والدنيا مظلمة !

كل ما أذكره أنى دخلت حجرته وجلست ووضع يده على جبهتى، ثم خرجت من حجرته وهو منهك القوى باكيا أحمر الوجنين والأنف ممتقعا !

وأمى تبكى وكذلك أبى .. ماذا حدث بالضبط ؟

لست أذكر .. ومن خلال تعبيرات وجوههم لا أريد ان أذكر .. فقط أمر (عبد الباقى) أبى أن أنام فى فراشى الليلة ويفعل ما أمره به !

عدنا للمنزل وأنا فى حال يرثى لها، ليس جسديا وإن كنت منهكا فعلا ولكن نفسيا ..

لاتظن يا صديقى أنى لم أكن أعلم جيدا ما تعرضت له ..

وفى المنزل أخرج أبى الحقيبة الخضراء ومنها أخرج الكتاب اللعين هذا، ثم مد يده نحوى بورقة صغيرة بها



كلام غير مفهوم كان (عبد الباقى) قد أعطاه إياها .. أمرنى أن أقرأ مافيها وأنا أضع الكتاب بيدى فى لفته الورقية ثم الكيس القماشى ..

مالذى كان مكتوبا فى الورقة ؟

لست أذكر .. فقط بحق كذا، وباسم كذا، وكلام كثيرا، وفى نهايته أن ترفع عنا الأذى، حتى يصل للذى يستحق ويعمل .. شىء من هذا القبيل ..

وقال لى أبى يومها ألا أفتح الكتاب مطلقا مرة أخرى .. أبدا .. وجعلنى أقسم على ذلك على المصحف الشريف ..

وهو قسم اضطررت للحنث به لاحقا !

وأمرنى ألا أترك الكتاب فى شقة بمفرده أبدا، وألا أعطيه لأحد أو أتخلص منه .. فعلت كل ذلك ووضعت الكتاب والوريقة فى الكيس الأخضر وأغلقته .. كانت هذه تعليمات (عبدالباقى) .. وظل أبى يعيدها على حتى يطمئن أنى فهمتها جيدا ..



رحمة الله عليك يا أبى .

لكن الأمور لم تتوقف .. فلنقل أن (عبد الباقى) تعامل مع استحواذ أصابنى بشكل ما، ولكن ظل هناك شىء ما ..

أثر ما ..

حسنا .. لا أعرف بم أصف ما يحدث .. على سبيل المثال :

من وقت لآخر تبدو الشقة غريبة مخيفة .. كم من مرة ينكسر الزجاج دون أن يلمسه أحد .. أى زجاج .. نوافذ، أكواب، أطباق ..

ثم هناك الأصوات المريبة .. أجلس بمفرد فأسمع مواء قط كئيب جوارى !

أقبل على النوم فأسمع هسيسا !

هناك من يتحدث فى الحمام !



رعب ما بعده رعب .. كنت أهرع فورا للكاسيت القديم وأضع شريط سورة البقرة وبالفعل ينتهى كل شىء بمجرد قراءة سورة البقرة تحديدا .. كنت أظن أن الموضوع مرتبط بشقتنا فى عابدين، لكن بعد زواجى وانتقالى للحياة فى فيصل، حدثت أيضا أشياء غريبة ليس أغربها الأحلام الكابوسية المتقنة، والتى أحلم بها مع زوجتى فى نفس الوقت .. أو ذلك اليوم الذى نمنا فيه مساء الثلاثاء واستيقظنا صباح الخميس ! أقسم بالله أن ذلك حدث ودون أن نكون قد تعاطينا أى شىء ..وهناك أشياء أخرى كثيرة !

أذكر ذات مرة أنى كنت صاعدا ألهث بعد يوم عمل شاق .. أنا أسكن فى الطابق السادس، ولم يركبوا المصعد عليهم اللعنة .. ولن يتم تركيبه أبدا !

ظللت أصعد حين أحسست بشعور مقيت أكرهه وأعرف معناه ..

شعيرات جسدى كلها تنتصب وعيناى تدمعان بقوة .. موجات القشعريرة تجتاح جسدى والهواء ثقيل ..



هناك تواجد شيطانى الآن !

فى هلع رفعت عينى لأجد جارتى الشابة فى الطابق الأعلى منى تهبط فى هدوء .. فتاة شابة ترتدى زيا منزليا لونه أحمر .. تهبط دون صوت ولا حركة كالتمثال المتحجر ! ولا تسألنى من فضلك كيف .. تهبط وتمر جوار مصباح السلم المضىء فيتذبذب الضوء .. أقف على السلم أرتجف ولا أدرى لذلك سببا ..

تسير بخطى ثقيلة غير مسموعة وتبدأ فى النزول نحوى .. ألصق ظهرى بالحائط وأنا أرمق عينيها ..

رباه ..

رباه ..

عينين ..

عينين كـ..

أتعرف عين الشاة عندما يتم ذبحها ؟



مخيفة قاسية .. ميتة !

أحسست بألم فى بطنى من فرط الرعب وموجات القشعريرة تجتاحنى بعنف وبدأت عيناى يسيل منهما الدمع فعلا .. ورغما عنى لهجت بالاستعاذة ..

ما أن فعلتها حتى رفعت الفتاة عينيها نحوى بغضب وفتحت فمها بطريقة مستحيلة والتوى رأسها للخلف وذابت !

(هذا الموقف سيتكرر لاحقا .. أنت ترى أن الشياطين غير خلاقة على الإطلاق !)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

كان ذلك على بعد ثلاث درجات منى !

أخذت أرتجف وأستعيذ، ثم استعدت روعى وأكملت طريقى للشقة وأنا لا أفهم !



عندما دلفت للشقة هرعت إلى زوجتى تخبرنى أن جارتنا المراهقة قد ماتت اليوم ! ألقت نفسها صباحا فى المنور ..

هل من تفسير ؟

الآن أنت ترى .. الموضوع مؤلم مخيف ليس هذا مجالى ولا عالمى ولا مفردات حياتى التى أستطيع التعامل معها .. هناك من يتمنى شراء كتابى هذا وسيفعل به الأعاجيب، ولكن صدقا أنا فى غنى عن هذا كله !

وكما قلت، فدوما مع سورة البقرة يهدأ كل شىء .. لكن لماذا يحدث ذلك ؟

ما التفسير ؟

التفسير عرفته لاحقا من (عبد الباقى) رحمه الله .. كتب السحر الأصيلة يمزج فيها دم الكاتب بالحبر، ويكون عليها خادم يؤذى حامل الكتاب إن لم يعمل به



.. وما كان يحدث لاحقا هو مجرد تذكِرة بأنه موجود .. (بيمسى علينا) وليس أكثر !

أما عن كيفية حصول أبى على هذا الكتاب، أو كيف تعلم أن يتعامل معه، فهذا سر لا أعرفه، ولا يعرفه غير أبى رحمه الله .. حتى إخوتى لا يعرفون شيئا عن هذه القصة أو عن الكتاب ..

بالنسبة للكتاب .. هو كتاب سحر .. تسخير الجن لأداء خدمات معينة يحمل الصبغة الدينية الكاذبة .. مع الوقت يتبادر لذهنى ذكريات مما قرأت فى الكتاب ..

مما قرأته فى الكتاب، أنك ترسم دارة وتقسمها تقسيما معينا، وتكتب فيها أسماء معينة داخل كل فراغ - ملوك الجن - ثم تظل فى مكان معين لا تصل فيه أصوات أحياء لك أبدا أبدا وخاصة الديكة لمدة أسبوع كامل .. وهناك ذبح أرنب أسود لا أذكر متى بالضبط، وكلمات تقولها، وفى اليوم السابع يظهر لك مارد يحقق لك طلبا واحدا أيا كان !



طبعا أنت تتمنى لو تجرب ذلك لكن تذكر يا صديقى هذه الجملة :

(الشيطان إن أعطى لا يعطى، وإن أعطى أخذ) .. قالها يوما العظيم (تامر عطوة) وعنده كل حق .

الشيطان يكرهك ويكره البشر كلهم ويكره اليوم الذى رأى فيه آدم عليه السلام ويكره ذريته، فلماذا سيعطيك شيئا ؟

إن لذلك ثمن فادح وهو كفرك بالله تعالى .. ثمن يدفع هو من أجله أى شىء وكل شىء .. أن يثبت وجهة نظره أنه هو الأفضل ..

أما الجن المؤمن بالله فهو لا يفعل هذه الأشياء قط لأنه لا يفعل الشر، فعلى سبيل المثال، إن طلبت مالا وفيرا فمن أين سيحصل الجن عليه ؟

سيسرقه بالطبع .. والجن المسلم لا يسرق لأن السرقة حرام .. فهمت ؟



ويحوى الكتاب أسماء كبار الجن وملوكهم وعشائرهم وصفاتهم وأشكالهم .. وهو من هذه الناحية أشبه بكتب الأحياء التى تصف الكائنات ..

كما يحوى جزءا أعتبره محض هراء، وهو كشف أسرار حروف القرآن التى لا يعرف أسرارها أحد، مثلا : أفرد فصلا كاملا للحديث عن (كهيعص) فقط، وفصلا عن (يس)، وفصلا عن (حم)، و(عسق) وهكذا .. أنا أعتبر ذلك هراء لأن ذلك من الأسرار التى يتحدى بها القرآن البشر ولن يصل أحد لها .. فقد يكون كلامه مثيرا أو مشوقا، ولكنه يظل خاطئا بكل تأكيد .. طبعا يمكنك ألا تصدق حرفا مما قلته، وهو ما لن يغير من الأمر شىء !

أراك تتململ .. ما علاقة كل هذه الحكايات بـ(حسن) وشياطينه وقاتله المتسلسل ؟

إن لذلك سببان :

الأول هو المتعة واللذة التى أحكى بها عن موقف مثير حقيقى حدث لى .. وأنت ستقرؤه مرغما لأنك اشتريت



الكتاب بالفعل ولا مناص !

أما الثانى ..

الضابط (حسن) صديقى !

الضابط (حسن) صديقى منذ أمد بعيد، ويعلم جيدا تعرضى للكثير من الحوادث الروحانية المخيفة التى لا شأن لى بها، وعندما خرج كتابى الأول للنور بارك لى مباركة طويلة وتقابلنا وحكيت له عن الكثير من الأسرار .. وعلى كل فنحن صديقان حميمان من الطراز الذى يتقابل كل عام مرة ولا نذكر بعضنا إلا لمامًا ..

وما حدث هو أنى فوجئت به يتصل بى متوترا وأنه يريد لقائى فى أسرع وقت ممكن وياحبذا لو اليوم !

كان ذلك قبل رمضان بقليل .. الساعة الآن الخامسة عصرا ..

لا بأس .. أنا أعرف مكان إقامته فى تلك الفيلا التى اشتراها أبوه رحمه الله له ولأخوته .. هكذا استقللت



سيارتى وتجهت إليه .. بانتظارى بضعة أيام سوداء ولو كنت أعرف منها شيئا لأغلقت الهاتف فى وجهه وغيرت رقمى للأبد !

وصلت لبيته .. يا للكآبة .. الفيلا تبدو كئيبة مخيفة قاتمة سوداء رغم كل مايحيط بها من أشجار وأنوار .. بالفعل انقبض قلبى انقباضا لا أحبه وأعرفه ..

مرة أخرى ؟

استقبلنى صديقى وصعدنا معا لشقته بعدما عرجنا على أمه العجوز القعيدة .. مازال الأسود هو اللون المخيم على الملابس !

سلمت عليها وعلى أخته .. مابالها شاحبة هزيلة هكذا ؟

رأيت أخاه المهذب، ولكنه لم يسلم على !

رأيت بنتيه يبدو عليهما الحزن .. (حسن) نفسه هزيل شاحب وتحت عينيه هالات سود ..



ثم صعدنا لشقته ..

أقسم أنى لو داخل لمقبرة لما خفت هذا الخوف .. الشقة تسبح فى الظلام الكئيب كظلام قبر الكافر، وجلدى تحول لجلد إوزة من فرط انتصاب شعيراتى ..

وقفت على الباب مضطربا للحظات .. لا أريد الدخول ..

لذلك - ودون سبب معين - طلبت منه النزول .. لكنه وقف أمامى يطلب منى الدخول بنبرة حازمة راجية .. تقدمت خطوة مرتجفة و ..

لمحت بطرف عينى وراءه ظلا أسودا متماوجا ..

شر خالص ..

صدر منى أنين ذعر وتراجعت مرتجفا ثم نزلت خطوتين فى اضطراب .. ولا أذكر كيف ولماذا فعلت ذلك إلا أنى جريت على السلم فجأة للشقة السفلى وانا أصرخ باسم (حسن) ..



لحق بى فورا وهز رأسه فى أسف .. قال لى أنى أكدت كل شىء !

ما الذى أكدته يا أحمق ؟

تأبط ذراعى ودلفنا معا للبلكونة داخل شقة أمه، وطلب من أخته أن تحضر التسجيلات وكل شىء ونتجمع كلنا هنا !

البلكونة واسعة والجلوس فيها جميل بعيد عن الجو القاتم بالداخل .. هكذا قال !

و ..

حكى كل شىء ..

هو وأمه و(ريم) و(مصطفى) ..

جعلنى أقرأ من مذكرات (ريم) وأستمع إليها ..

اطلعت على مذكرات (مصطفى) واستمعت له ..



اتصل بزوجته وحكت لى جزءا يسيرا ..

الذعر يتنامى فى قلبى ..

لماذا تطلعنى على كل هذا يا (حسن) ؟

وفى النهاية جعلنى أرى الأوراق الملعونة !

إنها هى !

هى !

نفس الطريقة فى الكتابة .. نفس الورق أو الجلد المدبوغ لست أدرى ..

الصفحات الكريهة المشئومة .. أوراق تشبه الكتاب الذى عندى ..

رفعت عينين دامعتين نحوه وهمست :

- أخرجنى من هنا !

* * * *



الفصل الثامن

الشيطان يحكم !

أنا الحق والضلال .. أنا النور والظلام .. أنا الحياة والموت .. أنا الحاكم والمحكوم .. أنا الخير والشر .. أنا حقيقة الوحيدة ! من إنجيل الشيطان !

خرجت من الفيلا مع (حسن) مرتجفا لنجلس فى مقهى قريب، وهناك استعدت روعى قليلا .. أخبرته أن هناك شر رهيب لن يستطيع التعامل معه إلا رجل متمكن، ومن سوى الدكتور (جلال الدين عامر) ؟

هل تذكرونه ؟ ذلك الرجل الذى واجه ذا السواد فى انجلترا ..

أنا أثق به بشدة .. أخبرت (حسن) أننا يجب أن نذهب له فورا فوافق .. هو فى حال يريد فيها أن يتشبث بأى أمل .. اتصلت بد. (جلال) وجاءنى صوته الوقور الهادىء مرحبا ..



طلبت مقابلته فوافق مرحبا و..

انطلقنا إليه !

* * * *

فى مكتبه استقبلنا .. على العكس مما رأيته فى الفيلا، الجو العام هنا مريييييييييييح نفسيا بطريقة مذهلة ..

هذا الرجل رجل خدوم فعلا .. تخيل أن الساعة تجاوزت الحادية عشر ليلا وقد وافق على استقبالنا بكل ترحاب .. قليل من الناس من يخدمون غيرهم بكل هذا التفانى ..

استمع الرجل إلى (حسن) بكل اهتمام وتركيز، واطلع على المذكرات باهتمام، ثم انعقد حاجباه فى .. هل هذا غضب ؟ كان ذلك عندما أعطاه (حسن) الأوراق ..

سأله باهتمام عن الكيفية التى توفى بها والده، فأخبره أنه مات على فراشه بعيد قراره ببيع المنزل مباشرة ..
هز الدكتور (جلال) رأسه فى ألم وهمس :



- رحمه الله .. ما كان ينبغى أن يقولها بصوت مرتفع !

رحم الله أباك يارجل .. رحم الله أباك وتقبله من الشهداء .

سأله (حسن) فى وجل :

- ماذا تعنى يا دكتور ؟

خلع دكتور (جلال) نظارته وقال :

- أعنى .. أعنى أن كل أهل بيتك يرضخون تحت الحكام الشيطان يابنى !

* * * *

ساد الصمت برهة بعد هذه القنبلة الكلامية التى فجرها د. (جلال) ..

حكم الشيطان ؟

أخذ الرجل نفسا عميقا وبدأ يتكلم :



- بداية : هذه الأوراق تخص عبادة الشيطان الروحية .. أسوأ وألعن طائفة على الإطلاق .. هذه أوراق قوية جدا ومشئومة جدا لأنها تخص (بافوميت) نفسه .. وهو شيطان شديد الشراسة والقوة والعنف والدهاء، وغالبية عبدة الشيطان يعبدونه باعتباره إبليس ذاته، وهو أمر خاطىء .. والكاهن الأكبر لـ(بافوميت) غالبا ما يكون فتاة مختارة يتم وضعها فى الحسبان من بداية الموضوع .. وهو هنا أختك (ريم) .

امتقع وجه (حسن) ولم يعقب، فأكمل الدكتور (جلال) :

- الجثة التى وجدوها عندكم فى القبو لم تأت عبثا .. هذا رجل وهب نفسا للشيطان تماما وضحى بروحه فى بيتكم .. غالبا يموت بيد الشيطان نفسه أو بإيعاز منه وهو أعلى مراتب الشرف لديهم .. والأوراق كانت موجودة من أجل (ريم) .. إن لم تجدها باختيارها فكانت ستدس لها دسا .. ثم تبدأ مرحلة الاجتذاب كى تكون ساحرة تمهيدا للكهنوت !



تساءل (حسن) فى توتر :

- ساحرة ؟

أومأ برأسه إيجابا وهو يكمل :

- نعم .. الطريق واحد لكن البداية مختلفة .. هو هنا تنكر فى شكل ملاك حسب المفهوم العام لنا .. بل وهيأ لها مشاهدا رهيبة للملائكة حتى تطمئن له .. كما تعلم فهناك من يذهب بكامل إرادته وهناك من يتم استدراجه .. أتريد معرفة ما كان من المفروض أت يتم تحديدا ؟

بدت على عينى (حسن) الحيرة .. هو يريد أن يعرف ولكن ..

لم يدع الدكتور (جلال) له الاختيار، بل غلب عليه الطابع العلمى وهو يشرح :

- ستلحظ أن بعض ما سأشرحه هنا تم فعلا .. وهو ما سيصعب الأمور لاحقا، لكن إن شاء الله سيحل كل



شىء ..

على الساحر او الكاهن المختار أن يقصد قبل شروق الشمس إحدى الغابات أو الحدائق ويختار شجرة عميقة لا تثمر نباتا ويقطع منها غصنا بمبراة حديدية لم تستعمل من قبل قط ..
وفي اليوم الثاني يقصد غرفة خاصة له في بيته ومعه هذا الغصن منتصبا على زاوية قاعدة المثلث تحته رمز دينى ويبدأ طقوسه حتى يسمع صوت الشيطان لكنه لا يراه .. ويأمره الشيطان بكتابة العقد بمواد نتنة خبيثة، ثم عليه أن يحفظ جميع التعاليم والإرشادات ويلبس لباس الانسان الأول - اللا شىء -، ثم يذبح حيوانات معينة بترتيبها ويجمع دماءها في زجاجة قذرة وهو يتلو التعاويذ الخاص لطقوس الذبح وعليها بوله الخاص !

ثم أن يخرج في ليلة مقمرة عند منتصف الليل أو قبله بقليل الى دار مهجورة بعيدة عن العمران أو يختار إحدى القصور المهجورة أو الخرائب النائية .. يختار بقعة قريبة منها بحيث تكون موحشة، فيعتزل من



لباسه ويرسم دائرة كبيرة وينقش داخلها وخارجها وبجوار محيطها الأشكال والرموز والطلاسم وأسماء الأرواح الخبيثة والشياطين بالدم الذى فى الزجاجة .. ثم يوقد شمعتين ويفضل أن يكون معه إناء فضى يكون قد سرقه من قبل ويشوه منظره ويلوثه ويضعه وسط الدائرة وبه حبوب نباتات معينة .. وهنا يبدأ الجنون ..

ينحني ويقفز داخل الدائرة كالقرود وهو قابض على الشمعتين بكلتي يديه وينشد أناشيد الشياطين ويتلو التعاويذ الجهنمية حتى يبلغ غاية التعب، فيجلس القرفصاء داخل الدائرة وهو يقرأ ويتلو التعاويذ وينشد ..

هنا يظهر الشيطان ..يكون غالبا ظهوره دراميا بحيث يطير مثلا فى الفضاء أو سقف الغرفة .. ويلوح للشيطان في الفضاء بالعقد ويقرأ نصوصه،على حين يجتهد الساحر ويلح ويكثر من القفز والقراءة والتلاوة .. في هذا الوقت يكون مندوب الشيطان مراقبا له حتى يتأكد من أن الساحر جاد حقيقة فى اتباع



الشيطان فيظهر له على شكل أو صورة ويستلم منه العقد ويأمره بالحضور الى حفلة تعميده في الليلة التي سيحددها له عمدة السحرة الذي يرسله إليه ..

ثم تتلقى الساحرة الدعوة لحضور المقابلة مع عمدة السحرة ليلقى إليها بالنصائح والإرشادات الهامة لتعميدها كساحرة أو كاهنة حسب مايريد منها الشيطان ..وحسب مافهمت فأختك بفضل الله تعالى لم تذهب لهذا الاجتماع، فحاول الشيطان أن يجعلها تقيم القداس الأسود الذى تضحى فيه بنفسها من أجله .. وقد قاطعته والدتك .. أما ما بعد ذلك فـ ..

- كفى يا دكتور .. كفى ..

صاح بها (حسن) بصوت مبحوح وهو يتحاشى النظر للدكتور، ثم نهض فى توتر والصراع يشتعل داخله ..

كيف يمكن أن يكون هذا صحيحا ؟

كيف يمكن ان تكون أخته ملاذا للشيطان والأبالسة ؟



من داخله تتصاعد نبرة استهجان قوية لكل هذا الكلام، ومع ذلك هناك نبرة اخرى تتعالى أن كل ما تم ذكره صحيح ..

دون أن يستأذن اشعل سيجارة ونظر لد. (جلال)، ثم سأله :

- والعمل ؟

تلاشت الابتسامة من وجه د. (جلال) وقال :

- سنزور المنزل ونرى ما يمكن عمله ..

وقتها فقط سنعرف ونحدد ما الذى سوف نفعله .. ما قلته الآن هو مجرد جزء بسيط مما أعرفه .. عندما أرى أختك سأعرف .. وأنت ستأتى معنا يا استاذ (أحمد)، أليس كذلك ؟

- إنها ليلة سوداء وأنا أعرف !

* * * *



الساعة الآن تخطت الثانية عشر ليلا .. الدكتور جلال لا يريد تضييع وقت، ويقول أن الليل كالنهار فى مواجهة الشياطين ولا فارق، فلماذا لا نذهب الآن ؟

ما كدنا نخرج من مكتب الدكتور (جلال)، حتى أتى (حسن) هاتف من أمه تزف إليه خبرا رهيبا ..

لقد اختفت أخته تماما، وبلا أثر !

صرخ فى التليفون أن كيف لا تعرفون، وأنها فى عهدتهم، وأنها وأنها ..

واضح أنه دخل فى حال هيستيرية شديدة، ولم ندر ماذا نفعل .. أغلق الهاتف مع أمه واتصل بالمأمور يبلغه .. ثوان مرت عليه وهو ينصت له، ثم أنهى المكالمة وهو ينظر لنا بعينين محمرتين ويقول :

يجب أن نذهب للمأمور حالا ..

* * * *



فى الطريق أخبرنا بشىء جديد لم نكن نعرفه .. حكى لنا عن القاتل باختصار وكيف أنه يقوم بطقوس شيطانية غريبة، وأن آخر فيديو ذكر فيه اسمه ! الموضوع سر قومى لا ينبغى لأحد أن يعرفه لكنه يعتقد الآن أن حياته وربما حياة أسرته فى خطر .. وأنه الآن متأكد تماما من القاتل يسعى وراءه .. والتفت يسأل د. (جلال) بتوتر :

- هل توجد علاقة بين ما يحدث وبين هذا المجنون ؟

هز د. جلال رأسه فى حيرة أشبه بالتأكيد .. من علاقتى به فهمت على الفور أن هناك علاقة لكنه لا يرد أن يصدم (حسن) !

غمغم الدكتور جلال أنها مصيبة كبرى لو حدث ما يخشاه ..

ساد صمت كئيب بضع لحظات ثم أردف بصوت مبحوح :



- الأحداث توحى بشدة أن تجهيز الفتاة قد اكتمل، وربما ..

ربما .. - بما أنها اختفت – هى يتم تعميدها اليوم ككاهنة للشيطان !

كان الكلام قاسى الوقع على الضابط (حسن) الذى ما أن سمعه حتى صاح فيه أن يخرس ! عيناه مخيفتان يلوح فيهما الجنون الناتج عن الضغط العصبى الزائد .. بالفعل لم تعد أعصابه تتحمل كل هذا العبث !

وصلنا لقسم الشرطة بعد وقت قصير نتيجة قيادة (حسن) المتهورة، وصعدنا للمأمور الذى وجدناه ممتقع الوجه يتابع شيئا على شاشة الحاسوب .. وجهه يوحى بمصيبة هو الآخر !

ما أن رآه حسن حتى صاح متسائلا عما يدور دون حتى أن يؤدى التحية وجرى ناحية الشاشة فى عصبية ليرى ماذا يحدث .. اندفعنا خلفه بينما ابتعد



المأمور بكرسيه ذى العجلات وهو يضع كفيه على وجهه ..

ورأينا ما يحدث .. وياليتنا لم نر ..

اتسعت عينا الدكتور (جلال) وهمس بصوت مبهور :

الطقس الموحِّد ..

بينما نهض المأمور يمسك هاتفه ويتصل بأحدهم ويأمره فورا بتتبع مصدر هذا البث المباشر .. أخذ يتحدث بصوت عال لكن لم ينتبه إليه أحد ونحن نتابع المشهد بأنفاس منقبضة ..

* * * *

التعميد (الطقس الموحد) :

كان المكان عبارة عن حجرة مربعة مظلمة غير واضحة المعالم، وهناك دائرة من خمسة أشخاص يرتدون عباءات سوداء ذات غطاء رأس يخفى ملامح الواقفين تماما .. كانوا يقفون حول دائرة كبيرة داخلها نجمة



خماسية كل واحد عند طرف من أطراف هذه النجمة، وفى المواجهة تمثال ضخم تحته شموع سوداء كثيرة ..

التمثال له رأس تيس على جبهته النجمة الخماسية، وله قرنان مخيفان وخلفه الشمس، وله جسد رجل ذى تديين كأثداء النساء .. يرفع يده اليسرى للأعلى ويشير بالأخرى للأسفل، بينما يرتدى سروالا فضفاضا يظهر من تحته حافرى التيس ..
تمثال للشيطان ..

همس الدكتور جلال بشىء وهو يرتجف، بينما تتابع المشهد .. هناك بخور كثيف يأتى من كل مكان، بينما تدلف (ريم) إلى الشاشة ..

عارية !

أشاح الجميع بوجوههم حياءا واحتراما للضابط (حسن)، الذى اتسعت عيناه أكثر وبرزت مقلتاه حتى حسبت أنهما سيسقطان حالا على المنضدة .. حاول أن يقول شيئا لكن صوته اختنق وتحشرج ..



لم نعلق لكننا تابعنا بطرف خفى ما يحدث ..

أعطاها أحد الموجودين كأسا كبيرة، أمسكتها الفتاة ورفعتها بهدوء فوق رأسها وببطء صبتها بالكامل حتى فرغ الكأس .. القته أرضا وأخذت تدلك جسدها ليصل السائل لكل شبر من جلدها، وما أن انتهت حتى وقفت ثابتة .. لاحظت أن حركاتها ميكانيكية للغاية .. كأنها مأخوذة أو مسحورة أو ..

ملبوسة ؟

جاء رجل من خلفها برداء أسود يشبه الروب يعطيه إياها، فارتدته ووقفت صامتة أمام التمثال ..

من جوارهما ظهر رجل سادس معه ناقوس فضى كبير يحمله بيده اليمنى، وبيده الأخرى يمسك سكينا ذات مقبض أسود كبير وعجيب .. وقف جوار التمثال وقرع بالسكين الناقوس، نظر الموجودون جميعا تجاه الشرق وهمسوا بصوت مخيف باللغة العربية الفصحى :

- زهرة الصباااااااح ..



يقرع الناقوس، فنظروا تجاه الشمال وهمسوا :

- بيييلاااااازبوووووووول ..

يقرع الناقوس، فنظروا تجاه الغرب وهمسوا :

- عشتاروووووووووووووت ..

يقرع الناقوس، فتحولوا بأجسادهم كلها هذه المرة تجاه الجنوب وهمسوا :

- عزازيييييييييييييييل ..

وعادوا لوضعهم الأول .. وأعاد حامل السكين والناقوس الدورة مرة أخرى .. وأمام أعين الضابط (حسن) ومن معه بدا على الشاشة وكأن هناك ضوء أزرق ينبعث من السكين الذى يحمله قارع الناقوس .. كان الآن يرن الناقوس وهو يدور حول الصنم عكس اتجاه الساعة .. دورة تلو دورة والفتاة لا تتحرك، وفجأة صاح الواقف خلف الفتاة :



- " إن نوماين داى نوسترى ساتاناس .. لوسيفرى إكسلسلى ..

نظر (حسن) تجاه الدكتور (جلال) وابتلع ريقه وهمس :

- ما معنى ذلك ؟

زم الدكتور (جلال) شفتيه، ثم قال بصوت مبحوح :

- إنها صلاة خاصة للشيطان .. يقول فيها : باسم سيدنا الشيطان إبليس العظيم !

رغما عنى شهقت .. إنها ليلة سوداء ! كنت أعلم هذا !

استطرد ذلك الذى يقف جوار (ريم) كلامه، بينما يترجم لنا الدكتور (جلال) كلامه بدقة :

- باسم الشيطان حاكم الأرض، الرب الحق القادر على كل شيء، فائق الوصف الذى جعلنا على صفته وشبهه، باسم ربى أدعوك لتعطينى من قوى الجحيم قوة، ومن صفاتك ربى قوة، ومن خلودك ربى قوة ..



افتح لى أبواب الجحيم وتقبلنى .. وتقبل (ريم) كأخت وصديقة وكاهنة للرب الأعظم القادر ..

خلصنا يا إلهنا العزيز إبليس من زلاتنا وأوهامنا السابقة، واعطنا قوة المعرفة والنور يا زهرة الضياء .. ثبتنا على عبادتك وحبك وذكرك دائما،

والمجد والشرف والرفعة لاسمك إلى الابد ..

صمت الجميع، ثم انحنوا إلى الأرض والتقطوا كئوسا فضيا، ورشفوا منها رشفة، ثم أعادوها لمكانها ..

مرت ثوان من الصمت، ثم ركعت الفتاة أمام الصنم و ..

أمام الأعين الذاهلة تحرك رأس الصنم ناحيتها واشتعلت عيناه باللون الأحمر و نهض من مكانه واقفا .. تحرك خطوة ناحيتها وهو يمد يده و ..

انقطع البث !

* * * *



أخذنا ننظر ذاهلين للشاشة السوداء، بينما صرخ (حسن) بهيستيريا :

- من أين يأتى البث ؟ أين هؤلاء الملاعيييييين .. أين هم ..

كانت ثورته عارمة لا تبقى ولا تذر .. من حقه طبعا أن يثور بعدما رأى ما رآه .. حاولنا جميعا تهدئته لكنه بدا كالثور الهائج .. بالفعل لا أحد يتحمل ما رآه ..

لم يكن هناك شيء معين نستطيع فعله، فجلسنا جميعا بانتظار تقرير التتبع تاركين (حسن) يدور فى الحجرة لايدرى ماذا يفعل، وجاء التقرير بعد دقائق .. يقول أن البث صادر من ..

منزل (حسن) !

الذهول يرتسم بشدة على وجه (حسن) وهو يغمغم :

- مستحيل .. مستحيل تماما .. ليس هذا ممكنا أبدا .. ليس هذا منزلى



وفجأة صاح فى جزع :

- أمى وأخى وبناتى ..

على الفور رفع الهاتف واتصل بهم ..

لا مجيب ..

مرة وثانية وثالثة ورابعة وعاشرة على كل الأرقام الممكنة ..

لا مجيب ..

صرخ بعنف ودون وعى طفرت من عينيه الدموع، على حين كان المأمور قد أمر بخروج سيارة على الفور محملة بالجنود إلى بيت الضابط (حسن) ..

وسرعان ما كنا جميعا نتجه إلى بيته، وكنت أقود أنا السيارة لأن حالته لم تعد تسمح بالقيادة ..

كان على شفا انهيار نفسى واضح إن لم يتغمده الله برحمته ..

وصلنا للمنزل الكئيب الغارق فى الظلام، ونزل (حسن) ونحن معه والجنود وراءنا مقتحمين المنزل صاعدين إلى شقة الأم حيث يجتمع الجميع ..

وهناك كانت المفاجأة ..

الأم نائمة فى هدوء، وكذلك أخوه فى حجرته والبنتان فى حجرتهما و..

(ريم) فى حجرتها !

الكل غارق فى سبات عميق لا يدرون ما يحدث حولهم !

أما (ريم) فكانت ملوثة بالدماء، وتفوح منها رائحة كريهة هى خليط من القذارة والمخلفات البشرية والدماء ورائحة الخمر ..

بدا جليا أن نوم الجميع ليس طبيعيا أبدا .. وبتفتيش سريع للمنزل وجدوا آثارا لوجود أناس فى قبو المنزل حيث تم هذا الحفل الشيطانى ..



أناس بدا أنهم خرجوا للتو من المنزل !

لكن أين الصنم ؟

فى وسط هذه الأحداث أخذ أنظر لد. (جلال) .. يبدو على وجهه القلق والتوتر بشدة .. كان يرغب فى الخروج من هذا المكان بأسرع وقت ممكن، وربما لولا الحياء لانطلق يجرى بعيدا ..

وكان هذا هو شعورى أنا أيضا .. الموضوع فعلا يحمل قتامة الموت نفسه أو ما هو أسوأ ! .. تخيل أنك تقف على أرض كانوا يعبدون فيها الشيطان منذ قليل !

تم تفتيش المكان بالكامل والتأكد من سلامة النائمين مع أخذ عينات من دمائهم لمعرفة نوع المخدر الذى فعل بهم ذلك ..

أمر المأمور بترك قوة حراسية للصباح ريثما يتم اتخاذ الإجراءات اللازمة لتأمين المكان ..



طلب الضابط (حسن) من أحد الجنود أن يصنع لنا بعض القهوة المركزة، ثم جلسنا جميعا فى الصالة دون كلام ..

بعد برهة قال الدكتور (جلال) :

- نحن فى مأزق !

* * * *

نظرنا نحوه فى دهشة بينما أردف هو :

- دعونا نرتب أفكارنا .. أحداث شيطانية غريبة داخل منزلك، وقاتل مجنون يسعى خلف رأسك فى الخارج .. هناك عبدة شيطان أقاموا حفلا للتو فى منزلك، وهناك تعميد لأختك التى من الواضح أنها انضمت إليهم بشكل ما .. يضا هناك تمثال لـ ..

قاطعه (حسن) عصبية وهو يشيح بيده قائلا :

- ولماذا نعيد هذا كله ؟ هل لديك حل أم نلجأ لدجال آخر ؟



اتسعت عينا الدكتور (جلال) بينما شهقت أنا فى عنف .. ساد الصمت ثوان، ثم قال الدكتور (جلال) :

- لا .. لا تلجأ لدجال آخر .. سيقوم الدجال الموجود حاليا بما هو لازم ..

كانت عينا (حسن) حمراوين تماما .. نظر برهة لد. (جلال) وقال :

- دكتور أنا ..

قاطعه قائلا :

- لا تعتذر .. أدرك تماما ما تمر به .. لكن يجب أن تعرف أن هذه ثانى مرة أسمع بهذا المنزل .. لقد جاءكم منذ فترة رجل يقوم بطرد ماعلى الفتاة من شر .. هو نجح جزئيا لكنه طلب مساعدتى .. وقد وافقت حينها لكنه اختفى تماما ولم اسمع عنه شيئا قط بعد ذلك ولا أعرف عنه شيئا .. هناك سر خبيث يقبع فى هذا المنزل ولسوف نعرفه معا .. ألست معنا يا أستاذ (أحمد) ؟



- إنها ليلة سوداء .. أنا أعرف أنها ليلة سوداء .. افعل ما تشاء يا دكتور !

ابتسم د. (جلال) ابتسامة باهتة ثم عاد لعبوسه .. اخرج هاتفه من جيبه وعبث فيه قليلا ثم قال :

- حسنا نحن نحتاج مساعدة .. سأتصل بشخص ما، ولنر ما سيحدث ..

نهض من مكانه، وظل يدور وهو ينظر فى هاتفه إلى أن وجد ضالته وضغط زر الاتصال .. ثوان ثم أجاب المتصل دون ان يتكلم ! عرفت ذلك لأن د. (جلال) جلس جوارى وطلب منه أن يأتى على الفور .. إنه بحاجة إليه .. ثم أغلق الهاتف .. الطرف الآخر لم ينبس ببنت شفه !

من هو ؟

إنه صديق د. (جلال) .. المريض النفسى الذى يرفض ذكر اسمه ..



رغما عنى ارتعدت .. لا أحب مقابلة هذا الرجل ..

هل أعرفه ؟

طبعا .. لقد كتبت كتابا كاملا عنه من قبل !

* * * *

تذكِرة سريعة :

هذا الرجل كان يعانى منذ طفولته من أحلام مروعة رهيبة .. يرى نفسه يقتل أناسا ويمزقهم ويقطعهم بطرق وحشية، ثم يستيقظ ليجد آثارا دموية تحيط به على فراشه .. ولو حكى شيئا من ذلك لأحد ، يهاجم الذى حكى له قوى شيطانية مروعة .. لذلك قرر التوجه لطبيب نفسى ملحد لايؤمن بكل هذا الكلام يطلب مساعدته ربما كان إلحاده بالقوى الغير طبيعية سببا للنجاة !

ولكن مع الوقت يؤمن الطبيب بكل شىء .. بالله تعالى وبالملائكة والجن وكل شىء، من خلال مواجهة



الشيطان بمساعدة د.(جلال)، لكن الشيطان كان قد اختار المريض النفسى لمهمة رهيبة ..

وأعطاه خاتم راؤول ..

وهو خاتم يتيح له التعامل مع عالم الشياطين بمقاييسهم .. فكما يتجول الشيطان بحرية فى عالمنا ويتجسد بمقاييسنا، يتيح له هذا الخاتم التجول بحرية فى عالمهم وبقدراتهم ..

ولكن المريض رفض عطايا الشيطان وحارب حتى لا يكون تابعا له .. حتى انتقم منه الشيطان !

ظل الرجل محتفظا بالخاتم لكنه لا يستخدمه تقريبا .. لو دلف لعالمهم لقتلوه .. هم لا يستطيعون إيذاءه هنا ، لكن فى عالمهم يستطيعون النيل منه بكل سهولة .. ظل محتفظا به كى لا يستخدمه الشيطان فى إغواء آخرين ، ولكن الشيطان استطاع الانتقام منه .. كما سنعرف !

* * * *



نصف ساعة مرت، ثم وجدناه يدلف إلينا فى قلب المنزل اللعين !

لا تسألنى كيف عرف مكاننا تحديدا .. رغم خوفى منه إلا أنه مس قلبى بحالته العامة المزرية ووجهه الشاحب وجسده الذى ينتفض وهو يسير و ..

ذلك الخاتم فى يده ..

خاتم راؤول !

كما قلت فهذا المريض تعرض لتجارب شيطانية مريعة بعدما حدث فى مقابر انجلترا .. هو الآن لا ينام تقريبا بسبب ماحدث ويحدث له .. فبعد أن انتصر على الشيطان، زاره القاتل الضحاك وانهال عليه طعنا وأصابه بأذى كبير، لكنه لم يمت ..

كان انتقام ذى السواد منه رهيبا .. بعد أن كان يحلم أنه يقتل الناس ويعذبهم، صار يحلم بالضحية !



كل ليلة ينام يحلم بكابوس مرة .. مثلا يجد نفسه ممدا على منضدة ما أو موثقا من يديه وقدميه، ويأتيه من يمزقه شر تمزيق .. وقبيل موته بلحظات يستيقظ من نومه صارخا ..

بالفعل قاسى عقابا أسطوريا لم يذقه (سيزيف) حتى ..

وكل مرة ينام يأتيه الموت من ناحية جديدة ..

كل ضحية حلم أنه يقتلها صار هو مكانها ..

بنصيحة من د.(جلال) كان يحصن نفسه بأذكار محددة كل يوم صباحا ومساءا وعند النوم وعند دخول الخلاء، والويل له إن نسى أو تلعثم ..

الويل له ..

المهم .. نعود لأحداثنا ..

ما أن جلس حتى أخبره الدكتور (جلال) بما حدث، ثم طلب منه الاستقصاء عن الأمر ..



أومأ براسه إيجابا، ثم نهض بتوتر مرتجف وأخذ يتشمم المكان !

نعم كان يتشممه فعليا كالكلب - وهى ليست سبة لكنى لا أعرف تشبيها آخر - .. ولست أدرى هل هى مجرد هلاوس أم أنى سمعت زمجرة غاضبة ؟

أخذنا نراقبه وهو يتجول ويدور ويغمغم بصوت مبحوح غليظ :

- البيت شرير ..

- الأموات يحومون ..

- الشيطان يعود ..

- الكاهن يرقد بالأسفل ..

- الموت !

ثم شهق فجأة وانحنى للخلف بحركة مستحيلة وهو يمسك عنقه و ..



طار فى الهواء !

كأنما هناك يد عملاقة تجذبه من قلبه ناحية السقف .. كان الهلع سيد الموقف وأنا لا أدرى ماذا أفعل تحديدا ..ولا أحد يدرى ..

نظر تجاهنا ببطء وهو معلق فى الهواء و ..

صرخ صرخة رهيبة زلزلت وجدانى، ثم سقط على الأرض ..

وكأنما صرخته أثارت المنزل، انطلقت الصرخات من كل مكان حولنا .. المرايات تتكسر ..

الإطارات الزجاجية للصور تنفجر ..

والأثاث يتحرك من تلقاء نفسه ويرتطم بنا ..

موجة رهيبة استغرقت ثوان ثم هدأ كل شىء ..

نهض من كان مريضا نفسيا فى تهالك وهمس وهو يشير للأسفل :



- السر ..

تحت أرض المنزل ..

ثم انهار على الأرض فاقدا وعيه !

* * * *

أخذنا ننظر لبعضنا وتتباين تعبيرات وجوهنا ما بين الرعب والفزع والتوتر والخوف .. أنا كنت أشعر بكل هذه المشاعر معا ..

ماذا سوف نفعل ؟ كنت أتمنى أن يكون سؤالى :

ماذا سوف يفعلون ؟

بصوت أجش يبعث على الذعر أخبرنا الدكتور (جلال) أن الموضوع كبير وهو لا يكاد يفهم ما يحدث .. لابد من استكشاف ماتحت المنزل، وربما فهمنا وقتها وبدأنا نتخذ إجراءات سليمة ..



هل تصدقنى لو قلت لك أنى لأول مرة ألمح الخوف فى عينى الدكتور (جلال) ؟ ولأول مرة أشعر بعدم الثقة !

يجب أن يكون قائدك كتلة من الحماس والطمأنينة .. لكن ..

لله الأمر من قبل ومن بعد !

اتفقنا على أن نعود لمنازلنا الآن، وغدا فى الظهيرة نكون هنا ..وخلال هذا الوقت يكون الضابط حسن استعد لأننا سوف ..

سوف نستكشف مايوجد أسفل منزله !

* * * *

خرجنا جميعا من المنزل نريد ألا نعود إليه مرة أخرى ..

لكننا سنعود !



بمجرد ذهابى بعيدا غمرنى إحساس رهيب بالراحة يشبه إحساس أبطال أفلام الرعب عندما يخرجون من البيت المسكون أو الفتحات التى تمتلىء بكائنات قاتلة أو أيا ما كان ..

يخرجون هاربين بلا رجعة ..

ولكننا راجعون ! مشاعر متناقضة كثيرة !

سويعات قليلة وسنعود .. أى عقل هذا !

نعم أدرك أن (حسن) صديقى ويجب أن أكون جواره .. ربما مرت الليلة على خير، ولكن غدا ستكون ليلة سوداء .. أنا متأكد !

عرضت على المريض أن أوصله معى، فتقبل شاكرا .. على الرغم من كل شىء فكما قلت أنا أخاف من هذا الرجل وندمت على عرضى !

ما أن جلس جوارى حتى فتحت الكاسيت على القرآن الكريم كما أفعل دائما، فإذا به ينظر نحوى وتظلم



عيناه ويفتح فمه متلويا ويصرخ، ثم يذوب فى الهواء !

صرخت أنا الآخر .. ما هذا .. ما هذا ..

خرجت جاريا متخبطا من السيارة نحو الدكتور جلال لأجد المريض يجلس جواره فى سيارته !

حكيت له مرتجفا ما حدث وأنا أتحاشى النظر للمريض .. عقد د.(جلال) حاجبيه مفكرا وهو يقول :

- حسنا .. لقد بدأوا الهجوم .. خذ الحذر ..

صرخت فيه :

- آخذ الحذر من أى شىء بالضبط ؟ من كان هذا وماذا يريد منى ؟

ابتسم د. (جلال) ابتسامة مضطربة وقال :

- لا تجعل القرآن ينقطع وستكون فى أمان .. عد إلى سيارتك يارجل لاتخف ..



لا أخاف ؟ أنا أموت ذعرا .. إنها ليلة سوداء وأنا قلتها مرارا وتكرارا ..

هكذا عدت لسيارتى وارتفع منها صوت القرآن كأنى فى سرادق عزاء .. ولك أن تتخيل رحلة عودتى وحدى فى الظلام قبيل الفجر .. المقعد الذى على جوارى كان يجلس عليه شيطان له ملمس وثقل وحيز مادى !

تخيل موقفى أن أركن سيارتى فى الشارع المظلم أصلا .. صعودى على السلم للطابق السادس ولسانى يلهج بالذكر ..

دخولى لشقتى والكل نائم ..

مقابلتى لوالد زوجتى المتوفى منذ عشر سنوات ناظرا نحوى فى شر قبل أن يذوب فى الهواء !

صراخى هز المبنى بأكمله .. ألم أقل لكم ؟

* * * *



الفصل التاسع

البداية!

الشيطان هو الحق.. الشيطان ينجيك من كل شر .. الشيطان يقبلك كما أنت .. أعرف ذلك لأنه أملانى هذا الكتاب . مخطوطة كيغاس !

فى صباح اليوم التالى ذهب الضابط)حسن(إلى قسم الشرطة ليتابع آخر تطورات الفيديو الذى تم بثه بعدما تناول مهدئا قويا من مهدئات زوجته .. شعر أن أعصابه تلتهب ولا يستطيع التحمل .. إنه على شفا الجنون فعلا،

وقد ساعده الدواء القوى على النوم ساعتين متواصلتين .. الآن هو هادىء نوعا .. يشعر بالغضب والإرهاق لكنه يستطيع التعامل مع المواقف بطريقة أفضل من الأمس .. فكر أن يتناول حبة أخرى للحظات



ثم حسم أمره وابتلعها مع كوب قهوة كبير يساعده على إبقاء جفنيه فى وضع الاستيقاظ ..

يريد متابعة القاتل .. يريد متابعة الفيديو بدون الوصول للحد الأقصى من التوتر كما حدث سابقا .. الموضوع خطر لأنه تم بثه على حساب القاتل المتسلسل نفسه على اليوتيوب، والذى بث منه الفيديوهات السابقة !

جلس على مكتبه مرهقا يرمق الضباط من حوله وهم يعملون .. فكر فى إحضار قوة مع أمر بالتفتيش والحفر تحت المنزل، لكن العجيب أنه بمجرد وصوله للقسم فقد الرغبة فى متابعة أى شىء .. ربما كان الأمر مجرد إفراغ لشحنة من التوتر ريثما يأتى د. (جلال) والآخرون ؟!

نظر فى ساعته : إنها التاسعة والنصف، وهم متفقون معه على أن يأتوا فى الحادية عشر تقريبا .. أمه وأخواه استيقظا منذ قليل ومعهما بنتيه .. (ريم) لا تعرف شيئا مما حدث ولا تذكر!، بل بدا عليها الاشمئزاز



والتقزز مما وجدته من قذارة على جسدها بعد استيقاظها، ومع ذلك فهى لا ترغب فى الاستحمام ! ولكنها أخذت دشا سريعا لأنه من غير المقبول أن تظل هكذا !

بينما هو جالس جاءه (أيمن) صديقه وربت على كتفه وقال :

- (حسن) .. لا أعرف تماما ما الذى يحيط بك، ولكنى معك دائما .. تستطيع أن تعتمد على وجودى معك وجوارك إذا ما احتجتنى ..أليس كذلك ؟

رفع (حسن) نظره إليه وهز رأسه شاكرا ولم يعقب بشىء .. مرت ثوان، ثم سأله (حسن) محاولا تبديد توتر نفسه :

- ألا توجد قضية أخرى عجيبة تود أن تطلعنى عليها ؟

امتقع وجه (أيمن) وهو يقول متلعثما :



- فى الواقع .. حسنا .. هناك ما أريدك أن تطلع عليه ربما يفيدك فى شىء .. أعرف أنه ليس وقته ولكنها ..

صمت ثوان ينظر لملف صغير فى يده ثم أردف بتوتر :

- حسنا .. معى قضية غريبة قد تتشابه مع .. هناك أقاويل حول مايحدث معك يا صديقى و .. هل تحب أن تعرف ؟ ربما لو قرأت هذه الأوراق لاكتشفت شيئا يساعدك و.. !

ظهر التساؤل فى عينى (حسن)، فمد إليه (أيمن) يده بالملف قائلا فى خفوت :

- فقط اقرأ هذه القضية، ثم نتحدث ..

كان يريد أن يحكى له (أيمن) شيئا لإزجاء الوقت وإفراغ التوتر فحسب ولا يريد قراءة شىء .. وعلى الرغم من إرهاقه تناول الأوراق فى تعجب وهو ينظر نحوه، ثم فضها وبدأ يقرأ :

* * * *



تقرير :

جلست جوار الرجل الممد على الفراش ..

يبدو عليه الإعياء بدرجة لم أرها من قبل ..

كنت أريد أن اسأله عن أقواله لكنى كنت محرجا من حالته الحرجة .. بالفعل أشعر أنه على شفا الموت ..

مع ذلك قلت له هامسا برفق أنى أنتظر أقواله حينما يستطيع وعليه ألا يرهق نفسه .. لست أدرى لماذا كان قلبى يؤلمنى على حاله هكذا !

ثوان مرت ثم قال ذلك الممد بوهن :

- نظرت نحوها بغيظ .. لا أستطيع السيطرة على نفسى .. الغضب يكتنفنى تماما، بينما البرق يلتمع من ورائى مع صوت الأمطار .. كانت تتكلم وتتكلم وتنتقدنى وتهيننى .. لسانها يقطر سما، بينما أحاول أنا اجتنابها وأرفع صوت المذياع :



- آه يا ليبيل .. إيه يعنى غرامك ودعنى .. إيه يعنى فارقنى ولا رجعلى ..

منذ انتقلنا لهذا المنزل منذ ما يقرب من العام وهى لا تكف عن رفع صوتها .. وأنا لا أعرف حقا ماذا تريد .. أصبحنا دائمى الصراخ .. الميزة أنه لا أحد يسمعك هنا ..

ولكنها الليلة بالذات لا تكف ..لا تكف .. اخرسى قليلا ..

صرخت فيها أن تصمت .. وضعت يدى على أذنى لكنها تجذب يدى، رفعت يدى الأخرى وصفعتها ..

- أنا بيك من غيرك مش فارقة ..

سادت لحظة صمت مع صوت الأغنية .. العينان متجمدتان ذاهلتان غاضبتان وحشيتان دامعتان .. ومع التماع البرق مرة أخرى صرخت وحملت فازة وهوت بها على رأسى ..



رفعت يدى لأحمى نفسى، وصرخت من الألم وأنا أبتعد ..

رفعت الفازة مرة أخرى وعيناها تلتمعان بالجنون ..

قدامك اهو .. لسة باغنى ..

تراجعت خطوة وأنا أمسك ساعدى وأصرخ فيها أن توقفى ..

توقفى ..

هوت بها مرة أخرى، تراجعت ولكنها أصابت صدرى ..

أطلقت صرخة ألم عاتية،وأدركت أن الجنون استحوذ عليها ..

استدرت وحاولت الهرب، لكنى اصطدمت بمقعد ..

تعثرت ..

منضدة ...



وقعت ..

نهضت وجريت ..

وهى ورائى تصرخ فى توحش ..

هناك أشياء ما تتناثر حولى ..

مزهرية ترتطم بظهرى لكنى تحملت وجريت نحو المطبخ ..

ستقتلنى ..

ستقتلنى ..

- انت اخترت طريق ومشيته ..

أريد أن أطفىء المذياع اللعين .. خطفت سكينا والتفت أنظر نحوها ..

كانت تتقدم بشعر منكوش وعينين حمراوين ومخاط سائل على شفتيها ..



تجمدت عيناها الواسعتين على السكين لثوان، ثم رفعت عيناها نحوى وهمست بشىء ما، ثم صرخت صرخة عالية واتجهت يسارا .. أين ذهبت ؟

تقدمت خطوتين لأفهم، لأجد السحابة البيضاء ترتطم بوجهى بصوت فحيح مرعب ..

- بتفكرنى بحب زمان ..

تراجعت وأنا أشهق فيدخل الـ .. لا أدرى ..

يدخل حلقى ورئتى ..

أسمع الفحيح مرةأخرى مع صراخها المجنون ..

إنها مطفأة الحريق توجهها لوجهى ..

اللعنة سأختنق ..

أخذت أحاول الهرب وأنا أتعثر حتى لمست يدى شيئا ..



المقلاة .. إنها المقلاة .. بيأس طوحت بها بأقصى قوة نحو وجهها ..

طننننننن !

توقف الفحيح القاتل، وارتفع صوت زوجتى بعواء متألم ..

وأنا أجاهد لجذب أنفاسى لمحتها تمسك أنفها الذى انفجرت منه ماسورة دماء ..

أشعر بوعيى يسحب منى، ومالبثت أن أفقت على ألم رهيب يجتاح ذراعى الأيمن .. صرخت بصوت عال وأنا أرفع يدى لأجد إصبعين ناقصين ..

إنها تهاجمنى بالساطور !

كانت تصرخ وتتحشرج بصوت عجيب، ثم رفعت يدها بالساطور لتهوى على رأسى ..

- عمرى ما شفت معاك حنية ...



تراجعت بالكاد لكنها أصابت وجهى بأكمله ..

الدم ينفجر من وجهى أنا الآخر ..

عاودت الهرب وهى ورائى تصرخ ..

أشعر بألم حاد يصيب ظهرى فأتشنج ويتقوس ظهرى من الألم ..

أصابتنى فى ظهرى بشىء ..

التفت لأجدها تصرخ وهى تؤرجح يدها بالساطور نحو عنقى ..

لم أستطع تفاديها هذه المرة، لكنها أصابت تلك العظمة تحت الرقبة .. آآآآآه ..

أطلقت صرخة ألم عالية صدرت من أعماق روحى، واختلط صراخى بصراخها وهى تحاول جذب الساطور وأنا ممسك بيدها وأدفعها للوراء بما تبقى لدى من قوة خائرة ..



تعثرت فى شىء ما ووقعت اللعينة على الأرض وأنا فوقها، وتسبب وقوعنا فى خروج الساطور مسببا ألما أسطوريا ..

فجأة وجدته اللعينة فى يدها ..

رفعت يدها وهوت به مرة أخرى، رفعت يدى السليمة لأحمى نفسى فإذا بالساطور يشق كفى ..

مرة أخرى صرخت ألما وتراجعت بعيدا عنها فى ذعر، بينما اعتدلت وهى تصرخ فى جنون .. نهضت فى هيستيرية واضحة وجرت نحوى للمرة الأخيرة لتجهز على وهى تصرخ .. رفعت قدمى لأضربها فى قدمها فانبطحت على وجهها أمامى وسقط منها الساطور ..

الفرصة لا تأتى مرتين ..

التقطت الساطور ببواقى يدى وانهلت كيفما اتفق عليها ..

رأسها ورقبتها ورأسها مرة أخرى ورقبتها ..



تعثرت فى شيء ما ووقعت اللعينة على الأرض وأنا فوقها، وتسبب وقوعنا فى خروج الساطور مسببا ألما أسطوريا ..

فجأة وجدته اللعينة فى يدها ..

رفعت يدها وهوت به مرة أخرى، رفعت يدى السليمة لأحمى نفسى فإذا بالساطور يشق كفى ..

مرة أخرى صرخت ألما وتراجعت بعيدا عنها فى ذعر، بينما اعتدلت وهى تصرخ فى جنون .. نهضت فى هيستيرية واضحة وجرت نحوى للمرة الأخيرة لتجهز على وهى تصرخ .. رفعت قدمى لأضربها فى قدمها فانبطحت على وجهها أمامى وسقط منها الساطور ..

الفرصة لا تأتى مرتين ..

التقطت الساطور ببواقى يدى وانهلت كيفما اتفق عليها ..

رأسها ورقبتها ورأسها مرة أخرى ورقبتها ..



ثم جلست جوارها ألهث ..

كانت تنتفض، وتنظر لى بعينين إحداهما مشقوقة وتزوم ..

لم تكن ضرباتى على قدر من القوة، لكن رأسها تحطم وانبعج بشكل رهيب ...

ومازالت حية ..

وعيى ينسحب ببطء ..

نهضت بصعوبة لأتصل بالإسعاف ..

يجب أن أعيش ..

ومع بقايا الوعى المنسحب طلبت النجدة ..

* * * *

انتهيت من تسجيل كلام هذا الرجل ونهضت فى عجب .. أخذت أنظر نحوه فى شفقة وأنا أفكر .. هذا



الرجل ماتت زوجته منذ خمس سنوات ! وجيرانه لم يروا معه أحدا قط .. حتى طعامه يأتيه بالهاتف .. ولم يجدوا معه أحدا فى الفيلا .. ولا حتى أثر لوجود شخص آخر !

ولا أحد يعرف ما الذى حدث حقا !

و..

بالطبع قيدت ضد (مجهول)، مع عرض الرجل على طبيب نفسى !

* * * *

أنهى (حسن) قراءة التفاصيل ونظر ناحية (أيمن) وتساءل متعجبا :

- ما معنى هذا الكلام ؟

نظر نحوه (أيمن) وهمس :



- هذه الأحداث حدثت فى نفس عنوانك منذ عدة سنوات .. قبل أن يشترى أبوك المنزل .. ما حدث هنا حدث فى نفس المنزل يا صديقى !

* * * *

كان الضابط (حسن) يقود سيارته فى شرود .. كل ما فعله أيمن هو أنه أكد له شكوكه تجاه المنزل وكأنه مازال داخله شك !

بعد كل هذا الذى يراه ممازال بداخله شك !

هو عنيد لدرجة الغباء أحيانا !

كان يقود السيارة كما قلت شاردا، حين أتاه هاتف من د. (جلال) .. فحوى المكالمة أن يسرع لمنزله الآن ولا داعى لمن استدعاهم للحفر، ثم أغلق الهاتف !

لا داعى للحفر ؟ غريب .. أصلا كان محتارا فى موضوع الحفر هذا، إذ أنه لا يدرى أين سيحفرون



بالضبط ؟ داخل المنزل أم خارجه، وإلى أى عمق، وعم يبحثون بالضبط ؟

جملة (أسفل المنزل) ! .. عبارة مطاطة للغاية تمتد عموديا للجهة الأخرى من الكرة الأرضية ..على كل هو كان قريبا بالفعل من المنزل .. اتصل وطلب تأجيل خروج الرجال الذين طلبهم قليلا، ثم انطلق نحو المنزل وصدره يعمر بشتى أنواع التساؤلات ..

* * * *

فى هذا الوقت كنت أمر أنا بألعن يوم منذ فترة طويلة .. بعدما رأيت أبا زوجتى الميت، كنت أخشى النوم بالطبع .. أخذت حماما سريعا، ثم جلست فى حجرة الجلوس أفكر فيما حدث حين خرجت زوجتى بكوبين دافئين .. وأمام فضول المرأة لم يكن هناك مناص من أن أحكى لها ما عرفته بالتقريب ..

بضع دقائق مرت ثم غلبنى النوم .. ولا تسألنى كيف غلبنى النوم وأنا أتحدث ، لكنه ماحدث .. ومباشرة رأيت أسوأ كابوس فى حياتى !



رأيت أنى جالس فى شقتى هذه أتحدث مع زوجتى، ثم جاء ابنى الرضيع يسير على قدميه منتصبا يسير بثبات ! لم تكن زوجتى منتبهة إليه، حين مد إليها يدا سوداء طويلة ويغرسها فى قلبها ببساطة ثم ينتزعه !

لم أستطع حتى الصراخ .. رأيت زوجتى تريد أن تستنجد بى .. أن تصرخ لكنها فقدت النطق، ثم يهوى رأسها على صدرها بلا حراك، وابنى ينظر نحوى، ثم فتح فما أسودا متسعا مظلما و..

سمعت الصراخ .. آلاف من الاصوات خرجت من فمه الصغير وكأنه بوق :

- ألم ننهك عن الذهاب ؟

لا تعد ..

لا تعد ..

لا تعد ..



لا تعد ..

وفجأة استيقظت شاهقا فى عنف وأنا ألهث .. زوجتى ليست جوارى .. أين هى ؟ نظرت للساعة المعلقة على الحائط فى جزع فوجدت أنى نمت ساعتين متتاليتين !

مازال قلبى يؤلمنى من الخوف ومازال الحلم يؤثر فى بشكل ما .. نهضت من مكانى فى تثاقل متوجها للمطبخ كى أعد لنفسى كوبا من الشاى الثقيل قبل أن نعود لمنزل صديقى (حسن) بعد أن رأيت زوجتى نائمة فى فراشها .. يبدو أنها يئست من الثرثرة معى اليوم فنامت .. لحسن الحظ لم أكن حكيت لها شيئا تقريبا فى الدقائق القليلة قبيل نومى ..

لقد أصابنى التعب فعلا من كل هذا الهراء .. ترى هل الكتاب اللعين هو السبب ؟ ثم .. هل يمكن أن يوجد فى الكتاب حل لهذه المشكلة ؟

ما أن خطر لى هذا الخاطر حتى أحضرت هاتفى فورا واتصلت بد. (جلال) .. قلت له أنى بحوزتى كتاب



سحر أصلى .. - هى حركة طفولية أعرف ذلك جيدا .. نوع من التباهى بما عندى أمام الخبراء - .. سألنى مهتما عن شكل الكتاب وعنوانه .. أخبرته أنه غير معنون وحكيت له باختصار ما حدث .. فطلب منى إحضاره دونما إبطاء .. قد يكون شمس المعارف أو ماهو أسوأ ! ثم أنهى المكالمة ..

أخذ أنظر للحظات فى شاشة هاتفى فى غباء ..

أسوأ ؟ من شمس المعارف ؟

يبدو أنها ستكون ليلة سوداء !

نعم ..

على كل أحضرت الكتاب اللعين فى لفافته القديمة، ثم وضعت المسجل القديم على المنضدة فى منتصف الصالة وجعلته يعمل على سورة البقرة طوال الوقت بصوت عال، واستودعت الله فى أهلى ونزلت ..



أصدقك القول كنت خائفا كما لم أخف فى حياتى .. شعور رهيب بالخوف على نفسى والقلق على عائلتى أن يصيبهم شىء ..

لم أستطع أن أسيطر على خوفى وضربات قلبى و اضطراب جسدى والكتاب جوارى طوال الطريق إلى منزل (حسن)، حتى أنى كدت أحتك بسيارات أخرى على الجانبين عدة مرات ..

وصلت إلى منزله .. رأيتهم مجتمعين أمام البوابة ..

(حسن) ود. (جلال)، و(المريض الغامض) ورابعهم أنا ..

ما أن وصلت ونزلت من السيارة حاملا اللفافة حتى اختطف منى الدكتور (جلال) الكتاب وفض ما حوله برفق متمتما بكلمات ما وهو يتأمله بانبهار .. على الرغم من علمه الغزير هذا وكثرة اطلاعه، إلا أنى عرفت أنه أول مرة يرى كتابا مثل هذا !



ظل يقلب فى الصفحات المشئومة وهو مازال يتمتم بأشياء لا أتبينها – فيما بعد عرفت أنه يتمتم بآيات من القرآن – يبحث عن شىء ما، حتى برقت عيناه فى ظفر ..

نظر لنا وحمل الكتاب قائلا :

- شباب .. اريد منكم الآن الصمت التام .. لا تتكلمون قط إلا بإذنى .. تحت أى ظرف لا تصدرون صوتا .. تحركوا خلفى فى صمت وعلى قدر الإمكان بخفة ..

أومأنا إيجابا فى وجل على حين أشار إلينا مؤكدا على الصمت التام، ثم أن نتبعه ..

سرنا وراءه فى صمت داخلين للمنزل اللعين ..

مازال هواؤه ثقيلا سمجا كريه الرائحة .. ومازال مظلما رغم الإضاءة المنتشرة فى كل مكان .. شعر يدى ينتصب وعيناى ممتلئتان دمعا .. علامة أكيدة على قوى الشر هنا !



ونزلنا خلفه للقبو ..

لم أحب هذا القبو قط .. ربما لو نزلت مقبرة كافر لما شعرت بكل هذا الانقباض !

وقفنا متجاورين، بينما طلب منا الدكتور (جلال) ذكر الله تعالى طوال الوقت وعدم الالتفات لأى شىء يحدث حولنا ..

بدأنا فى التلاوة والذكر بالفعل حسب ما يحفظ كل منا، بينما كان الدكتور (جلال) ينقل أشياءا ورموزا ورسومات من الكتاب ويرسمها على الأرض ..

بضع ثوان مرت .. الحر يزداد والأكسجين يقل والدوار يكتنف رأسى ..

كأن الأرض تهتز .. العرق يغمرنى الآن وأتنفس بالكاد .. أمد كفى لأمسح عرقى لأجد أن لونه أسود فأشهق !

أعوذ بالله من همزات الشياطين .. أسمع الشياطين تضحك فى غضب .. الجو العام جو هلوسة ..



الموجودات تهتز وأشعر بالظمأ الحارق يحرق جوفى وقلبى يرتجف بين ضلوعى .. أغمض عينى أكثر وأسد أذنى وأحاول التركيز فيما أقوله بعيدا عن الصراخ المتزايد والضحك الغاضب والهسيس المتواصل ..

هسيس ؟

فتحت عينى لأجد تحت أقدامنا ثعابين !

ثعابين من كل لون .. ارتجف ونظرت لرفيقى .. كان (حسن) ينظر للسقف فى هلع وهو لا يكف عن ترديد الأذكار، بينما كان الآخر يغمض عينيه فى قوة ويكمل ما يقوله بثبات .. واضح أن كل منا يرى شيئا غير الآخر !

ظللنا هكذا بضع دقائق .. دقائق ثقيلة .. ربما هى بضع ثوان لكن الوقت لا يمر .. الهسيس يتعالى .. ضربات قلبى تتزايد .. اشعر أنى سأفقد الوعى الآن !

ثم انتهى كل شىء بغتة مع زفرة ارتياح من الدكتور (جلال) ..



التقطنا أنفاسنا بعنف وكأنما كنا نعدو منذ ساعة .. ومالبث أن قال بهدوء :

- اقتربوا يا شباب .. اسمعونى جيدا ..

اقتربنا منه فى هدوء ونظرنا للأرض .. كان مرسوما على البلاط دائرة كبيرة سوداء داخلها تعاويذ وطلاسم وأشياءاغريبة .. تعجبت بشدة لأن د. (جلال) لم يكن ممن يستعملون هذه الطرق قط .. داريت عجبى بينما قال هو :

- أنتم تعلمون أن الله اختص الجن بخاصية الاختفاء، وأنهم يروننا ويسمعوننا من حيث لا نراهم ولا نسمعهم ..

أخذ نفسا عميقا ثم أردف :

- هذه الدائرة تفعل العكس .. إذ أنها تعزلنا نحن عن عالمهم وعن عيونهم، فنصبح غير مرئيين ولا مسموعين بالنسبة إليهم لوقت محدد .. ربما نصف ساعة أو ساعة ..



رفعت عينى نحوه فى دهشة .. هل كان هذا فى الكتاب ؟

وكأنه قرأ تساؤلاتى أكمل :

- هذه من الأمور الغير واضحة تماما للهواة .. أنا قرأت كثيرا عن هذا الموضوع واستعملته مرة واحدة فقط .. بضع نقاط تؤخذ من عدة طرق .. للاسف هى من ضروب السحر .. وأعتقد أن السحر هنا ليس حراما !

تساءل (حسن) متوترا بعد هذه المقدمة :

- عظيم جدا .. والهدف ؟

قال د. (جلال) فى حماس :

- ماحدث هنا أننا اختفينا عن اعينهم كما قلت وهو ما أثار غضبهم للحد الأقصى .. ربما شعرتم بهذا أو رأيتموهم يحاولون إخافتكم .. الأذكار التى كنتم ترددونها باستمرار هى التى منعتهم عنكم ..



ارتجفت .. إذن الثعابين لم تكن مجرد هلاوس !

شعرت بشعور مقيت فى بطنى .. لماذا لم أعتذر متحججا بأى شىء عن التواجد معهم من أول مرة ؟

أكمل د. (جلال) :

- باختصار: صديقنا هنا – وأشار نحو المريض – معه خاتم راؤول، ولكى تفهمون ما هو : هو خاتم يمكنه من التنقل بين عالمى الجن والإنس ببساطة كما ينتقل الجن بين عالمينا ببساطة .. عندما يتجسد الجن عندنا يعيشون بمقاييس عالمنا .. أى أنه لو تجسد فى شكل قطة مثلا فهو يصير مجرد قطة وتنتفى عنه قدراته التى تبدو لنا خارقة حتى يعود لحالته الأصلية .. وهذا هو الحال هنا .. عندما يدلف هذا الرجل لعالمهم سيمكنه مثلا التنقل فى المكان بسرعة خارقة .. ولكنه – نتيجة سوء تفاهم قديم – (قالها وهو يبتسم له ابتسامة جانبية كأنما يمتلك البال الرائق للابتسام !) لا يستطيع استخدام هذا الخاتم فترة طويلة .. بالأحرى هو لا يستطيع استخدام هذا الخاتم أصلا ! لو استطاع



أحد الشياطين التحصل عليه فلن يكون مصيره غير الموت ميتة شنيعة .. لن يستطيعوا إيذاءه هنا قط لكن لو دلف لعالمهم .. بمقاييس عالمهم سيصير لقمة سائغة ..

بينى وبين نفسى كنت أريد أن أقول له أن يكف عن الثرثرة ويشرح لنا لاحقا .. لكنه أردف :

- الآن نحن محجوبون عنهم، لمدة بسيطة .. الآن سأطلب منك يا صديقى أن تنزل للأسفل وترى ماذا هناك .. لم استطع طلب منك ذلك سابقا حتى لا يتم سماعنا .. هل يمكنك ذلك ؟

ساد الصمت توان، ثم ملأ الجو همس مخيف واختفى المريض بغتة كأنما لم يوجد معنا من الأصل قط !

* * * *

ساد الصمت ونحن لاهثين نرقب الأرض التى كان يقف عليها منذ ثوان فى عجب .. لن يثير شىء دهشتى بقية حياتى قط .. أرجو فقط أن أعيش بقية حياتى



هذه .. العجيب أن أحدنا لم ينبس ببنت شفه طوال فترة غياب المريض تحت الأرض .. أما ما حدث فلست أعرف كيف أصفه .. رأيت خيالات كل شر ممكن .. تجسدات تظهر وتذوب .. أشباح سوداء تدور حولنا وتختفى .. الدقيقة تمر كأنها ساعة، وما بين الثانية والأخرى دهر طويل، ومع ذلك لم ننبس ببنت شفه، حتى ظهر صديقنا ..

ما مضى من الوقت كان عشر دقائق تقريبا أو أقل، قبل أن يظهر بيننا فى مكانه مرة أخرى .. كان معفرا على وجهه وثيابه خيوط عنكبوت وفى يده شىء ملفوف .. ربما هى مخطوطة كبيرة ؟ وبيده الأخرى يقبل الخاتم فى إصبعه .. كان يلهث ويبدو على وجهه الإعياء .. بالطبع الهواء بالأسفل فاسد ولا يوجد ما يكفى من أكسجين .. أصلا ما الذى يوجد فى الأسفل حتى أقول هذا الكلام ؟

زفرنا جميعا فى راحة، ثم أسرعنا خلف د.(جلال) بالخروج من هذا المكان الرهيب .



* * * *

فى الخارج جلسنا .. لست أعنى فى المبنى نفسه، ولكن خرجنا أمام المنزل وافترشنا الارض الأسفلتية .. أخذت أنظر للسماء الزرقاء الجميلة والشمس الساطعة .. عندما تشرق الشمس بهذه القوة يكون الحديث عن الشياطين السفلية سخيفا جدا وهينا جدا ..

أعاد إلى د. جلال كتابى بحرص، ثم – بحرص أيضا – تناول المخطوطة من يدى صديقنا المريض ..

أعرف أنك متضايق من عدم ذكرى لاسمه، ولكن صدقنى أنا لا أستطيع ذكر اسمه .. هو طلب هذا وله الحق فى ذلك ..

المهم .. تناول المخطوطة وأخذ يتأملها بدقة ..

كانت طويلة تناهز المترين طولا، مكونة من عدد من الرقع الجلدية الملتصقة ببضعها البعض، مكتوب عليها كلاما كثيرا بلغة عربية قديمة، حين كان الناس يكتبون كلامهم مزخرفا .. أحسب أن عمرها مائة عام أو أكثر ..



طلب د. (جلال) من صديقنا المريض وصف ما رآه بالأسفل ..

بصوت أجش كأنه يتجشأ الكلام قال :

- تحت المنزل بحوالى عشرة أمتار توجد حجرة حجرية صغيرة مبنية بالأحجار الكبيرة، وفى الركن تمثال للشيطان يشع هالة ضعيفة زرقاء، وتمتلىء الحجرة بأدوات شيطانية تستخدم فى السحر، وهناك رفات رجل ميت متكومة على هذه المخطوطة .. أزحت رفاته ولملمت المخطوطة وجئت بها إليكم .. هذا كل شىء .

سأله (حسن) فى تعجب :

- وكيف استطعت رؤية كل هذا وأنت تحت الأرض ؟

رفع المريض هاتفه وابتسم فى شحوب وقال :

- أضأت كشاف هاتفى !



ابتسمت رغما عنى .. توقعت مثلا أن يرى فى الظلام كالقطط أو أن تضىء عيناه أو أى شىء خوارقى .. لكنه أضاء كشاف هاتفه !

هرش د. (جلال) فى ذقنه، ثم جلس على الرمال أمامنا – لم يكن قد جلس معنا منذ البداية -، ثم مد يده بالمخطوطة الثقيلة – ثقيلة وزنا وثقيلة معنويا – يقدمها لى أنا وقال :

- من فضلك اقرأ لنا بصوتك يا أستاذ (أحمد) ما فى المخطوطة ..

- ولماذا أنا ؟

- أنت مدرس لغة عربية وتقرأ فى البرامج الوثائقية وصوتك قوى ..

- (حسن) ضابط وصوته قوى و...

- **اقرأ يا أستاذ أحمد ..**



- حاضر .

وفى سرى تصاعد السخط على كل ما يجرى هنا ..

هل لازلت أعتقد أنها ستكون ليلة سوداء ؟

بالطبع ..

وبدأت أقرأ :



الفصل العاشر

المخطوطة !

أيها الشيطان خذ روحى .. ياغضب الرب دنسنى بالخطيئة وباركنى بالنار .. من أجلك أنتحر ولن أموت ! مما يردده الشيطانيون !

أكتب بسرعة لأى شخص يقرأ هذا الكلام .. إن قرأه أحد ..

أنا (محسن المزين) .. أنا الآن بانتظار الموت وحدى، ولا يؤنسنى سوى صوت همس الشياطين حولى وصفير بنات سقر ..

لقد أخطأت .. لقد مارست كل ذل وكل خطيئة .. غرر بى الشيطان، وتتبعت خطواته للجحيم .. أستغفر الله العظيم ..

صوت الغضب يتعالى حولى .. قلبى يرتجف حقا فى ضلوعى ولكنى لن أهتم .. أنا خائف ..



مرعوب ..

ولكنى سأموت بعد قليل على كل حال ..

الشياطين تستمتع بإثارة ذعرى ..

صوتها العالى والصريخ والمتواصل وتلك الوجوه المخيفة تظهر أمامى وتختفى ..

أرى العناكب تسير أمامى على أوراق ما أكتبه .. النساء السود تظهر أمامى وتكشر عن أنيابها .. (مثلما حدث معى أيضا لو تذكر)

يارب ..

سأكتب ماحدث ..

* * * *

منذ طفولتى وأنا خادم عند الحاج(جودة رفاعى) .. ومنذ طفولتى وأنا أرى الأهوال معه !



كان الحاج (جودة) يعمل فى كل شىء .. الناس كلها فى الصعيد ترتجف لذكر اسمه فقط، وحديقته لا يكاد يقربها أحد ..

كان الحاج (جودة) يبيع الأسلحة للإنجليز والبلدة كلها تعلم ذلك ولا يستطيع أحد التدخل .. وعلى الرغم من ذلك فقد خضنا معركتين ضد الإنجليز كان له السبق والفوز فيها باكتساح ! عندما تراه راكبا حصانه الأسود منطلقا نحو المدافع المشهرة والبنادق المستعدة وهو يزمجر وخلفه جموع الفلاحين لابد أن يقشعر جسدك .. عندما ترى عينيه السوداوين وتلك الهالات المخيفة حولهما والتراب يتناثر من حوله، بينما يطيح هو بأعناق الإنجليز ..

ويخرج من المعركة دون خدش واحد ..

قالوا أنه (محصن)، أى أن الرصاص والأسلحة لا يؤثران فيه، وقالوا أنه (مخاوى) جن، وقالوا أنه يعبد الشيطان ويخدمه ..



وأنا أصدق كل هذا الكلام !

كان قاسيا، وكان معه جيش صغير من الرجال قساة القلوب ..

منزله على أطراف القرية،وهو قصر صغير حوله حديقة غناء من كافة الجهات .. وهى الحديقة التى كان يدفن فيها أعداءه !

قالوا أنه دفن فيها ألفين من الرجال وأغلبهم دفن حيا .. وكثيرا ما كنا نسمع صوت صراخ أو توسل يصدر من الحديقة حيث لا أحد موجود !

رأيت بعينى أهوالا تحدث .. رأيت مرة أحد عماله يقطف ثمرة ما ويهم بقضمها حين ظهر أمامه الحاج (جودة) بغتة بكامل غضبه وثورته تتطاير خلفه عباءته السوداء .. رأيت العامل المسكين يرتجف، ورأيت الحاج (جودة) يشير إليه ويصيح .. رأيت رجاله يقبضون عليه ويقيدون يديه وقدميه وراء ضهره، ويلقون به على الارض ..



ثم أحضروا سيفا و انهال أحدهم على قصبتى قدمه ضربا .. صوت العظام عندما يصطدم بها السيف صوت قاس حقا والمسكين يصرخ من الألم والذعر .. رأيته يفرغ بطنه من فرط الألم، ثم أمر الحاج (جودة)، فأوقفوه على الأرض حيث لامس جرحاه الأرض، وما لبثوا أن علقوه على الشجرة وسط توسلاته ..علقوه من رقبته بالطبع .. وحتى وهو معلق يختنق يغالب الموت لم يتركه .. أمر زبانيته بضرب ساعديه بالسيف حتى قطعهما أيضا !

ثم دفنه تحت شجرة المانجو العملاقة !

ظللنا أياما بعدها نسمع توسلاته وصراخه الذى يختفى فور أن يظهر الحاج (جودة) !

ليس هذا إنسانا ابدا .. لم أر أحدا يتلذذ بالقتل مثلما تلذذ هذا الرجل، وكنت أخدمه مضطرا ..

طلبنى فذهبت ..



كل أهل البلدة لا يستطيعون رفض طلب له أبدا، حتى جاء هذا اليوم بينما كنت عنده فى القصر ..

عرفت أن أبى مريض جدا من أحد الخدم .. أبى مريض وهو رجل مسن، أى أنه ربما يكون مرض موته، فانشق قلبى جزعا عليه ..

ذهبت للحاج (جودة) مطأطىء الرأس؛ لأنه لا يحب أن يرفع أحد عينيه إليه، وطلبت أن اذهب لأرى أبى وأعود سريعا ..

- لا !

قالها بكل استهتار ولا مبالاة .. بكل غرور وصلف .. بكل تعنت وقسوة ! أحسست بالذل والانكسار .. العجز يملؤنى، بينما نهض هو ذاهبا لمكان ما قاطعا على حتى سبيل التذلل له !

أخذت أتلوى هذا اليوم من الوجع على أبى حتى أخذت القرار ليلا .. أبى يسكن قريبا، فلماذا لا أخطف قدمى لأراه سريعا ثم أعود ؟



وعلى الرغم من خطورة قرارى وشناعة العقاب إن اكتشف عصيانى لأمره إلا أنى فعلتها .. تسللت ليلا من حديقة الموت هذه وذهبت لأطمئن على أبى ..

بالفعل كان مريضا حقا، صدره يصدر صفيرا وجسده يرتجف، إلا أن وجهه أشرق بالفرح عندما رآنى ..

ظللت معه قليلا، ثم تركته على وعد بأن آتى له مرة أخرى وعدت لقصر الحاج (جودة) تحت جنح الظلام قبيل الفجر بقليل ..

نمت فى مكانى المخصص للمبيت جوار اسطبل الخيل الفارغ وأنا أدعو الله أن يطيب أبى ويشفيه مما ألم به، ثم استيقظت صباحا على هزة يد غليظة تدعونى لأن الحاج (جودة) يريدنى !

نهضت مفزوعا وقلبى يمتلىء وجفا .. إنه لا يطلب أحدا قط إلا لمعاقبته، فماذا هناك ؟

نزلت للحديقة حيث كان واقفا وجواره أبى !



أبى .. وجهه شاحب وجسده يرتجف ويسنده اثنان من زبانية الحاج

(جودة) اللعين .. بصوت مخيف قال لى :

- ألم اقل لك : لا ؟

وقتها أمسك بى اثنان من الجانبين، بينما أمر الرجل بحفر القبر جوار الرجل ..

وسط صراخى وتهالك أبى والتلوى، انهال على وجهى بصفعة رهيبة أطارت سنا من أسنانى وأغرقت وجهى دما، ثم همس بأنفاس كريهة :

- لا تتحرك يا فتى .. شاهد عقابك وأنت صامت ..

نظرت لعينيه وارتجفت .. حول عينيه أحمر كأنه الشيطان ..

لا .. بل هو الشيطان !

وكأنى فى حلم :



حفروا القبر ..

أبى ينظر نحوى ويحاول الابتسام ..

ألقوه فيه ..

ردموا عليه التراب وهو حى ..

أصرخ أصرخ أصرخ، ثم أفقد الوعى .

* * * *

عندما أفقت وجدت نفسى جوار السور الخارجى للحديقة وهناك ألم رهيب فى يدى اليسرى .. رفعتها فلم أجد أصابعى !

صرخت فى ألم .. صرخت من وجع قلبى على أبى .. صرخت وصرخت، ثم نهضت وأخذت أجرى لا ألوى على شىء ..

أصابنى الجنون هذا اليوم، وأمى انهارت بعد قصمة ظهرها من وفاة أبى بسبب انهيارى وهى ترانى



مجذوبا أسير فى الشوارع أهذى ..

أخذونى وحبسونى فى المنزل كى لا أؤذى نفسى .. بعد أسبوع تقريبا عاد إلى روعى نوعا ..

ولكنى لا أستطيع الحياة هنا فى هذا المكان بعد الآن .. سأسافر إلى القاهرة للأبد !

أخبرت أهلى بذلك، ولم يستطع أحد معارضتى فى الواقع .. أمى واهنة مرهقة دامعة العينين منذ وفاة أبى، وأخوتى صامتون لا يعرفون ما العمل الصحيح ..

أخبرنى أخى أن ابن عمى يعمل خادما فى أحد فنادق القاهرة، ولربما استطاع مساعدتى فى الحياة هناك ..

وقد كان ..

حملت متاعى القليل وركبت القطار للقاهرة، وبحثت عن عنوان الفندق وقابلت ابن عمى الذى قابلنى بالترحاب، ثم دبر لى عملا بسيطا فى الفندق ..



فقط سأقدم الطعام فى الحجرات لمن يريد .. عمل بسيط ويتناسب مع إعاقتى التى تسبب فيها الحاج (جودة) ..

كان قلبى يشتعل غيظا ..

يشتعل ألما ..

كيف أنتقم منه وأنا بلا قوة ؟

أحاول التناسى فلا أجد النسيان قط ..

كل يوم أستيقظ صارخا بعدما أرى ابتسامة أبى قبل أن يلقوه فى القبر !

ومع ذلك سارت الحياة ..

مرت سنين عديدة فى عملى هذا .. لم أكن أعرف السنين التى نعيش فيها من قبل، لكنى أعرفها الآن بحكم عملى وسؤال الزبائن .. نحن فى عام 1904،



وأعرف أننا فى شهر أبريل .. ذلك حين حدث ماغير حياتى للأبد ..

* * * *

كنت أقدم المأكولات والمشروبات للناس حسب ما يريدون دون اهتمام أو اكترات حقيقى، ولكن حدث أن كان هناك نزيل معين يثير انتباهى .. كان رجلا انجليزيا أبيض الوجه مخيف العينين، لا يطلب سوى الخمر والعنب على مدار ثلاثة أيام متتالية !

لست أعرف ماذا يأكل غير ذلك أو كيف يعيش أصلا، ولكنه مخيف مقبض .. إن صدقت القول لقلت أن حوله هالة سوداء تماثل هالة الحاج (جودة) !

كنت أخاف منه حقا، ومع ذلك كنت أود التودد إليه والتقرب منه .. ليس هناك سبب معين لذلك إنما مازالت فكرة الانتقام تسيطر على، فهل فى قربى منه تحقيق لانتقامى ؟

ربما ..



ثم طلب النزيل ألا يقاطعه أحد أبدا أثناء فترة الظهيرة خلال الأيام القادمة .. 8، 9، 10 من أبريل ..

اشتعل فضولى .. لماذا لا نزعجه ؟ هناك ألف سبب يدعوه للانفراد وهذا حقه لأنه فى فندق، لكنى أكاد أجن .. اريد أن أعرف لماذا سيختلى بنفسه وأنا متأكد من وجود سر ..

فعلت ماهو متوقع .. تسللت إليه وأخذت أحاول التنصت على الباب ..

أسمع همهمات مخيفة خافتة تخترق سمعى فتؤذيه .. أحاول النظر لثقب الباب، فأرى الحجرة كأنما هى سابحة فى الظلام أو ..

فى الدخان الأسود !

كيف هذا ونحن فى قلب النهار ؟

قلبى منقبض .. وقلبى يخبرنى أن وراء هذا الرجل قوة هائلة ..



لم أفهم شيئا مما يدور فسرت مبتعدا إلى أن ينهى ما يفعله ..

وفى المساء رأيته خارجا من الفندق لوجهة ما ..

كان يبدو عليه الإرهاق والسرور معا !وما لبث أن عاد بعد ساعة وفى يده لفافة ورق وحمامة صغيرة وفأر !

فضولى يتأجج .. حمامة وفأر ؟

صعد لحجرته وأخذت أدور حول نفسى .. اريد أن أفهم .. هكذا تحججت بأنى سأرسل إليه زجاجة الخمر المعتادة - والتى لم يطلبها هذه الليلة – وصعدت لغرفته ..

طرقت بابه ودلفت إليه مباشرة لأجده قد ذبح الحمامة وصفى دمها ويذبح الفأر فى نفس الوعاء .. نظر لى مندهشا وهو يقول فى صرامة أنه لم يطلب خمرا اليوم !

أومأت رأسى إيجابا واعتذرت ثم تلكأت فى الخروج ..



لم يرفع عينيه عنى لحظة .. ظل يرمقنى إلى أن خرجت .. نظراته هذه اخترقت روحى وأحدثت ثقوبا فى أمانى النفسى !

حتى أنى فى اليوم التالى لم أقرب حجرته قط !

أما فى اليوم الثالث فلم أعد أستطيع التحمل .. يجب أن أفهم ما يفعله هذا الرجل بالضبط .. فإن كان يستعين بالشياطين فلربما علمنى كيف ذلك وساعدونى أنا الآخر لأحقق انتقامى ..

فى وقت الظهيرة صعدت لحجرته، وببطء وقفت ألتقط أنفاسى واتسمع خلف بابه ..

ذات الهمهمات المخيفة المقبضة ..

أنظر من ثقب الباب لأجد ذات الدخان الاسود !

ماذا أفعل ؟

طبعا مددت يدى لاهثا لمقبض الباب و ..



دخلت .

* * * *

الحجرة غارقة فى ضباب أسود خفيف ومخيف .. سرت بخطى حذرة لأجد الهول بانتظارى !

كان الرجل الانجليزى جالسا رافعا عينيه نحو السقف وعيناه بيضاوان تماما، بينما يده تكتب بكل سرعة على جلد أمامه، وفوق رأسه شيطان يهمس له !

شيطان أسود ذو قرون سوداء وأعين تتوهج بالنيران يهمس له، وبدا أنهما منغمسان تماما فيما يفعلانه ..

ارتجفت وسقطت على الأرض رغما عنى .. وببطء وجه الاثنان نظرهما نحوى ..

رباه ..

أشعر بصدرى يكاد ينفجر من الفزع ..



ظلا يحدقان نحوى بأعينهما المخيفة، ولست أدرى ماحدث بعدها ..

فقدت الوعى !

* * * *

عندما أفقت وجدتنى مكانى على الأرض فى وسط الحجرة، والرجل الانجليزى يجمع حاجياته ويستعد للرحيل !

نهضت ببطء وأخذت أحدق حولى ..

الحجرة نقية للغاية والرجل يبدو عاديا .. هل كانت هلاوسا ؟

شعر الرجل أنى أفقت، فقال مبتسما بعربية كسيحة :

- لقد شاهدت مالم يشاهده بشرى غيرى أيها الشاب ..

ثم ابتسم وهو يمس قبعته علامة التحية وهو يقول :



- وسوف يكون انتقامه رهيبا ..

أنهى كلامه وبدأ يسير خارجا من الحجرة، ودون وعى منى صرخت أن :

- **انتظر !**

وقف الرجل بغتة، ونظر نحوى نظرة كلها غضب .. لا بد انه فكر أن كيف لخادم مثلى أن يصيح فيه هكذا، فأردفت مرتجفا :

- أريد أن أفعل مثلما تفعل .. أريد القوة .. أريد أن أنتقم ممن قتل أبى ..

ظل ينظر لى ثوان، ثم وضع حقيبته وجلس أمامى على الفراش وقال :

- وهل تعرف ما أفعله ؟

نظرت له ثوان لا أدرى ماذا أقول .. نعم أم لا ؟

ظل ينظر لى ثوان بنظرات جامدة، ثم همس :



- أتكتب لى عقدا ؟

دون تفكير أومات إيجابا !

ابتسم فى ظفر، وقال :

- مرحبا بك !

* * * *

ماحدث بعد ذلك لا يمكن تصديقه .. أخذنى الغريب بعيدا فى منطقة نائية من الصحراء وفعلنا أشياء لا يمكن تخيلها ..

بنينا بيتا صغيرا من الصخور المتناثرة بحيث يكون تحت الأرض .. البناء كان فى منطقة منخفضة تبدو وكأنها حفرت خصيصا لنا ! بل بدا وكأن هناك من يساعدنا حتى أننا أنهينا بناءه فى يوم واحد !

يوم واحد لبناء بيت حجرى !

وهناك ..



رسم نجمة خماسية وملأها رموزا ورسومات، ثم أحرق بخورا شنيع الرائحة صنعه من مخلفاته ومخلفاتى، وبدأ الجنون ..

رقصنا أياما حول جثث ذئاب جاءت إلينا طواعية كى يذبحها هذا الرجل !

دنسنا الكتب السماوية التى كانت معه بكل الطرق ..

استهنا بكل معتقد وشتمنا كل مقدس و ..

عظمنا الشيطان ..

وسجدنا للشيطان معا ..

ثلاثة أيام مكثفة من هذا الجنون ..

لا نأكل إلا اللحم النيىء ولا نشرب إلا الخمر ..

ثلاثة أيام يصيح فيها ويتغنى بكلمات لا أفهمها ويأمرنى بالترديد وراءه فأردد مغالبا تعبى ..



حتى فى ليلة سوداء بلا قمر ظهر لنا بنفسه ..

(الشيطان) .

* * * *

كان لظهوره رعدة وخوف .. ارتجفت وسقطت على الأرض، بينما ظهر هو مخيفا عملاقا ذو وجه تيس وحوافر تيس، وجسد رجل قوى بثديى امرأة ..

الشيطان العظيم ..

الشيطان القوى ..

الشيطان الملعون ..

ظهر وفى يده عقد من الجلد ..

همس الرجل الأبيض ألا أرفع يدى ورأسى عن الأرض مهما فعل ..



وضعت رأسى فى الرمال أتنفس بثقل .. الصمت إلا من وقع حافريه يتقدمان نحوى و..

أحسست بحافره يمس ظهرى يتبعه ثقل هائل فوقى وأنا ساجد وخوار الشيطان يخنقنى .. إنه واقف فوقى بكامل ثقله وحافريه يدميان ظهرى !

رغما عنى صرخت من الألم، ولكن من معى كان يردد ترانيما عجيبة يبدو أنها صلاة له ..

ودون وعى أو فهم رددت مثله .. نزل أخيرا من فوقى، ثم ركلنى ركلة رهيبة دحرجتنى بعيدا، ولكنى غالبت ألمى وعدت لوضع السجود وأخذت أئن وأردد ما علمنى إياه الرجل الأبيض سابقا :

- اقبلنى يا سيدى .. اقبل دعوة عبد أخلص الدعاء لك .. اقبلنى ولك ماتشاء ..اقبلنى وسأخدمك طوال عمرى .. اقبلنى ..

أشعر بخطواته تقترب .. صوت خواره يتعالى ثم ..



نااااااااار تحرق مؤخرتى .. عرفت فيما بعد أنه بصق على .. العلامة الشيطانية الأكيدة أنى أصبحت خادما أمينا ..

رأيت الرجل الانجليزى ينهض نحوى وفى يده سكين صغير ملىء بالنقوش .. مد يده تجاه الشيطان والتقط منه العقد ثم مد يده يشد ساعدى و ..

بحركة سريعة جر السكين على معصمى وانسكب الدم على العقد، ومن حولى تصاعدت ضحكات الشياطين وصراخ (الشيطان) المنتصر ..

وفقدت وعيى مرة أخرى .

* * * *

أفقت بعدها بقليل لأجد الرجل الانجليزى جوارى يقول أشياءا غريبة للشيطان الأسود الذى كان فوق رأسه فى الحجرة !

أم أنى أهذى ؟



نهضت ببطء لأجده وحده ولا شياطين هناك !

ضربنى على كتفى بعنف قائلا :

- مرحى أيها الشاب .. ليس كل الناس يظهر لهم سيد النور بنفسه .. إنك محظوظ .. هناك من يقضون سنينا لكى يروا خادما من خدمه فحسب !

أنت الآن مندوبه هنا .. سيعلمك كل شىء، وأنت من سيحضر له أتباعا جدد .. وستحصل على كل شىء تتمناه وأولها انتقامك .. فقط يجب عليك ألا تفقد الوعى مرة أخرى ..

قالها وضحك ضحكة عالية ..

لم أرد عليه .. أشعر بشعور غريب يكتنفنى .. أشعر بالظلام يغرق روحى ويملؤنى شعورا سيئا لزجا ..

وأشعر بالقوة تتدفق فى عروقى !

بالفعل أشعر أنى قادر على أى شىء وكل شىء ..



تركنى هذا الرجل فى الصحراء ورحل .. فقط علمنى بعض الأشياء الأخيرة الواجب على فعلها كى أسترضى الشيطان ..

وفعلتها ..

استخدمت الشياطين لدفن الحجرة تحت الأرض بحيث لا يراها مخلوق .. ومن فوق الأرض وضعت شاهد قبر ليدل على مكانى ..

ومن يومها فعلت مالم أتخيل أنى سأفعله !

كنت أذهب للقرى القريبة وأغرى الأطفال بالعمل والحلوى وأحضرهم إلى حجرتى، ثم أذبحهم وأتقرب بهم للشيطان ..

كنت أغتسل بدمهم وآكل لحمهم نيئا ..

وقوتى تكبر وتزداد ..



كلما تقربت إليه كلما أمدنى بالأعوان .. حتى شعرت أنى أقوى من أى شخص على وجه الأرض ..

أقوى من الحاج (جودة) نفسه !

لقد حان وقت انتقامى !

* * * *

أرسلت شياطينى تستطلع قوة هذا الرجل واكتشفت أنه لا يتعامل مع الشياطين .. هو فقط مجرد رجل شرير وحسب !

رجل يحب القتل والقوة المطلقة، فأشاع بنفسه عن نفسه كل الخرافات التى سمعتها ..

هكذا ؟

فى هذا اليوم أمرت شياطينى فحملونى عبر مصر إلى الصعيد ..

إلى قريتى وبلدتى ..



نزلت على مقربة من قصره وحديقته، وتعمدت أن أسير وسط البلدة حتى يرانى الناس .. كان الناس يروننى فترتفع حواجبهم دهشة ويهمهمون، ومع ذلك يخافون الاقتراب منى ..

لم أسأل عن أحد من أقاربى أو أهتم بوجودهم .. حتى أمى !

أشعر بالغضب يكتنفنى فقط ..

الشمس على وشك الغروب، ومن خطواتى الحثيثة أدرك أهل البلدة مقصدى ..

منزل الحاج (جودة) ..

على شفا حديقته أشرت للباب فانفتح أمام أعين السكان الذاهلة وهمهماتهم الخائفة، وبدا فى الداخل أن لا أحد هناك ..

سرت الهوينى متطلعا، إلى أن رأيته ينظر من الشرفة ..



أشرت بيدى، فطرت إلى الأعلى وسط صراخ الناس، وما أن أصبحت أمامه حتى فوجئت برد فعله السريع .. سحب بندقية قريبة، وأطلق النار نحوى مباشرة !

لحسن الحظ أن شياطينى سريعوا البديهة .. وجدت نفسى أختفى وأظهر وراء ظهره مباشرة، فدفعته بكل قوة فى ظهره فاندفع أمامى حتى ارتطم بالحاجز ولم يستطع الصمود .. هو قاوم لكنه لم يكن ندا لقوتى قط .. شرايينى تسرى فيها قوة الشيطان وغضب السنين ورغبتى فى الانتقام لموت أبى .. الثأر ..

سقط من حالق على أعشاب الحديقة مصدرا دويا كجوال قمامة عفن ملىء ببقايا ذبيحة .. كجاموس محتضر أصدر خوارا غاضبا متألما ..

ظللت واقفا فى الشرفة بضع لحظات أرمقه من عل ، ثم حملتنى الشياطين ونزلت جواره محلقا فى الهواء ..

أسمع الناس يشهقون ..



يصرخون ..

يضحكون ..

وأمام الناس أشرت لحبل مهمل فتحرك الحبل والتف حول عنقه ببطء، ثم طار حملا إياه فى مشهد لم يره أحد من قبل ولن يره أحد من بعد .. رفعته الشياطين ليتعلق من رقبته على شجرة ويتدلى كبالون مثقوب ..

ثوان من التأرجح ثم أشرت بإصبعى فسقط على الأرض يلهث ويخور كالثور ..

العجيب أنه صامت ..

لم يناد على رجاله، والأعجب أن رجاله لم يتدخلوا فى شىء ..

الكل ينظر، والكل يتمنى موته ..

أشرت مرة أخرى فأقامه الشياطين وربطوه حول الشجرة .. بالنسبة للناس كانت الحبال تتحرك وحدها،



ولكنى كنت أرى أعوانى يتحركون ..

بعدما أحكموا وثاقه أخرجت سكينى من جيبى و ..

توجهت إليه وعيناه تنطقان بالشر ..

من يراه وقتها يشعر أنه لم يتألم قط، ولم يتأثر قط، وكل ما يملؤه هو الآخر هو الغضب فحسب ..

بالسكين بدأت أقطع أصابعه كما فعل معى .. صاح من الألم العاتى لاحتكاك السكين مع عظامه وغضاريف أصابعه، ولكنه ظل ينظر لى بكراهية وغل .. مازال صامتا ..

أريده أن يتوسل ..

صمته يلهب أعصابى أكثر ..

صحت فيه أن يبكى لأنهى عذابه ..

أردت بشدة أن يبكى كالنساء، ولكنه ظل ينظر لى بكل مقت وغل ..



إصبع آخر وراء إصبع وهو يصيح بثورة ويخور ..

انتقلت لليد الأخرى ..

أريده أن يبكى ..

لكنى قطعت اصابعه كلها ولم يبك !

يقف منهكا ينظر لى بغضب وغل وهو يجز على أسنانه ..

بدا واضحا أنه لن يبكى ..

حسنا ..

أشرت بيدى، وأمام عينيه تطاير الطين من تحته وانحفرت حفرة عملاقة بسرعة خارقة ..

قبره ..

ثم انفكت الحبال من حوله ..



تقدمت خطوة ودفعته بيدى ليسقط داخل الحفرة ناظرا نحوى بنظرة خاوية، وانهالت بعدها عليه الأتربة تغطيه تماما ..

ووقفت ألهث فى عنف ..

إنه الآن تحت الأرض ..

تحت قدمى يموت .. عليه اللعنة !

ساد الصمت ثوان، ثم أفقت من شرودى على صوت التهليل والتكبير من أهل القرية، إنهم فرحون بموت الطاغية ولكنى لا أتحمل صوت التهليل والتكبير هذا ..

حتى شياطينى فروا ..

وضعت يدى على أذنى صارخا وأنا أطلب منهم أن يتوقفوا ..

توقفوا ..

توقفوااااااااا ..



لكن لم يستجب لى أحد .. ربما لم يسمعونى أصلا، فهرولت تجاه القصر القريب أحتمى به منهم .. وفى الداخل وقفت ألهث ..

يجب أن أهرب من هنا ..

يجب ..

* * * *

انتظرت حتى جاء المساء القريب .. صمت الناس وإن كانوا مازالوا حول الحديقة يخشون الاقتراب من القصر .. استدعيت خدمى وعدنا للصحراء قرب القاهرة معا ..

عدت شاعرا بالخواء ..

بقتلى لهذا الرجل انتهى هدفى فى الحياة .. لم يكن لى مأرب فى أى شىء قط غير الانتقام منه، ولكنى حتى بعد انتقامى منه غير سعيد .. أشعر أن كل شىء



خاطئ .. انتهى هدفى بالفعل ولكن هدف الشيطان لم ينته !

حققت هدفى أنا، ولم يحقق هدفه بعد !

فى الأيام التالية كان يأمرنى فأنفذ .. كان يأمرنى بقتل الأطفال بعد اختطافهم مرة أخرى ..

فأفعل ..

رغما عنى أفعل ذلك ..

أبكى وأنا أفعلها لكنى أفعلها ..

لقد بعت نفسى للشيطان وانتهى الأمر !

وتطور الأمر ..

فى خلوتى فوجئت بمن يلجأ إلى باعتبارى شيخ قوى .. أتى وطلب الشفاء ، وتصاعد الهمس داخلى أن أعالجه بما سأسمع .. فسمعت ..ورتلت ترانيما خبيثة ، وذهب ما كان على الرجل فورا !



ثم ..

بدأ الناس يأتون إلى بدعوى أنى شيخ صالح أداويهم، ويتكرر الأمر .. يرتفع الصوت داخلى يأمرنى بفعل أشياء معينة فأفعلها فيرتاح الناس من آلامهم .. وكل ذلك مقابل تعظيم الشيطان .. دون حتى أن يعرفوا أنهم يفعلون ذلك !

كنت أجمع الناس ونصلى للشيطان دون أن يعرفوا أنهم يصلون للشيطان ..

وبمرور الوقت أصبح منزلى المتواضع الحقير تحت رمال الصحراء مسجدا للشيطان ..

أصبحت دمية بيد الشيطان ..

حتى عرفت أن الشيطان الأكبر بنفسه مسرور منى، ويريد أن يزوجنى ابنته ..

(عاينة) ..



(عاينة) ابنة (إبليس) بنفسه !

لا أعرف كيف عرفت ذلك .. الفكرة صدمت عقلى ونقلت لى شعورا مقيتا برضا الشرير عنى ..

يومها بكيت كما لم أبك من قبل .. كنت مسحورا بفكرة الانتقام مأخوذا بالقوة الزائفة حتى صار الشيطان ينتعلنى كأى حذاء حقير يخدمه كيفما شاء .. أنا الآن ملعون ملعون .. ملعون لعنة لافكاك منها ولا مهرب منها ..

ملعون ..

إنه يريد أن يعبده الناس فى هذه الأرض ..

وأنا .. شيخ مسجد الشيطان فى الأرض !

أعرف أنى كفرت بالله .. أنا عصيته بما يفوق الكفر عدة مرات، وأعرف أنى هالك لا محالة، وأعرف أن أوان التراجع قد فات ..



أعرف هذا كله، ولكنى ..

رفضت !

سئمت من الحياة ومن كل هذا .. لا أدرى كيف ولا اعرف هل هذا ممكن أم لا لكنى أريد أن أتوب !

صرخت فى قلب حجرتى رافضا :

-لا ..

وما أن نطقتها حتى مادت الأرض بى وسقطت على الأرض وحولى صراخ الشياطين يهزنى هزا ويقطعنى تقطيعا ..

بصوت رهيب سمعت أنى خائن العهد وسأظل خائنا لأنى ابن آدم .. خائن المواثيق وخائن لكل شىء، وأنى سألاقى جزائى الآن ..

ومن منزلى نهضت أشباح الأطفال الذين قتلتهم .. تجسدوا واقفين وانطلقوا كالأطياف الدخانية يجرون



وينسابون ناحية ذويهم فى القرى القريبة ..

كان الناس يجلسون فى منازلهم يستدفئون فى تلك الليلة بينما الظلام والضباب يغلفان كل شىء فى الخارج، فإذا بهم يسمعون طرقا على الباب أو النافذة .. عندما يفتحون يفاجأون بوجه ابنهم الميت يصرخ ويصرخ ويشير نحوى بيتى البعيد .. ثم يذوب ..

الناس فهموا ..

ثار من ثار وغضب من غضب وارتعد من خاف، لكنهم حملوا أسلحتهم وانطلقوا تجاه منزلى فى الصحراء ..

وعند وصولهم سيطر عليهم الخوف من صراخ الشياطين الغاضبين الذين يحومون حولى .. غرفتى تحت الأرض ومدخلها واضح لهم لكن لا يجروء أحدهم على الاقتراب .. ناهيك عن الدخول أصلا !

واقترحوا دفنى حيا ..

كنت أستمع إليهم ولا أدرى ماذا أفعل ..



الشيطان تخلى عنى ولن أعود له ..

وأنا .. تخليت عن الله منذ زمن بعيد !

والناس يقتلوننى ..

يصبون فوق رأسى الرمال صبا ..

الشياطين من حولى تضحك وتصرخ وتزوم وتسخر منى وتخيفنى ..

الموت يقترب ..

أشعر به ..

أسمعه ..

أشمه ..

هل لى من توبة ؟

هل لى أن أتوب ؟



أنا على مشارف الموت، وأطلب من الله أن يسامحنى !

يارب سامحنى ..

أستغـ....

* * * *

انتهيت من قراءتى للمخطوطة وساد الصمت .. طوال الوقت كنت أقرأ وأنا أضع عينى فى الورق مركزا فيما أقرؤه ولم أر وجوههم قط ..ما أن رفعت وجهى حتى هالنى وجه د. (جلال) !

كان يبدو على وجه (حسن) عدم التصديق، بينما صديقنا المريض ينظر نحو الأرض مرتجفا كعادته، أما دكتور (جلال) ..

وجهه كان ممتقعا بشكل لم أعهده فيه أبدا .. يداه ترتجفان وعيناه متسعتان بطريقة مخيفة، وشفتاه تتمتمان بكلام لم أتبينه ..

ثوان من الصمت، ثم سأل (حسن) :



- ما معنى هذا الكلام بالضبط ؟

بصوت مبحوح يلتقط أنفاسه بالكاد قال د. (جلال) :

- معناه ؟.. معناه أنكم فى مشكلة كبيرة يا بنى .. مشكلة أكبر مما كنت أتخيل أو أتصور .. فليرحمكم الله وليرحمنى معكم !

* * * *



الفصل الحادى عشر

بافوميت !

سأتلذذ بأكل أخى واغتصاب زوجته وشرب دماء أطفاله .. سأستمتع بالألم مادمت أنت ربى وتهبنى القوة .. سأفعل كل شىء حتى تتقلبنى فى الجحيم وليسخط على الله! (ناثان غزة).

جلسنا فى مكتب د. (جلال) مابين الخوف والعجب والدهشة والانقباض ! منذ قليل كنا عند منزل (حسن)، ثم فجأة طلب منا أن نرحل فورا من هذا المكان، وانطلقنا معا نحو مكتبه دون أن يجيب تساؤلاتنا عن أى شىء .. صامت طوال الطريق وحتى تحلقنا حوله !

الساعة الآن الثانية ظهرا تقريبا، ومن الصعب نوعا أن تتبعنا الشياطين فى هذا الوقت على ما أعتقد .. أشعر بالنعاس يغالبنى بعنف فأفرك وجهى وأنهض لأغسل وجهى ببعض الماء ثم أجلس .. كم أرغب فى كوب قهوة الآن !



بعد قليل أحضر د. (جلال) مجموعة كبيرة من المصاحف وفتحها عشوائيا ونثرها فى الحجرة التى نحن فيها، وفى الخارج وضع تسجيلا للأذان يعاد ويتكرر طوال الوقت، أما فى الداخل فقد وضع تسجيلا آخر لسورة البقرة يتكرر بلا توقف هو الآخر !

ثم .. طلب منا الوضوء والصلاة قبل أن نجلس معا لنفهم ماذا يحدث، وما سر هذا الذعر المبالغ فيه منه !

الحق أقول أنه ذعره واحتياطاته هذه أصابنى أنا نفسى بالذعر .. أنا دائما أثق بد. (جلال) لأنه محارب عتيد للشياطين وعالم بهم وبكيفية درئهم وفى هذا الشأن هولا يشق له غبار، وغالبا ما يستهزىء بهم ويصغر من شأنهم وقد رأيت ذلك أمام عينى ذات مرة .. أنت تكتسب قوتك أحيانا من الأقوياء حولك، فإذا كان هذا هو شأن د. (جلال) الآن من الخوف والذعر، فماذا سيحدث لى أنا و(حسن) و .. ذلك المريض !

نظرت نحوه فى إشفاق .. لا يعرف أحد أنه كان صديقى قديما قبل أن ينعزل هكذا عن الدنيا، ولم يعد



يكلم أحدا أو يحادث أحدا .. لم يعد يشعر فيما يبدو بالذعر أو الفرح، وأقصى أمانيه أن يموت !

دائما محنى الظهر زائغ النظرات، وإنى لأعجب كيف لم يصب بالجنون بعدما حدث له فى حياته !

بصوت مرتجف أمر د. (جلال) العامل لديه بإحضار مشروبات دافئة لنا جميعا فطلبت القهوة بصوت عال .. إنها فرصة .. ثوان مرت ثم قال :

- لا أدرى كيف .. كيف أقول لك هذا الكلام يا (حسن) ..

نظر إليه (حسن) ولم يعلق .. هو الآخر لا يعرف ماذا يفعل فى حياته الآن ويشعر بالصدمة طوال الوقت .. رد (حسن) بصوت يحمل كما رهيبا من التعب :

- تكلم يا دكتور .. تكلم وسأفهم ما تقصده، وليكن ما يكون بعد ذلك !



أومأ الدكتور (جلال) برأسه فى حركة غير مفهومة، ثم قال :

- أرجو أن تستوعب ما سأقوله جيدا، وسأكون مختصرا قدر الإمكان ..

فى سرى أدركت أنه سيثرثر .. ما من مرة قال فيها أنه سيختصر إلا وثرثر حتى أكاد أجن منه .. هو يعشق التفاصيل ويكره ألا يكون الناس على بينى من كل شىء .. وفى رأيى هذا خطأ ! وفى رأيى أيضا أنه سيخبرنا الآن ببعض المصائب التى أتمنى لو لم أسمعها !

قال د. (جلال) :

- الجن أقوام كثيرون، ولكل قوم ملك .. وملكهم جميعا هو إبليس اللعين ..

ومثلنا تماما هناك الجن المؤمن بالله، وهناك الكافر بالله .. منهم المسلمون والمسيحيون واليهود وعبدة النار، وكلهم يتفقون فى صفاتهم العامة .. جميعهم



مخلوق من نار، ويختفون عن أعيننا ويستطيعون التشكل لأى شكل كان ..

أخذ نفسا عميقا، ثم استطرد :

- عندما نزل إبليس اللعين للأرض جاء ومعه جنون مطبق .. جنون العظمة وحب النفس، ولا يريد سوى شىء واحد وهو دمار بنى البشر وموتهم وهلاكهم على المعاصى وفعل كل شىء يضايق رب العزة ليثبت أنه على حق، حتى أنهم – بإيعاز منه - صاروا يقتلون بعضهم البعض !

لمحت اختلاجة على جسد صديقنا المريض، لكن لم ينتبه إليه أحدهما .. وقتها طرق العامل الباب ودخل بالمشروبات، ثم خرج وأغلق الباب وراءه، بينما استطرد د.(جلال) قائلا :

عندما هبط للأرض كان هناك قائد قوى عظيم للجن .. قائد شرس عنيف لا قلب له ولا يعرف معنى الرحمة، وطبعا إبليس نزل ليتسيد عليهم .. كان قائدهم هذا



يعرف أن إبليس لا يموت وأن قد كتب الله له الخلود إلى يوم القيامة، ويعرف أنه لا سبيل إلى قتله ولا إلى تحجيم قوته لأن قوة إبليس عظيمة فعلا .. فأظهر له الرضا والخنوع وقلبه يستعر بالحقد والكراهية، وبدأ يتجه إلى إثبات قوته وسلطته وعنفوانه من خلال إغواء بنى البشر ودفعهم لكل الموبقات الممكنة .. يريد أن يثبت أنه أشر وأعنف وأقسى من إبليس، بينما إبليس لم يكن يهتم به أصلا .. يعرف أن ما يفعله هذا الشيطان يصب فى مصلحته أكثر وأكثر، فتركه يفعل ماهو فاعله ..

أصاب الشيطان الآخر الغرور والجنون معا، فاتجه إلى ما لم يكن إبليس قد فكر فيه بعد ..

جعل البشر يعبدونه، بل ويقتلون بعضهم ليقدمون إخوانهم له كقرابين، وفى المقابل يحقق لهم بعض التوافه ..

بنوا له المعابد والتماثيل .. استخدموا السحر فى التقرب منه، واستخدم هو السحر فى السيطرة عليهم



.. كان عالما بأغلبية فنون السحر القديمة الرهيبة، وبدا عصره فى الازدهار ..

لكن إبليس استشاط غضبا .. وغيرة ..

الناس عبدوا الله، والآن يعبدون شيطانا غيره .. أى ظلم ؟

فكانت الحرب .. حرب شنها إبليس على هذا الشيطان بمفرده .. حرب كان النصر فيها لإبليس حتما، لولا أن عرض عليه الشيطان عرضا يائسا .. ربما فى ذلك الوقت كان قد اقترب فعلا من الموت، وربما كان إبليس على وشك أن يقتله بالفعل ..

العرض أن يتركه إبليس ليعيش وفى المقابل سيحقق له مايشاء ولن يطأ الأرض مرة أخرى إلا إذا ..

إلا إذا تم استدعاؤه .. ووقتها سيعيث فى الأرض خرابا مدة أربعين يوما كاملة ..

فقط ..



وافق إبليس مقابل شروط رهيبة .. شروط صعبة للغاية يابنى، ووافق عليها الشيطان الصغير ..

وفى عالمه عكف على السحر وتعليم أتباعه السحر ليغووا بنى آدم .. عرفه الآدميون بأسماء وصفات كثيرة كلها تدل على النبل والشجاعة والإقدام والبسالة والحكمة والمعرفة ..

وبالفعل نزل لأرضنا عدة مرات فى التاريخ، وكلها اقترنت بالوحشية والدموية .. هذا الشيطان قوى قوة بالغة رهيبة، وعندما يتجسد لا يستطيع أحد الصمود أمامه قط ..

لا يعرف أحد سر خلوده للآن، وربما ليس هو الباقى إلى الآن وأبناؤه يتوارثون كل هذه العلوم ويفعلون مثله ويتسمون باسمه ..

لا أحد يعرف ..

فقط يا بنى أعرف أن ما يحدث عندك الآن هو ..



هو محاولة لإعادته للأرض و..

أخذ نفسا عميقا، ثم استطرد :

- المخطوطة التى وجدناها تدل على أن الشياطين بنت تحت منزلك بناءا، وهم لا يبنون لأحد قط منذ عهد سليمان عليه السلام .. لا يبنون إلا إذا كان سيدهم قادما ..

الرجل الانجليزى الذى تتحدث عنه المخطوطة لا بد أنه (كراولى) نفسه .. هو الذى عبد الشيطان وجاء لمصر وكتب كتابا فى ثلاثة أيام، أملاه عليه (عيواس) .. وعرفت أنه حاول إعادة معبوده للحياة ولكنه كان يخشاه ..

هذا المكان يابنى يعتبر (ثغرة) أو (معبر) ..

وسيأتى منها إلى عالمنا ..

ولن تستطيع إغلاقه قط ..



بل أعتقد أننا لن نستطيع حتى مقاومة ما يحدث ..

لو أن إبليس نفسه كان قادما لما أحدث هذا الضرر الذى سوف يحدثه هذا الشيطان ..

إبليس يكتفى بالوسوسة أما هذا .. هذا هو الشر المجسد يابنى .. هذا هو المتعطش للدماء .. السادية فى أنقى صورها .. الألم طعامه الأثير والغضب شعوره الدائم والجنون صفته الملازمة !

فقط كبار كهنة عبدة الشيطان هم من يملكون القوة والمقدرة على فتح الثغرة ولابد أنهم مجتمعون لهذا الآن ..

(حسن) يا بنى، أعلم أنى مشتت الأفكار الآن، ولكن .. المعلومات ناقصة بالفعل لأن إبليس يسمح بفتح الثغرة و..

- هراء ..



صاح بها (حسن) فى عصبية شديدة وهو ينهض وينظر لنا جميعا، مما أصابنا جميعا بالدهشة، فاستطرد فى غضب :

- هراء .. كل هذا سخف وهراء وتخلف ..

ثم نظر لى غاضبا محمر العينين قائلا بلهجة ثقيلة :

- يبدو أنى أخطأت عندما اعتمدت عليك ياصديق لتأتى إلى بمجموعة من الدجالين والحواة ليقصوا على قصصا سخيفة متوقعين أن أصدقها .. أعتقد أنكم ستعرضون على بعد ذلك ترك المنزل، أليس كذلك ؟ ربما تريدون منى تركه لتنقبون تحته عن آثار مثلا ؟

وأنت ..

أشار لصديقى المريض وأردف مرتجفا :

- أنت بارع .. أنصح بالعمل فى السيرك لانك بارع فعلا فى ألعاب الحواة .. يكفينى هراءا من كل ذلك منك ومن (أحمد) ومنكم كلكم !



ابتلعت الإهانة فى كبرياء، بينما عقد د.(جلال) حاجبيه وهو يقول :

- (حسن) .. من فضلك اهدأ .. أنت بالفعل يجب أن تترك منزلك الآن أنت واسرتك لأن وجودكم داخله خطر و ..

لكن (حسن) استدار واتجه ناحية الباب خارجا دون كلمة ودون أن ينتهى د.(جلال) من حديثه بطريقة تفتقر للتهذيب !

وساد الصمت الآسف بضع لحظات ..

نظرت لد. (جلال) متسائلا، فتنهد فى عنف وقال :

- لله الأمر من قبل ومن بعد .. صديقك عنيد يا أستاذ (أحمد) .. عنيد ويرفض تصديق عينيه ..الغضب وقلة الراحة والتوتر والألم تضافروا ليصيبوه بالعمى عن رؤية الحقيقة الواضحة .. أعتقد أننا الآن يجب أن نتركه قليلا حتى المساء، وندعو الله أن يتولاه برحمته ..



أخذ نفسا عميقا ثم قال لنا :

- كلنا منهكون يا شباب .. ما رأيكم أن ننام هنا فى المكتب قليلا، ثم نناقش ما سنفعله عندما نستيقظ ؟

بصراحة، كان هذا أجمل اقتراح سمعته منذ فترة .. على الرغم من كل هذا الرعب الذى رأيته، إلا أن مكتب د. (جلال) يشع راحة نفسية ويمكننى النوم فيه قليلا .. وسرعان ما تمدد كل من فى مكان ما ورحنا فى سبات عميق .

* * * *

رحل (حسن) عن مكتب د. (جلال) وكله حنق وغضب ..

وتشتت ..

كل هذا الهراء إنما هو ألاعيب حواة وتخاريف لا غير .. سيحاول أن يسوى هذه القضية بمعرفته .. الكثير من القرآن الكريم داخل المنزل، وقوة خاصة لحمايته



وعائلته طوال الوقت خارج المنزل، ولن يزيد الأمر عن يومين ينتهى فيهما كل شىء ..

خطر له أن يتصل بزوجته كى يطمئن عليها، لكنه مرهق حقا الآن .. ربما لاحقا ..

وصل لمنزله وألقى التحية على الجنود الذين بعثهم المأمور لحمايته وحراسة المكان، فردوا عليه باقتضاب وتوتر أثارا انتباهه .. هل رأى أحدهم شيئا ما ؟

لذلك وقف أمامهم وسأل أحدهم فى صرامة ما إذا كان قد رأى شيئا مريبا، فتبادل الجندى النظرات المتوترة مع زملائه، ثم قال :

- بصراحة يا (حسن) بيه .. بصراحة هذه الفيلا مسكونة .. طوال النهار نرى أضواءا ونسمع أصواتا غريبة و.. والقرآن لا نستطيع سماعه هنا أبدا .. قناة إذاعة القرآن لا تأتى هنا قط !

مرة أخرى ؟!



أخذ (حسن) ينظر له دون تعقيب، ثم دلف للمنزل .. كان يتمتم أن الكل مجانين .. كلهم مجانين ..

لكن قلبه يدق فى عنف وعقله يصرخ فيه أنه أحمق .. لكن ..

مابال ذلك الصمت الرهيب الذى يغرق فيه المنزل، حتى أنه يسمع صوت التراب ينسحق تحت حذائه بوضوح ؟

وصل للطابق الذى تعيش فيه أمه مع أخته وأخيه وبنتيه ووقف ثوان، ثم دق الجرس ..

لا مجيب ..

مرة أخرى ..

أخذ يبحث عن مفاتيحه، ثم أخرجها وهو يقول لنفسه أنهم لابد نائمين إلى الآن ..



دلف للشقة المظلمة – لماذا يشعربكل هذا الألم فى صدره – وبأعلى صوته صاح :

- أمى .. أماااااى .. ربيييييييييييياااام .. مصطفااااااااااااااا .. أيها الكسالى أين أنتم ؟

لكن جاوبه صمت مطبق وظلام يضيق به صدره .. على هدى ضوء كشافه اهتدى لمفتاح الإضاءة، فمد يدا يلمسه كى يبعث شيئا من الضوء فى الحجرة فـ ..

انفجر المصباح !

انتفض (حسن) وهو يلهث ويحدق فى الظلام، ثم عاد يصيح :

- ريييييييييييم .. يا بنااااااااااااااااااااااات .. أين أنتن ؟ فليجب على أحد عليكم اللعنة .

ومرة أخرى يجيبه الصمت ساخرا ..



سار ببطء على ضوء كشاف هاتفه وهو يكاد يسمع هسيسا من حوله نحو حجرة بنتيه، وفتح بابهما ليجد الحجرة فارغة !

زادت ضربات قلبه إلى حد أسطورى .. لن يتعجب لو هاجمته أزمة قلبية الآن !

أين هما ؟

بسرعة فتح الباب المجاور – باب حجرة (مصطفى) – فلم يجده !

صاح بأعلى صوته :

- ماااااااااااااااااااااماااااااااااااااااااااا .. ريييييييييييييييم .. ردوا على، أين أنتم ؟

قلبه يحقق كالطبل، وهو يجرى تقريبا نحو حجرة أمه ممنيا نفسه بتجمعهم عندها ويفتح بابها، ليجدها واقفة أمامه فى الظلام !



أمه القعيدة، تقف أمامه منكوشة الشعر فى الظلام تنظر نحوه بعينين لامعتين وتهمس !

صرخ (حسن) فى رعب ولم يدر ماذا يفعل .. يريد أن يستعيذ بالله من الشيطان، لكن لم تفارق الاستعاذة شفتيه قط ! الصمت خيم عليه كأنما أصابه الخرس .. لم تستطع قدماه حمله أكثر فتهالك ساقطا على الأرض مكانه ..

ظلت أمه واقفة مكانها تهمس بسرعة وتهز رأسها فى كل اتجاه بجنون إلى أن صار صوتها واضحا :

- هلإلل نابرق كتلئاع ءامدو مادق تيموفاب برلا !

- هلإلل نابرق كتلئاع ءامدو مادق تيموفاب برلا !

- هلإلل نابرق كتلئاع ءامدو مادق تيموفاب برلا !

أخذت تكررها مرات ومرات وهى تهز رأسها بتشنج ..



خطر له أن يسجلها ليسمعها د.(جلال) ! ربما كان دجالا لكنه ربما فهم هذا الذى تقوله .. أم يتصل بذلك الطبيب النفسى ؟

من أعماق روحه تصاعد سؤال حانق : لماذا لا تصدق ما يحدث ياغبى ؟

لم يجب نفسه وإنما - بسرعة - فتح الملف الصوتى من الهاتف على وضع التسجيل المباشر ليسمعها د. (جلال) على الجانب الآخر مباشرة و ..

بدأت أمه تسير نحوه .. تسير ..

لكن للخلف !

بتشنج ..

تصلب ..

- هلإلل نابرق كتلئاع ءامدو مادق تيموفاب برلا !

- هلإلل نابرق كتلئاع ءامدو مادق تيموفاب برلا !



تسير للخلف حتى تخرج من الحجرة بظهرها نحوه، و(حسن) ساقط على الأرض لا يستطيع النطق حتى تصير أمامه مباشرة، وفى الظلام تستدير أمه وتنحنى نحوه بعينين بيضاوين لتصرخ :

- هلالل نابرق كتلئاع ءامدو مادق تيموفاب برلا !

ويصرخ (حسن) فى رعب، بينما تعتدل أمه وتتشنج ثم ..

تسير بظهرها بتلك الطريقة المتشنجة المتصلبة بسرعة نحو الشرفة و..

تلقى بنفسها منها !

* * * *

للحظات لم يفهم (حسن) ماحدث للتو !

ومالبث أن نهض من مكانه صارخا وجرى ناحية الشرفة ينظر ما حدث لوالدته، لكنه لم يجد أحدا !



لم تكن أمه بالأسفل، ولا أى شخص آخر أصلا .. حتى جنود الحراسة مختفون، والمنطقة بكاملها تبدو خالية على غير العادة !

ارتجف وهمس بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فخرجت من فمه سلسة هذه المرة .. عاد للشقة المظلمة يفتش عن أى شخص من عائلته ..

لا أحد ..

وفجأة سمع طرقا على الباب !

ومع أن من الطبيعى أن يطرق احدهم الباب، إلا أنه انتفض ونظر للباب ذاهلا، وبيد مرتجفة رفع كشافه تجاه باب الشقة وسار بخطوات بطيئة ..

- طاك طاك طاك طاك ..

رأى الباب يهتز تحت وطأة الطرقات الثقيلة، كأن من بالخارج يطرق الباب بجذع شجرة ..



بصوت مبحوح مرتجف صاح :

- ممن .. ممن بالخارج ؟

- طاك طاك طاك طاك طاك !

هز رأسه ومسح عينيه، ثم تقدم نحو الباب بخطى تشبه خطى رضيع يسير حديثا ..

حلقه جاف تماما ..

دقات قلبه بلغت ذروتها ..

وفجأة رن هاتفه فى يده ..

أطلق صيحة ذعر قصيرة وأفلته ليسقط على الأرض فساد الظلام ..

وسمع هذا الهسيس .. سسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسسس !



مد يده يلتقط الهاتف سريعا، لكنه أمسك هاتفه وارتطم فى نفس الوقت بشىء اسطوانى ناعم الملمس ..

ثعبان ؟!

على ضوء الكشاف العائد رآه .. إنه ثعبان بالفعل ..

طاك طاك طاك !

ارتجف وعاد للخلف، ليجد الثعبان ينتصب ويتراقص .. يتمايل ..

ثعبان ضخم يناهز المترين طولا، ذو قرنين على رأسه !

بحذر تحسس جراب مسدسه، وأخرجه بينما الثعبان يتمايل و ..

سسسسسسسسسسسسسس

طاك طاك طاك طاك طاك طاك ..



الباب يتمايل بعنف مع كل دقة حتى يكاد ينخلع ..

العرق البارد على جبهة (حسن) ..

حرك زر الأمان وصوب تجاه الثعبان القريب ..

ضغط الزناد و.. بوم !

أطلق الرصاصة على الثعبان أو الحية لا يدرى، ولم يجد شيئا أمامه !

اختفت !

ماهذا العبث .. أعوذ بالله من ..

طاك طاك طاك .. طاك طاك طاك .. طاك طاك طاك ..

استجمع روعه قليلا ورفع عقيرته بالصياح :

- من بالباب ؟

وسار ناحية الباب وفتحه، فلم يجد أحدا !



هبت عليه رائحة عفنة فحسب مصحوبة بهواء ساخن ردىء .. وجه الكشاف فى كل مكان ليجد أن الأرض تتموج تحت منه .. دقق النظر أسفل منه ليجد السلم مغطى بالديدان !

صرخ وتراجع للخلف .. خطوة وخطوة، رغما عنه تعثر وسقط على حافة منضدة رخامية ثم وقع على الأرض، وعلى رأسه سقطت قطعة الرخام مباشرة مسببة دوارا رهيبة ينذر بقرب فقدانه للوعى .. بالفعل وعيه ينسحب، لكنه خيل إليه أن الديدان تتجمع لتشكل ظل رجل يقف أمام الباب .. ثم فقد الوعى !

* * * *

بعد حوالى ثلاث ساعات استيقظنا فى مكتب الدكتور (جلال) .. أول من استيقظ كان الدكتور (جلال) نفسه .. استيقظ ليجد رسالة غريبة من (حسن) .. عبارة غير مفهومة بصوت نسائى عجوز وحركة كثيرة وطرقات متعددة ثم طلق نارى وارتطام وصمت !



كل هذه الأحداث لا تنبىء بالخير والقلق ينهش قلبه نهشا .. أخذ يستمع للتسجيل مرارا وتكرار لكنه لا يفهم شيئا .. أوقظنا وانتظر قليلا حتى نستعيد وعينا ثم أسمعنا التسجيل .. لا أفهم لكن ..

- أليس الشيطاين تتحدث بالعكس يا دكتور ؟

قلتها دون أن أفكر، فنظر لى فى شرود ثم قال :

- ربما .. لكن كيف سنعكس الكلام ؟

نهضت وحملت تطبيقا صغيرا يعكس الكلام وبدأنا نسمع حين ظهرت أمامنا الجملة واضحة جلية :

- الرب بافوميت قادم ودماء عائلتك قربان للإله !

صرخ د. (جلال) :

رباه .. يجب أن نسرع .. يجب أن نسرع الآن ..

ثم نهض فى عصبية شديدة وقرر الاتصال بقسم الشرطة الذى يعمل فيه (حسن)، وطلب محادثة



المأمور بنفسه .. طبعا الرد أنه مشغول ولن يستطيع الرد عليه !

هكذا أخذنا القرار، وتوجهنا ثلاثتنا لقسم الشرطة بأقصى سرعة ممكنة .. طلبنا مقابلة المأمور، وانتظرنا حوالى نصف ساعة إلى أن دخلنا إليه .. لم نفهم سبب كل هذا التأخير لكن ..

كان وجهه شاحبا ينم عن الذعر ..

أكره هذه النظرة ..

بالفعل أكره هذه النظرة لأن ما بعدها مصيبة غالبا ..

جلسنا معه، وعرفه د. (جلال) بنفسه وبنا وعلاقتنا بما يحدث لبيت (حسن)، والأمارة الأكيدة أننا نعرف بشأن القاتل المتسلسل ..

أوما المأمور برأسه .. ثوان وقال بصوت مختنق :



- بما أنكم تعرفون بشأن القاتل .. لقد ارتكب القاتل المتسلسل جريمة أخرى للتو ..

وأضاف بصوت شاحب كالبكاء :

- منذ خمس ساعات تقريبا .. زوجة (حسن) !

نزلت على العبارة صاعقة .. ترددت كالصدى داخل روحى ..

زوجة (حسن) ..

زوجته ..

وفى لحظة تداعى لقلبى بعض ذكرياتها وبناتها .. كم كانت رقيقة جميلة ضحوكة .. ورغما عنى طفرت الدموع من قلبى على صديقى .. كم يصعب فراق مثل هذه الإنسانة .. تزامن ألمى مع غضب عارم شملنى وصدر فى صورة آهة طويلة شقت جدران قلبى ..

وضع د. (جلال) يديه على وجهه وهو يقول :



- لاحول ولا قوة إلا بالله .. إنا لله وإنا إليه راجعون

بينما نمَّ تغضن وجه صديقنا على تأثره .. أكاد أجزم أن هناك دمعتين طفرتا من عينيه هو الآخر ..

ساد الصمت ثوان، ثم قال د. (جلال) بصوت خافت :

- هل بإمكانى مشاهدة الفيديو من فضلك ؟

بدا التردد لحظيا على وجه المأمور، ثم أشار له بالإيجاب ونهض وترك له مكانه تماما ليفض بعض توتره ..

الفيديو - كما عرفت لاحقا لأنى لم أستطع مشاهدته - بدأ بجماعة من خمسة افراد ترتدى اللون الأسود تسير حاملة زوجة (حسن) عارية تماما .. كانت واعية لكنها لاتبدى مقاومة .. غالبا هى تحت تأثير مخدر ما، ثم أرقدوها على ما يشبه المذبح، والمكان مظلم تماما إلا من أضواء شموع سوداء فقط تتضح عليها بالكاد الموجودات، وما أن وضعوها حتى تراجعوا للخلف منتظرين شخصا ما يتقدم ..



دخل الكادر ذلك السفاح الذى ظهر مرارا .. نفس الطول والهيئة الحركية، ووقف جوارها وبدأ يتمتم بصوت عال :

- إى لوسيفرى بلاكو سايدى مالووووون ..

ارتفع صوت الرجال من الخلفية :

- بااااااا

- را باعلزبوووول منديتى لا لوسيفرى مالوووووووون ..

- فوووووو

- بيراشيت بارا إيلوهيم إت هاشمايم فإيت ها إيرص فهاللويوسيفرى ..

- ميييييييييييييت !

ثم وضع السكين على طرف عنق المرأة الذاهلة عن الوجود وغرسها ببطء حتى نفذت من الجانب الآخر،



ثم حرك السكين داخل عنقها ذات اليمين وذات اليسار وسط اصوات غرغرتها المروعة وانتزعها، وبدأ الدم يسيل من عنقها إلى وعاء أحمر اللون جوار المنضدة ..

تراجع الرجل وتقدم الموجودون بكئوس فضية يملئون من دمائها الكأس، وهو يغمس إصبعه فى الكأس ويرسم به نجمة خماسية على جبين كل واحد منهم ..

المسكينة مازالت تتغرغر .. الدم يتقاطر ببطء، وما لبث أن مد يده بالسكين بهدوء وشق جلد صدرها وفتحه، بينما هى تتلوى بوهن .. يبدو أنها تتألم على الرغم من التخدير أو .. لست أعرف !

أخذ يعالج بالسكين الطبقات تحت جلدها إلى أن استخرج القلب عاليا، وصاحب ذلك انتفاضة زوجة (حسن) الأخيرة مفارقة الحياة ..

الموجودون يزومون ويترنمون ..

قرب ذلك السفاح قلبها من فمه و..



قضم قضمة !

ثم تلاه الموجودون كلهم ..

ثم انقطع الإرسال !

* * * *

أنهى الدكتور (جلال) الفيديو صامتا ..

كان يفكر ..

هذا قتل طقسى، وهو يعلم ما نتيجة هذا القتل .. هل يخبر المأمور ؟

رفع عينيه للمأمور وأخبره أن جريمة القتل هذه حدثت فى منزل الضابط (حسن)، فصاح به المأمور أن ذلك مستحيل .. هناك قوة من ستة افراد وأبلغوه أن الأمور هادئة، ولكى يثبت وجهة نظره اتصل بهم ونحن جالسون ..



أتاه صوت الجندى يخبره فى ميكانيكية أن كل شىء على مايرام ..

فى الواقع أى أحمق يسمع صوت الجندى لا بد أن يدرك أن كل شىء ليس على مايرام أبدا .. ومع ذلك فقد أنهى المأمور الاتصال بظفر لأنه أثبت وجهة نظره !

نهضت من مكانى فى توتر، وسألت المأمور :

- ألا يمكننا يا سيدى أن نأخذ قوة تفتيشية لمنزل الضابط حسن ؟

هز رأسه بالنفى .. هناك قوة بالفعل !

شعرت باليأس والإحباط ، وهو ما بدا على رفيقى ..

هل تعرف ذلك الوقت عندما تدرك أنك أمام طريق مسدود ؟

أخذت أسب فى سرى هذا الرجل المتعنت الجالس أمامى .. ماضره لو بعث قوة أخرى ؟



أخذت أتوسل إليه ولكنه رفض .. رفضا قاطعا حاسما .. عليك اللعنة يارجل ..

والنتيجة ؟

أنى ثرت وخرجت ثائرا بعدما اتهمته أن دماء (حسن) وعائلته ودماءنا فى رقبته لو حدث لنا شىء ..

إننا الآن نستقل سيارة د. (جلال) ذاهبين إلى منزل الضابط (حسن) ..

وحدنا ..

وليكن الله فى عوننا !

* * * *

- هل أنت خائف ؟

- نعم !

* * * *



الطريق كان مظلما مخيفا، على الرغم من أن الشمس غربت منذ وقت قليل .. السيارة تتهادى وصوت الإطارات على الأسفلت يثير فينا التفكير .. هناك جو من الغموض يحيط بالموقف، وحتى د. (جلال) لا يتحدث فى الموضوع على الإطلاق ..

ياترى أين (حسن) الآن ؟ لماذا لا يرد على الهاتف ؟ وهل يعلم ما حل بزوجته ؟

وصلنا لمنزله الغارق فى الظلام، ونزلنا من السيارة أمام المنزل اللعين ..

هناك ضوء خافت يأتى من الأسفل ..

من القبو ..

كان د. (جلال) معه سلاح نارى فى السيارة .. حمله فى توتر، وأشار إلينا أن نتبعه نزولا للقبو بعد دخول المنزل ..



غالبت خوفى وسرت وراءه، ثم اقتحمنا المنزل و دلفنا لمدخل القبو .. الجو مقبض كئيب واسير بصعوبة كأنى أسير فى طبق عملاق من الجيلى !

د.(جلال) يقول أن المكان يعج بالشياطين وصديقى المريض يبدو متوترا خائفا يتلفت حوله بين الحين والآخر ..

وفجأة ارتجت الجدران حولنا فى صيحة غاضبة شريرة وجدنا على إثرها أحد مرتدى السواد هؤلاء خلفنا وآخر أمامنا .. وقفنا متسمرين مكاننا للحظات .. ثوان مرت، ثم هجما علينا جميعا !

ومن دون صوت إلا صوت صراخنا فحسب !

مع هجومهم شعرت وكأن هناك من يكبلنى فلا أستطيع الحركة ..

و ..



دوى صوت رصاص ينطلق من فوهة مسدس الدكتور (جلال)، بينما ارتج المنزل فى صيحات غاضبة ..

لحظات وكنا ملقون على الأرض مقيدين وجوارنا رجل تسيل دماؤه من ذراعه بسبب رصاصة د. (جلال) !

أنا لا أعرف ماذا حدث تحديدا ..

أقامانا ودفعا بنا دفعا نحو القبو ..

كثيرا ما رأيت أناسا يسيرون لملاقاة حتفهم على الإنترنت، حيث ينتظرهم الذبح أو غيره، وكنت أتعجب حينها من صمتهم وعدم مقاومتهم ..

الآن أدرك شعورهم ..

عندما تنفصل عن الواقع وكأنك تشاهد فيلما فحسب ..

عندما تشعر أن الموت قريب ولا فرار ..

اليأس التام ..



نزلنا للقبو ..

ورأيت مالم أتخيل ان أراه قط فى اسوأ كوابيسى ..

رأيت حلقة من هؤلاء الذين يرتدون الأسود .. يقفون حول دائرة داخلها نجمة منقوش عليها أسماء مضيئة ..

كانوا خمسة أفراد ..

ومن السقف يتدلى - من قدميه - جسد صديقى (حسن) وأمه وبنتيه، وتحتهم - فى قلب النجمة - تقف (ريم) ناظرة نحو تمثال شديد البشاعة !

تمثال (بافوميت) !

تمثال متقن بشدة حتى تحسب أن الشيطان بذاته جالس يتنفس فى الركن، ومن حولنا ضوء الشموع يغرق المكان فى ضوء برتقالى كئيب، بينما هناك رجل واحد جوار التمثال يرتدى نفس الزى ولكن لونه أحمر، وفى يده منجل ..



نفس المنجل الذى يمسك به الموت فى القصص الخيالية ..

هناك مراسم تحدث، وأرجو من الله ألا يحدث ما كنت أتوقعه ..

عندما دلفنا للمكان بدا السرور على وجه الذى يرتدى الأحمر ..

طبعا من نافلة القول أنه هو بذاته السفاح صاحب الفيديوهات !

نظر نحونا وأومأ برأسه، ثم عاد للفتاة ..

وكأنما نبتت من العدم انتبهت فجأة لصوت ألعن موسيقى يمكن أن تسمعها فى حياتك .. كأنها آلاف المطارق تهوى على آلاف الأوانى المعدنية وأصوات صراخ و.. موسيقى جحيمية لعينة !

رفعت عينى تجاه (حسن) ومن حوله .. معلقين من اقدامهم المربوطة فى حلقة خشبية تتدلى من السقف



.. كانوا يبدون مذهولين عن الدنيا تماما .. هل شربوا مخدرا ما ؟

نفس المخدر غالبا .. هؤلاء الشيطانيون يستخدمونه بوفرة !

ثم .. أين الحراسة ؟ أين أولئك الجنود الذين كانوا فى الخارج ؟

أخذت أبحث عنهم بعينى فى توتر إلى أن ..

وجدتهم على الجدار البعيد معلقين من أقدامهم ..

ومذبوحين، وتحت كل منهم رأسه نائمة !

إلا واحدا ذاهلا هو الآخر يمسك اللاسلكى فى يده !

كنت أرتجف بشدة ..

كل هذا لا يحدث حقا ..

كل هذا خيالى أكثر من اللازم ..



كم أتمنى الآن أن أفقد الوعى لينتهى كل شىء سريعا ..

يا الله ..

بدأ الذى يرتدى الأحمر يدور حول (ريم) والكهنة ويتكلم باللاتينية .. يدور ويتكلم وهم يزومون، ثم توقف فجأة ورفع يده بالمنجل تجاه الأم وصرخ :

- لوسيفر .. لوووووسييييييييفاااااااار ..

و .. نعم ..

للأسف ..

ذبحها بحركة سريعا، وانهمرت الدماء على الفتاة التى رفعت رأسها كأنما هى مستمتعة بكل هذه الدماء ..

دماء أمها ..

دون وعى صرخت فانهالت ضربة على رأسى مصيبة إياى بالدوار وطفرت من عينى الدموع غزيرة .. أم



حسن العجوز وزوجته فى ليلة واحدة .. فليتغمدنا الله برحمته .

أشحت بعينى فى ألم، بينما شعرت بارتجافة رفيقى جوارى .. نظرت لصديقنا المريض، فوجدته يحدق فى خاتمه بيأس ..

افعل شيئا يا أحمق ..

ولكن لو أنى مكانه فماذا سأفعل ؟

أى استخدام للخاتم الآن إنما هو انتحار مؤكد ..

الفتاة تدور والكل يزوم :

- بااااافوووووميييييييت ..

- بااااافوووووميييييييت ..

- بااااافوووووميييييييت ..

فجأة لمحت عينا الصنم تتألقان ..



بدا وكأن يداه تنقبضان وتتحركان من موضعهما الثابت ..

تسارعت أنفاسى وانا ألهث .. رباه .. رباه ..

والكاهن اللعين يكمل تعاويذه و يدور بالمنجل ليلامس عنق إحدى الفتاتين أردت أن أغمض عينى لكنى تجمدت و ..

رأيت فجأة صديقنا المريض يمسك بيد القاتل التى تحمل المنجل وينظر له فى صرامة ..

بدا الذهول على كل الموجودين .. كيف انتقل لهناك فجأة ؟

أنا أعلم ..

الخاتم ..

المجنون استخدمه ..

المكان يعج بالشياطين ولو أمسكوه فسيفتكوا به ..



لكنه أمسك بالمنجل، واختفى !

جحظت عينا الكاهن وصرخ، ومعه صرخ كل الموجودين فى غضب ..

المخيف أن الصنم نفسه تحرك ..

نهض من مكانه ..

ضخما ..

مخيفا ..

رهيبا ..

ارتطم رأسه الحجرى بالسقف ناثرا التراب حوله وفتح فمه فى بطء وزأر ..

زأر بصوت كصوت التيس عندما يكون غاضبا ..

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..



الكاهن الأحمر ثائر غاضب لا يدرى ماذا يفعل، والكهنة يدورون حول أنفسهم يصرخون فى غضب ،وأنا أرتجف من فرط الرعب حين ..

حين سمعت صوت أقدام كثيرة ثقيلة تهز السقف من فوقنا هزا ..

هناك صوت شىء ينكسر .. رجل يصرخ ..

الصنم يحرك راسه الحجرية نحو الأعلى ويصرخ بصوت رهيب زلزل المكان بينما القاتل يسجد أمامه ويصرخ :

- رحماك بافوميت .. سننهى الطقس إلهى ..

الصنم يطوح يده ليطيح بالرجل ويبدأ يحرك قدمى االتيس حين ..

اقتحم رجال الشرطة المكان !

يبدو أن المأمور قد أرسل قوة على الرغم من كل شىء !



ساد الصمت فجأة .. صمت من يدرس الموقف من الجانبين ثم أشهر رجال الشرطة فى وجوه الكل أسلحتهم ويطالبون الكل بالاستسلام ، بينما تجمد الصنم كأى صنم لعين آخر !

نظر الكاهن ذو الأحمر ناحية الصنم وقال بصوت واهن :

- بافوميت ..

فجأة صرخ الصنم بصوت رهيب مرة أخرى وهو يرفع ذراعيه لكن رصاصات رجال الشرطة فجرت الصنم تماما وحولته قطعا صخرية متناثرة فى لحظات ..

نهض الكاهن ينظر للقطع بضع ثوان متجاهلا الأمر بالثبوت، ثم ..

اختطف سكينا قريبا ووضعه على رقبته كى يذبح نفسه، لولا أن أطاح بها رصاصة أصابته فى يده مباشرة، فصرخ فى ألم وانهيار وهو يسقط على الأرض ..



وعلى غير المتوقع تم إلقاء القبض على الكل بهدوء نسبى، وتحرير الرهائن الذين كانوا معلقين فى السقف ..

عندما خرجت وجدت المريض شاحب الوجه ينظر ناحية القبو بعيون زائغة وجواره المنجل ساقط على الأرض بينما شق ملابسه وجلد صدره ثلاثة جروح طويلة كأنما لطمه أسد عملاق ..

كان يهمس :

- لقد هربت منهم .. لكن ذا السواد قادم !

ثم فقد الوعى .

* * * *

كان الخبر مدويا .. إلقاء القبض على جماعة من عبدة الشيطان أثناء محاولتهم للتضحية بأسرة كاملة كقربان، وكان التجمع يحوى تسعة شباب من عبدة الشيطان فى مصر !



خبر بسيط لاقى اهتماما من الناس لكن دون تفاصيل ..

يومها خرجنا من المنزل الملعون ونحن نرتجف، والقوة الكبيرة التى نجح المأمور فى حشدها يشعرون بالذعر ..

كل فرد منهم حكى حكاية مختلفة عن الخوف الذى هاجمه .. كثيرون رأوا أشكالا مخيفة، وسمعوا أصوات صراخ غاضبة، ومع ذلك لم يعقهم ذلك عن اقتحام المكان ..

تم أخذ أسرة الضابط (حسن) – أو من تبقى منهم – للمستشفى لتلقى العلاج النفسى، بينما تم إغلاق الموقع بالكامل بسياج أمنى شديد ..

ولكن .. هل تعتقد أن الموضوع انتهى ؟

كنت أعتقد أن الموضوع انتهى ..

ولكنى - كالعادة - كنت مخطئا ..







الفصل الثانى عشر

د. جلال الدين عامر !

{ قُلْ يَا عِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَحْمَةِ ٱللَّهِ ..} (سورة الزمر – الآية 53)

بعد عدة أيام من هذه الأحداث، وبعدما استطعنا التقاط أنفاسنا واطمأننا أن كل شىء قد انتهى وأن صديقى المريض يتلقى علاجا مناسبا، كانت هناك محاضرة (دون تغطية إعلامية) لد. (جلال) كى يوضح للقادة ما حدث بالفعل، ومن هؤلاء القوم، ولماذا حدث ما حدث ..

كانت قاعة كبيرة يجلس فيها الكثير من كبار رجال الدولة و بعض الجمهور المهتم بمثل هذا الكلام، وبدا على د. (جلال) سمت الوقار والهدوء بلحيته البيضاء المنمقة وعينيه اللتين تلتمعان بشغف طفولى طوال الوقت .. ثم بصوته الهادىء الواثق اقترب من مكبر الصوت وقال :



- " السلام عليكم .."

رد عليه الجمع الغفير سلامه، بينما انتظر هو لحظات قبل أن يبدأ كلامه .. أشار لعامل قريب، فخفتت حدة الإضاءة قليلا، بينما أضاءت شاشة عملاقة خلفه، مكتوب عليها بخط كبير :

(عبدة الشيطان) !

سرت همهمة بين الحضور، وارتفع صوت أحدهم يصيح :

- ها قد بدأ التخريف .. !

وجاوبته الكثير من : هششششششش والهمهمات الاعتراضية، بينما ظل د. (جلال) صامتا حتى انتهى اللغط، وبدأ بصوت هادىء يتحدث :

- " بداية، ما سأقوله هنا قد يراه جمع كبير من الناس مجرد خرافات لا أساس لها من الصحة، ولرأيهم كامل



الاحترام، لكنى قبل أن ابدأ أطلب ممن لا يرغب بسماع حديثى بالخروج حالا ! "

بالطبع لم يتحرك أحد، انتظر لحظات ثم نفسا عميقا وبدأ يتكلم :

- " الحق أن ما واجهناه هنا أمر عجيب غريب على مجتمعنا المصرى والشرقى .. عبدة الشيطان .. عبدة بافوميت !

بافوميت هو شيطان قديم كان منافسا قويا لإبليس لعنه الله، ومازال الصراع بينهما قائما منذ فجر البشرية وحتى الآن، و الضحايا هم نحن ..

هذا الشيطان ظهر كثيرا فى التاريخ وبأسماء متعددة كثيرة .. دائما ما يدعو الناس للرذيلة والقتل وعبادته دونا عن الله تعالى وحتى عن إبليس اللعين ! إلا أن ذكره بصفاته وشكله المعروف لنا ظهر فى عدة مراحل من عصرنا الحديث .. هو موجود منذ فجر الإنسانية، لكن مع الانفتاح أمكننا تتبع أماكن ظهوره ..



على الشاشة وراء د. (جلال) ظهر كاهن أوروبى قديم، وجواره تمثال معدنى لرأس حيوان ما، بينما أردف د. (جلال) :

- المرة الأولى من خلال كتابات البابا الفرنسى (سلفستر الثانى)، والذى تم اتهامه بممارسة السحر والتعامل مع الشياطين .. وقد وجدوا فى أغراضه رأسا نحاسية لتيس ذو عيون بشرية قوية، وقال أنها كانت تحدثه وتأتى له بالأخبار والمعلومات التى يحتاجها .. أى أنه كان يتحاور معها فعليا، وذكر أن اسمها (بافوميت) !

تغيرت الصورة لترينا لوحة فيها مجموعة من الفرسان الصليبيين يرفعون علما مثلثا، ومن خلفهم تظهر نجمة خماسية يقفون جميعا أمام ملك من ملوك أوروبا ..

- " المرة الثانية عندما ألقى الملك (فيليب الثانى) القبض على مجموعة من فرسان الهيكل وأمر بتعذيبهم قبل محاكمتهم، ومن خلال اعترافاتهم أجمعوا بالكامل على عبادتهم لشيطان اسمه بافوميت،

ووصفوه أوصافا متباينة، ولكنهم اتفقوا على الوجه المثلث واللحية الصغيرة والذقن المدببة والصدر الشبيه بصدور النساء .. وأكد قولهم أحد جواسيس الملك قبل القبض عليهم حيث شاهد بعينيه ممارساتهم السحرية الغريبة وتجسدات الشيطان من خلال التماثيل وتحركها .. وهذا الرجل قد جن فيما بعد وقيل أن جنونه من انتقام الشياطين .. بالطبع هذا كلام غير دقيق ولكننا نرصد ذكر اسم هذا الشيطان فحسب ..

تغيرت الصورة لترينا ساحرا يشبه سحرة ديزنى لاند بنفس الطرطور الأزرق والملابس الفضفاضة .. ربما يشبه كثيرا (دمبلدور) الساحر فى روايات هارى بوتر، وجواره كتاب مفتوح وفيه رسم لشيطان وتحته كلام باللاتينية ربما أو الفرنسية ..

- المرة الثالثة من ظهور الاسم كان فى كتابات الساحر الفرنسى (إلفيس ليفيس)، وقد رسم بافوميت للمرة الأولى كما نراه هنا .. رجل يجلس متربعا على الكرة الأرضية، وله رأس تيس أو ماعز وصدر امرأة، وله



قرنان بينهما شعلة ونجمة السحر الخماسية، وحوافر ماعز أيضا ..

يده اليسرى مرفوعة لأعلى ومكتوب جوارها (solve)، والأخرى يشير بها للأسفل ومكتوب جوارها (coagula) ..

وعندما يشرح هذا الساحر معنى وجود الشيطان بهذه الطريقة، أى أنه يرمز للكمال والعظمة والقوة .. يرمز لاجتماع الاشياء المتضادة معا فى جسد واحد بمعنى أنه لا يحتاج لأحد على الإطلاق، وهو من أسس السحر القوية .. بداية من الكلمتين اللتين يرمزان للانصهار والتجمد، والشيطان يجمع بين الإنسان والحيوان، والرجل والمرأة معا، ويحمل شعلة العبقرية فوق رأسه ويستخدم السحر ..

ويقول هذا الرجل أن اسم بافوميت يتكون من ثلاثة مقاطع :

با – فو – ميت، ومعناها : معبد السلام الأرضى ! ..
بالمناسبة هذا الكلام حديث نسبيا، فقد كان عام



.. 1897

تغيرت الصورة لترينا رجلا انجليزيا بدينا ذو عينين مخيفتين، يرتدى بذلة من الصوف الفاخر وجواره كتاب ما وسكينا عليها طلاسم ..

- أما رابع مرة فجاء فى كتابات واقوال الساحر الشهير (أليستر كراولى)، ومن اشهر ما قاله : " لقد اتخذت بافوميت شعارا وصديقا لست سنوات كاملة .. إنه حجر الأساس فى زاوية المعبد " .. ونعرف أن كراولى زار مصر وقضى فيها وقتا وكتب كتابه الشهير (القانون) فى ثلاثة ايام، وادعى أن هناك كيانا علويا خارقا اسمه (عيواس) أملى عليه الكتاب ..

ثم انحنى د. (جلال) وأمسك شيئا بيديه الاثنين ورفعه أمام الجمهور .. كانت لفافة تبدو ثقيلة، وأردف :

- ومما وجدناه كانت هذه المخطوطة، والتى توضح أن (كراولى) بنفسه تعاون مع رجل من صعيد مصر كان يسكن قديما هنا .. رجل مصرى أقام أول مسجد



ومعبد للشيطان فى مصر وربما الشرق الأوسط كله .. وهو يقع مكان فيلا الضابط (حسن) حاليا .. تحديدا هو تحتها والفيلا مبنية فوقه بالضبط !

سرت همهمة غاضبة سرعان ما تحولت لضجيج، بينما ظل د. (جلال) صامتا تماما لحين انتهاء اللغط .. وما لبث أن قال بهدوء :

- " على كل لقد أعددنا ما بالمخطوطة كمادة صوتية ستسمعونها بعد انتهاء ما اريد أن اقوله ..

سرت همهمة استحسان، تجاهلها هذه المرة والصورة تتغير من ورائه لترينا :

مبنى كئيب، جواره يقف رجل اصلع يرتدى الأسود، جوارها صورة لمجموعة من الناس يرتدون ذات الملابس السوداء يصلون أمام تمثال بافوميت، بينما ترقد فتاة عارية تم تمويهها على مذبح جوارهم ..

- أما المرة الأحدث، فكانت عندما أسس (أنطون ليفى) كنيسة الشيطان عام 1966 فى سان فرانسيسكو،



وكان رمزها الرسمى هو بافوميت ذاته، حيث رسمت رأسه داخل نجمة خماسية، وحولها دائرة أكبر تحوى حروف اسم بافوميت .. وتم ذكر اسم بافوميت كثيرا فى (إنجيل الشيطان) الذى وضع فيه تعاليمه ..

وهى أول مرة يتم فيها عبادة الشيطان جهرا وبطريقة قانونية بحتة، بل وفى حرية وسلام وهدوء ! ومن هنا ننتقل لنقطة الثانية :

(عبدة الشيطان) ..

من خلفه ظهرت خلفية سوداء وداخلها نجمة خماسية بيضاء، وهو يستطرد :

- فى عام 1990 كانت التقديرات تشير لوجود ما يقرب من خمسين ألف (شيطانى) فى العالم .. هم الآن يتجاوزون المليون تقريبا ..

الشيطان فى الكتب السماوية دائما هو العدو والخصم والشر المطلق، لكن هنك كتابات بشرية أظهرته بطلا طيبا أو حزينا أو يتصف بصفات خير، مثل بعض ما



كتبه مارك توين، أو برنارد شو، ومثيل هذه الكتابات جمعها الشيطانيون واعتمدوها وعملو على انتشارها بين الناس ..

وهؤلاء الشيطانيون عموما ينقسمون إلى قسمين كبيرين :

- الشيطانية الإلحادية : وهؤلاء لا يعترفون بوجود الشيطان، بل يعتبرون أنه مجرد رمز يشير للخصال البشرية التى يرفضها البعض، كشرب الخمر والزنا وما إلى ذلك، وهؤلاء يؤججون هذه الخصال !

- الشيطانية الإيمانية : وهؤلاء يعبدون الشيطان على أنه إله خارق للطبيعة يحب الناس ويرغب فى مساعدتهم مقابل الاعتراف به، وهؤلاء يتعاملون مع الشياطين الكبرى مباشرة .. وهؤلاء يحصلون على مزايا خارقة فى المقابل .. وهؤلاء يقومون بقداسات شيطانية وطقوس شيطانية كثيرة، ولهم درجات :

الدرجة الأولى : شيطانى – شيطانية .



الدرجة الثانية : مشعوذ – ساحرة .

الدرجة الثالثة : كاهن – كاهنة .

الدرجة الرابعة : كاهن – كاهنة أعلى .

الدرجة الأخيرة : ماجوس – ماجا !

والمجموعة التى ألقينا القبض عليها كانت كلها من الـ (ماجوس) و الـ(ماجا) فقط !

هناك الكثير من الأمور التى يؤمن بها هؤلاء .. مثلا هم ليس لهم اعتقاد فى الذنوب إلا تسع ذنوب فقط :

(الغباء – الطمع – الأنانية – خداع النفس – الانسجام مع القطيع – نقص وجهة النظر – نسيان العقيدة الإبليسية – الغرور – نقص الحس الجمالى).

صمت د. (جلال) لثوان، ثم استطرد :

وما حدث فى الفترة السابقة هو .. هو مجرد محاولة لإعادة الشيطان بافوميت متجسدا على الأرض !



نطق عبارته، وتعالى الضجيج المحتج فى القاعة، ولكنه استمر طويلا هذه المرة، ود. (جلال) صامت ينظر للحضور .. هو يعلم حساسية المصريين تجاه هذا الكلام، والمزيج النفسى العجيب الذى يميز المصريين، حيث أنهم يرفضون هذا الكلام علانية، ويصدقونه ما أن يحكونه لزوجاتهم وأزواجهن وأصدقائهم فى العمل ..

ظل اللغط مستمرا، ثم هدأ رويدا رويدا معطيا الفرصة لد. (جلال) كى يكمل حديثه :

- الشر موجود .. والشيطان موجود وباق من الأزل إلى الابد، وحتى يرث الله الأرض وما عليها .. لكن هناك أشياء كثيرة لا نعلمها عنهم، أوعلمنا عنهم قليل للغاية .. ومنها أن الشيطان (بافوميت) ليس مسموحا له بالسير على الأرض قط !

هم يرغبون فى عودته، وهو شىء ممكن .. وعودته خراب ودمار ونصر أكيد لعباده .. هناك طقوس سحرية كثيرة، وهناك دماء تراق وعائلات تتمزق وأطفال



يقتلون من أجل هذا الحدث .. وبفضل الله تعالى أوقفنا هذا الاستدعاء قبيل تجسده الكامل .. هو يتجسد من تمثال صخرى وقد رآه الجنود يتحرك بالفعل قبل أن يقوموا بنسفه تماما ..

ما نعرفه يقينا الآن أن (أليستر كراولى) قام باستدعائه هنا فى أرض مصر، وربما لا بد أن يعود فى مكان الاستدعاء الأول .. من وجهة نظرى أن كل هذا تخريف، وأن عبدة الشيطان استغلوا الانفلات الأمنى فى تحقيق مأربهم .. ولكن بفضل الله تعالى تم كشفهم والسيطرة على الموقف ..

صمت ثوان ليترك كلماته تؤثر على الجالسين، ثم أردف :

- على الرغم من بحوثى فى مجال الروحانيات إلا أن هذه ثانى تجربة قوية أمر بها فى حياتى وأرجو أن تكون الأخيرة .. ليس التعامل مع هذه الكائنات سارا أبدا وإنما هو الذل والمهانة بعينها .. طوال عمرى أحارب فكرة التلبس وكل ما يحيط بها من خرافات،



ولكن هنا الأمر مختلف .. الأمر مؤذى كما تتعامل بالضبط مع قاتل محترف يبغى قتلك ..

صمت د.(جلال) بضع ثوان ثم بدأ يتكلم ببطء وكأنه شارد :

ومع ذلك أكررها أن إيمانك سبب كاف لنجاتك من الشيطان ..

الشيطان يأتى ليعبث بكم ..

يخيفكم .. ينظر لعيونكم من المرآة ليلا ..

يحدق فيكم من صور منازلكم ..

يختبىء فى الأركان والزوايا فى حجراتكم ..

يعيش فى سقف منزلك ..

يعبث بك .. يكرهك .. يتمنى موتك ..

يأتيك فى الكوابيس ولحظات الضعف ..

يهمس فى أذنك ويخيفك، فإن خفت سهلت السيطرة عليك .. ألم يقولوا ألا تخف أبدا فى حضرة الجان ؟

فإنك إن خفت .. انتهيت !

لا تخافوا، وثقوا بأن كلمة اللّه وحدها كفيلة بطرد كل شر ..

سرت همهمة مرتجفة بين الحضور بـ(لا إله إلا اللّه) ..

صمت د. (جلال)، وإن لمعت عيناه بدمعة، سرعان ما داراها بقوله :

- الآن نعرض عليكم تسجيلا صوتيا للمخطوطة، وبعدها نكون انتهينا من كل شىء .. شكرا لكم !

قرن كلامه بأن نهض من مقعده، وسار متوجها للخارج بخطى بطيئة ..

وأنا وراؤه ..



أنا كنت حاضرا لهذه المحاضرة من بدايتها لأننا جئنا معا، ولا أخفيكم سرا أنى أول مرة أرى د. جلال فى هذه الحالة من الحزن ..

عندما أدركته كان جسده يرتجف، ودمعتان تلتمعان فى عينيه بقسوة تغالبانه كى تنهمران، ولكنه يمنعهما بقوة .. رآنى، فرفع عينيه يستنشق دموعه ثم نظر لى مبتسما ..

ابتسامة من يوشك على الموت !

* * * *

فى مقهى قريب جلست مع د. (جلال) .. هذه أول مرة فى حياته يجلس فى مقهى ! كنت قد أصررت أن نجلس معا فى مكان ما، وهو لم يقاوم، بل انساق معى وكأنما هناك شىء ما بداخله مكسور .. قلبى ينفطر عليه وأكاد أذوب قلقا .. ماذا بك يا عالمنا العظيم ؟

جلسنا فى المقهى، وسألنى عن عائلة (حسن)، فأخبرته أنهم على مايرام، إذ أن الشرطة أمنت له شقة فاخرة،



وتحت رعاية مشددة تم نقل حاجياته كلها إلى هذه الشقة من بيتهم القديم، ولكنهم يعيشون حالة من الاكتئاب والحزن الرهيب !

أومأ برأسه فى تفهم، ثم شردت عيناه الصافيتان و ..

ببطء انحدرت دمعتان من عينيه !

يا الله .. يالقسوة هذا المشهد .. لو طعننى بسكين فى قلبى لما شعرت بهذا الألم ..ظللت صامتا للحظات، ثم مددت يدى أربت على ركبته مواسيا، فأدار رأسه نحوى ببطء وحاول الابتسام، لكن ابتسامته انهزمت فورا ..

سألته بهمس عما به ؟

كنا جالسين فى مقهى راق، ونوعا ما نحظى بخصوصية فى الجلسة .. نظر لى وبصوت مشروخ قال لى :



- أتعلم لماذا اتجهت لدراسة الروحانيات مع أنى مهندس أساسا ؟

نظرت فى عينيه وحركت رأسى يمينا ويسارا علامة النفى، فأخذ نفسا عميقا، وبدا عليه التردد قبل أن يقول بعد زفرة حارة :

- لا أحد يعلم .. لم أحك لأحد قط .. هل يمكننى أن أحكى لك ؟

هو يمزح هذا الرجل ! بالطبع يمكنه أن يحكى لى ! عندما قال لى ذلك شعرت بالفخر لأنه يستأمننى أنا دونا عن الناس كلهم على سره ويريد أن يحكى لى !

أومأت برأسى إيجابا بينما النادل يضع أمامنا كوبين من القهوة و ..

بدأ يحكى ..

* * * *

بصوت رخيم قال :



- كنت يا صديقى فى كلية الهندسة، فى عامى الأخير حين رأيت هذه الفتاة .. جميلة رقيقة حيية تطابق مواصفات الفتاة فى ذهنى كما ينبغى أن تكون .. لكل منا مقاييسه الخاصة عن الجمال، وهذه الفتاة كانت مقاييسى الخاصة تسير على قدمين .. كل ما كنت أتمناه فى فتاة وجدته فيها وبمثالية .. لا أؤمن بالحب من أول نظرة، لكنى عشقتها من النظرة الأولى .. بمجرد أن رأيتها شعرت بقلبى يدق فى عنف والدم يصفر فى أذنى وتسارعت أنفاسى ..

سعيت للتعرف على هذه الفتاة .. وبالفعل وجدتها مثلما رأيتها وأكثر .. بكثير .. وكانت مخطوبة لقريبها !

وقتها كنت شابا مستهترا نوعا .. لا يمكن أبدا أن أرغب بشىء ولا أحصل عليه، فحاولت استمالتها بشتى الطرق .. تارة أدعوها للغداء فترفض فى بساطة، وتارة أنقل لها المحاضرات، وتارة أحضر لها هدية فى مناسبات واهية، فكانت ترفض كثيرا وتقبل قليلا، وبدا واضحا أنى مغرم بها ..



فابتعدت ..

وأصابنى الجنون !

هى لم تتعامل معى بجفاء قط، وإنما كانت دوما تستأذن لتهرب منى بعيدا وتسير من أماكن لا أكون موجودا فيها .. وقبضة الحزن تعتصر قلبى، إلى أن صارحتها يوما .. وجدتها قادمة، وقبل أن تدير وجهها وتبحث عن مهرب كالعادة طلبت منها كلمة على انفراد، فقبلت وهى متضررة ..

ما أن اختليت بها حتى قلت لها :

- أحبك ..

فى حكمة أشاحت برأسها وقالت :

- أعرف .. ولكنى أعشق خطيبى وسنتزوج قريبا .. بعد إذنك !

وتركتنى وسارت بعيدا !



جن جنونى .. ولكن ماذا أفعل ؟

حكيت لصديقى لاحقا، فقال لى ساخرا:

- اعملها عمل !

عمل ؟

كانت كأنما أول مرة أستمع لهذه الكلمة فى حياتى .. صديقى كان يمزح ولكنها بالنسبة لى كانت فكرة رائعة ..

بالفعل اختمرت الفكرة فى ذهنى تماما .. هكذا سألت وعرفت مكان أحد الشيوخ المخضرمين .. الشيخ (جبران) فى البساتين .. وذهبت إليه !

كان معى ثلاث شعرا متطايرات من حبيبتى لأنى أعرف أنهم دوما يطلبون شيئا من (أتر) الذى يرغبون فى إيذائه ..

وصلت للمكان ظهرا، وسألت عنه لأفاجأ أنه فى قلب المقابر ذاتها، وهو يبدأ استقبال زبائنه بعد العصر إلى



المغرب فقط كل يوم !

لا بأس .. أشار إلى الذى سألته عن مكانه إلى طريق ترابى طويل بين المقابر وقال :

- آخر هذا الطريق تنحرف يمينا، ثم تسير عدد خمس مقابر، هو فى المقبرة السادسة ..

قالها لى باشمئزاز ..

شكرته وانطلقت أسير تحت الشمس فى وسط المقابر .. وحدى ..

لا صوت إلا صوت خطواتى على الرمال والحصى تحت الشمس الحارقة .. دقات قلبى ترتفع واشعر بتوتر لا مثيل له .. أترك الحياة ورائى لأسير وحيدا وسط الأموات !

وصلت لباب مقبرته، فوجدت النسوة جالسات !



نسوة متشحات بالسواد يتسامرن وعيونهن تتقطر سما للعابرين .. أخذن تنظرن لى فى وقاحة، بينما تجرأت إحداهن وسألت :

- تريد الشيخ (جبران) .. ها ؟

أومأت لها أن نعم .. قالت لى أن أنتظر دورى ..

كان متبقيا على العصر حوالى ساعتين، فتعجبت بشدة أن الدور بدأ مبكرا هكذا .. انتظرت إلى مابعد أذان العصر وسط صخب النسوة المتزايد، وزيادة أعداد المريدين ..

المرأة التى سألتنى كانت هى المنظمة .. هى (الحاجب) للشيخ وتأمر بدخول الناس وانتظارهم .

بعد العصر دخلت السيدة الأولى، وبعد عشر دقائق خرجت وهى تبكى منهارة !

تلاها رجل وامرأتان إحداهما عجوز والأخرى شابة، وسرعان ما خرج الرجل والعجوز يبدو عليهما القلق



لينتظرا بعيدا .. بعد حوالى عشر دقائق نادى عليهما صوت أجش غليظ من الداخل، فنهضا واختفيا قليلا، ثم خرجا بالكاد يحملان الشابة فاقدة الوعى ..

التوتر يتصاعد داخلى ..

لماذا لا يخرج أحد من هنا سعيدا قط ؟

كنت قد أخذت قرارا بالانصراف، حين قالت لى المرأة ذات العيون السامة :

- دورك .. اتفضل !

* * * *

قمت من مكانى بصعوبة، ودلفت وراءها للحوش الذى يقطن فيه الشيخ، لكنى وجدت مكانا خاليا، وهناك فتحة فى الأرض ..

فتحة قبر !

أشارت إلى بالنزول، فنظرت لها بارتياع .. أنزل قبرا ؟



هنا وجدت ما حول عينيها يسود وهى تهمس بصوت مختلف عن صوتها :

- انننننزززلللل !

نظرت نحوها وللقبر .. وبخطى يدفعها الرعب نزلت ..

خطوة وراء خطوة ..

درجة تليها درجة ..

القبر من الداخل حار مكتوم .. كان مكونا من حجرتين .. اليمنى فيها أكفان !

جثث موتى !

واليسرى يجلس فيها الشيخ !

كانت الحجرة فارغة تماما إلا من الشيخ فقط .. يجلس متربعا على الأرض فى سكون، ولا ضوء إلا ضوء لمبة صغيرة وراءه ..



تجمدت فى مكانى، فإذا به يقول بصوت عجيب كأنه قشر بيض تدوسه قدم قاسية :

- اقترب يا (جلال) .. اقترب واطلب ..

ارتجفت .. من أين له أن يعرف اسمى ؟

دلفت إليه مرتجفا .. أمرنى بالجلوس فجلست .. فى هذا الوقت كنت قد أدركت مدى السخافة التى أنا فيها .. مشاكل الحب تضاءلت وصارت تافهة حقا عندما جلست فى القبر مع ساحر سفلى !وتمنيت الخروج من هنا فورا ولا أريد شيئا !

بصوت عميق سألنى :

- (منى) ؟

اتسعت عيناى رعبا، وأومات أن نعم !

مد يده اليسرى نحوى وقال :

- أعطنى الشعرات الثلاث !



فتحت محفظتى مرتجفا وأعطيته ما طلب .. وقتها لم أكن أعرف أن الشياطين تخبره .. ظننته وليا من أولياء الله الصالحين !

مد يده فى الهواء، وبحركة أشبه بحركات الحواة ظهرت دمية قطنية من لا شىء !

أخذ الشعرات الثلاث وبحرفية أخرج إبرة صغيرة وخاط الشعر برأس الدمية، ثم قال لى :

- هات يدك ..

مددت إليه يدى مرتجفا، وبسرعة مد الإبرة وثقب إصبعى .. من ذعرى لم أقاوم حتى .. لم أنبس ببنت شفه، وهو يعتصر الدماء ليضعها فى قلب الدمية .. أعنى مكان القلب طبعا !

ثم دفنها تحت التراب بسرعة شديدة وقال لى :

- غدا ستأتيك تتوسل إليك ترحم حبها .. وغدا تأتينى بعشرة آلاف جنيه !



ثم أشاح بيده لأنصرف !

نهضت وتزايد ذعرى .. من أين لى بالمال ؟ هذا رجل خطر ولا أجروء على التلاعب معه قط .. ماذا أفعل ؟

خرجت من المقبرة متوترا، ودون حتى أن أعرف أين أسير خرجت من المقابر ناحية منزلى مباشرة .. وفى رأسى حل وحيد ..

عشرة آلاف جنيه !

هذه ثروة بمقاييس ذلك العصر !

لم يكن لى أخوة وأعيش مع أبى وأمى فحسب ..

فمن أسرق فيهما ؟

نعم .. لا حل أمامى إلا هذا الحل .. على كل ذهبت للمنزل وأخذت دشا باردا ونمت لليوم التالى .. لم أفعل شيئا ولم أبحث عن مال، وإنما توجهت صباحا لكليتى



مباشرة وجلست أمام الباب مترقبا .. ماذا سوف يحدث ياترى ؟

بعد نصف ساعة من الانتظار المتوتر وجدتها قادمة ..

كانت تبحث عنى ..

عيناها شاردتان غريبتان، ووقفت أمامى وتلعثمت، ثم قالت أنها فسخت خطوبتها بالأمس !

اتسعت عيناى من الذعر .. لا أنكر قط أنى فرحت جدا، ولكن .. بهذه السرعة ؟

ثم .. باغتتنى الفكرة كأنها صفعة عاتية .. الرجل يريد النقود اليوم .. نهضت من مكانى وأمسكت يديها وقبلتهما من دون مقاومة منها، ثم جريت نحو منزلى، ولسوء حظى كان أبى هناك !

ماذا أفعل يارب ؟



تعجب أبى من عودتى مبكرا هكذا وسألنى ما إذا كنت محتاج شيئا، فقلت متلعثما أنى نسيت كتبا معينة وسأبحث عنها فقط ثم أعود لكليتى .. أومأ برأسه إيجابا وهو يدعو لى، ثم عاد ليتابع التلفاز .. كان قد أخذ اليوم أجازة .. كيف اتسلل لحجرتهما إذن وبأى حجة ؟

انتظرت قليلا، وأخذت أعبث فى أماكن متفرقة من حجرتى دون اهتمام، إلى أن قام ليعد لنفسه كوبا من القهوة، فدلفت لحجرتهما بسرعة، وأحضرت شكمجية أمى المليئة بالحلى الذهبية، ثم هرولت بها خارجا من المنزل متوجها لأقرب محل ذهب ..

وهناك .. البائع على ما يبدو قد أدرك أنى لص، فعرض على ثمانية آلاف جنيه فقط مقابل الشكمجية بالكامل !

عندما اعترضت شتمنى فى قسوة بأنى لص، وأخبرنى أن آخذ النقود وأرحل وإلا سيفضحنى !



لم يكن أمامى حل آخر .. أخذت النقود زائغ العينين، وبهم الدنيا كله ذهبت للشيخ (جبران) .. هل سيقبل النقود ناقصة ؟

ياليتنى أعطيته الذهب .. بل ياليتنى لم أذهب إليه من الأساس !

وطبعا غضب الرجل .. أمهلنى فترة لكى أحضر له الباقى وإلا فلاأتحمل العواقب ..

خرجت من المقابر مرتجفا دامع العينين للمنزل لأجد الثورة .. ذهب أمى اختفى اليوم ولا أحد غيرى يمكن أن نشك فيه .. اتهمنى أبى بالسرقة وأمى ظلت تبكى بالساعات قبل مجيئى، والسبب ؟

السبب أن صاحب المحل كان يعرف المصاغ التى باعها لأمى لأنه قريب منها، فأعادها لها بالكامل وأخذ نقوده ..

إذن حتى الإنكار هنا لن يفيدنى والشكمجية أمامى بكامل محتوياتها على المنضدة !



هنا انهرت تماما أمامهما، ولم يكن هناك مناص من الاعتراف بكل شىء .. كل شىء بالتفصيل ..

كنت أحكى وأتحاشى نظرات أبى المشمئزة الآسفة الحانقة، وأصم أذنى عن شهقات أمى وصراخها ونحيبها ..

عندما انتهيت قال لى أبى جملة لن أنساها ماحييت .. قال :

- يابنى .. الشيطان لا يعطى، وإن أعطى سلبك أضعافا مما أخذ .. غدا نذهب انا وأنت ونعطيه المال ونأخذ الدمية .. ثم سيكون لى معك شأنا آخر !

وقد كان ..

لن أنسى ما حييت نظراته اللائمة طوال الطريق، ولا دهشته وغضبه ونحن داخلان للمقبرة، ولا عند نزولنا القبر، ولا عند مطالبة الشيخ بالدمية !



أعطاه أبى الألفين الباقيين، وطلب منه الدمية .. رباه لم أكن أدرى مدى قوة أبى .. على الرغم من ارتجافتى وخوفى، إلا أن أبى كان يبدو هادئا صامتا ساكنا، ولا يظهر عليه إلا الغضب فحسب ..

لكنى فوجئت برد الشيخ الصادم ألا دمية هناك !

طلب منه أبى أن يبطل السحر إذن وينتهى الأمر، فرد الساحر ألا سحر هناك !

الرجل القذر ينكر كل شىء .. هنا لم يتحمل أبى وهدده .. غضبه أعماه أنه فى عرينه .. لست أذكر تحديدا ماذا قال له، لكنه بمجرد انتهائه ارتج القبر بنا وتناثر على كتفينا التراب، ثم ارتفع الصراخ الغاضب ووجدنا الشيخ يطير من جلسته واقفا وعيناه حمراوين تماما ويصيح بصوت هادر، ثم وجدنا أنفسنا ملقيين على التراب أمام المقبرة فى الخارج !

الذهول يعترينا تماما .. ثم نهض أبى ونفض ملابسه فى حزم، وانطلق تجاه سيارته فى سرعة غاضبة



وعيناه تتقدان بالشر بينما أنا أعدو وراءه وأنا أرتجف ..

انطلق أبى ناحية قسم الشرطة يحرر بلاغا ضد النصاب، وبالطبع لم يحدث شىء !

وزيادة على ذلك فالرجل اللعين على ما يبدو كان متعاونا مع الشرطة بشكل ما، والنتيجة أن بلاغنا وصله ..

ووصلنا تهديد منه .. تهديد بالقتل !

التهديد كان عبارة عن قطة سوداء مذبوحة على باب منزلنا .. طبعا ليس لذلك تفسيرات كثيرة ..

المهم أننا تخلصنا من جثة القطة وأخذنا دشا دافئا، ثم جلس أبى معى ليلتها جلسة طويلة يتحدث معى عن السحر والكفر بالله تعالى .. وذكرنى بأبوة خالصة بحديث النبى أن كل بنى آدم خطاؤون، وخير الخطائين التوابون .. وأنى أخطأت عدة أخطاء ولا بأس فى ذلك .. فقط المهم أن أكون تعلمت شيئا أو



شيئين .. وكل مايجب فعله الآن أن أركز فى مذاكرتى .. الفتيات سيأتين ويذهبن، وغدا سأندم بكل تأكيد على هذه الحماقات .. لا فتاة تستوجب فعل معصية لله .. لا شيء يستوجب فعل معصية لله ..

ليلتها بكيت كما لم أبك من قبل .. شعرت بكلمات أبى الدافئة تغسل روحى وتزيل همومى .. أحسست براحة كبرى لم أحس مثلها من قبل .. لقد سامحنى أبى وأرجو أن يسامحنى الله ..

ثم مات أبى فى اليوم التالى !

نعم .. استيقظت من نومى على صراخ أمى وهى تهزه من كتفيه ليستيقظ وهو لا يستيقظ .. لا يريد أن يستيقظ .. جريت عليه كالمجنون أرجوه أن يستيقظ وينهض ويكف عن هذا المزاح السخيف معنا، لكنه للأسف لم يكن يمزح .. لقد مات .. رحمه الله .

بعد الدفن والعزاء عدت لمنزلى مع أمى ونحن فى شبه غيبوبة .. لا نصدق ماحدث ولا نعرف كيف سنتجاوز



محنتنا هذه .. صعدنا لمنزلنا وتركت أمى مع قريباتها ودلفت لحجرتى ونمت ..

ورأيت ذلك اللعين ..

الشيخ (جبران) !

كنت فى قلب قبره وهو جالس أمامى لا يرانى .. يقوم بفعل أشياء عجيبة للغاية فى الرمال لا أتبينها .. بشكل ما كنت أشعر أنه السبب فى موت أبى وبكل غضبى سرت نحوه خطوات متثاقلة وضممت أصابعى لألكمه فإذا به يرفع عينين مظلمتين نحوى بغتة .. شعرت بالصدمة وتراجعت .. لا يبدو عليه أنه يرانى اصلا .. عاد ينظر إلى ما يفعله، فنظرت أنا الآخر لأجد الرمال تتشكل على شكل قدر ممتلىء عن آخره بالدماء وداخله يسبح .. جسدى !

نعم .. وكأنى رضيع ذو رأس كبيرة فى قلب هذا القدر .. ثم استيقظت !



كنت أشعر بالخوف والغضب .. بكائى يخنقنى وفراق أبى يؤلم قلبى .. لم أستطع البقاء فى المنزل لحظة .. هكذا نهضت من نومى لأنزل مباشرة للمسجد القريب وأبكى هناك .. نزولى للمسجد لم يكن اعتباطيا، ولكنه المكان الوحيد الذى اشعر فيه بالأمان .. وهناك قابلت لأول مرة سيدى (عبد الرحمن مسعود) ..

أخذ دكتور (جلال) نفسا عميقا وهو ينظر لعينى ويسألنى بصوت خفيض :

- صديقى .. لو كنت مشغولا فـ ..

قاطعته :

- مشغولا ؟ طبعا لست مشغولا يا دكتور .. أكمل بالله عليك .. أكمل .. حتى لو كنت مشغولا فلن أتركك اليوم حتى أفهم ماحدث .. أعنى حتى تنهى كلامك وترتاح تماما .. أكمل ..

ابتسم ابتسامة شاحبة وهو يلتقط نفسا طويلا ويكتمه للحظة ثم يزفره ويكمل حكايته الشيقة هذه :



- كنت فى مسجد قريب اسمه مسجد الدرديرى يتبع طريقة ما من طرق الصوفية .. هؤلاء الناس عندهم ابتداعات دينية كثيرة، ومع ذلك فلديهم معارف كبرى وقوية .. كان مسجدا جميلا أحب الصلاة فيه على الرغم من أن البعض كان يرى الصلاة فيه غير مقبولة لأن به مقام !

الصلاة لله على كل حال ..

وهناك رآنى هذا الرجل .. أحسست به يجلس جوارى ويحتضننى برفق ويهدئنى بكلمات رقيقة .. شممت رائحة عطرية ثقيلة تبعث منه وشعرت بالهدوء، ثم رفعت عينى لأجد وجها أبيضا مشرقا ينظر ناحيتى بعينين صافيتين .. كان الرجل يبدو وكأنما يشع نورا فى حد ذاته .. سألنى عن سبب بكائى فحكيت له .. ومن دون منطق حكيت كل شىء من بدايته لنهايته، وهو يستمع ويومىء برأسه ويتمتم بأشياء لا أتبينها حتى أفرغت شحنتى تماما، وهو ينظر نحوى مبتسما ابتسامة هادئة، ثم طمأننى أن لا شىء يهزم الشيطان سوى ذكر الله تعالى .. ثم علمنى أذكارا لم أكن أعرفها



من قبل وطلب منى أن أواظب عليها صباحا ومساءا ولن يضرنى شىء .. وأن أعود إليه غدا بعد المغرب !

عجيب أمر هذا الرجل لكنه مطمئن .. نفذت ما قال، وفى اليوم التالى صليت المغرب هناك وانتظرته .. العجيب أن المسجد صار خاليا تماما من المصلين أو المريدين وهو جالس معى .. أخذ يحدثنى عن الله، وعن أسماء الله تعالى الحسنى، ثم أبحر معى فى أسرار حروف القرآن و .. علم عجيب استحوذ على تماما فلم أعد أهتم إلا به .. على مدى شهر كامل كنت أرتشف منه العلم رشفا .. ودوما ما كنت أحظى بالجلوس معه وحدنا وأتعلم من بعد المغرب إلى العشاء كل يوم .. لاشىء يعوض وجود الأب لكن وجود هذا الرجل فى حياتى فى هذا التوقيت بالذات كان شيئا رائعا وامتص حزنى وأراح نفسيتى بما لا يقاس ..

خلال هذا الشهر ابتعدت تماما عن الفتاة المسكينة لكن مفعول السحر قوى ويقوى يوما بعد يوم .. ارتبطنا عاطفيا لكنها من داخلها كانت تمقتنى .. ادرك ذلك فى



كلامها وتشتتها .. تحتاجنى وتمقتنى ولا تستطيع الاستغناء عنى .. حياة كريهة لو فهمت .. وهذ الفتاة هى من تزوجتها بعد سنين لم يخف فيها مفعول السحر .. على الرغم من كل ما سأتعلمه إلا أنى لم أستطع أن ..

وهى من انفصلت عنى باكية بعد شهر من زواجنا باكية محطمة .. بسبب حماقتى !

زفر زفرة حارة ثم استطرد :

- المهم .. أعود لما كنت أحكى عنه .. ظللت أتعلم من الشيخ شهرا كاملا حتى جاء اليوم الذى قال لى فيه أن على أن أكمل وحدى لأنه لن يستطيع المجىء مرة أخرى قريبا ..

خفق قلبى فى قوة وألم .. لماذا لن تأتى ؟ سؤال لم يبارح شفتى قط .. انتهى كلامنا فى تلك الليلة وعدت للمنزل بعد صلاة العشاء، وهناك حلمت به للمرة الثانية ..



الشيخ اللعين .. رأيته جالسا على تراب القبر غاضبا ثائرا، ومن حوله نار تتأجج، ومع ذلك كنت واقفا مبتسما أرمقه وأنا أعرف يقينا سبب غضبه ..

هو لا يستطيع الوصول إلى !

فى اليوم التالى نزلت للمسجد فى وقت الغروب وصليت وجلست على أمل أن يظهر الشيخ .. لم يظهر، ولكنى لاحظت أن المسجد لم يفرغ كعادة كل يوم !

هناك من يتلو القرآن وهناك من يتمدد وهناك من يصلى .. وقررت أن اسأل أحد الجالسين من كبار السن عن الشيخ (عبدالرحمن مسعود) تخيرت أحدهم وألقيت عليه التحية وسألته ما إذا كان يعرف الشيخ (عبدالرحمن مسعود) ؟

نظر لى نظرة متسائلة وهو يقول لى أنه بالطبع يعرفه وكل الموجودين يعرفونه .. سألته فى تهذيب ما إذا كان يعرف بيته أو مكانه، فضيق الشيخ عينيه وهو يسألنى عمن أريد بالضبط !



أخبرته مندهشا باسمه مرة أخرى ووصفته له سريعا، بينما ظل الرجل يحدق نحوى مندهشا .. سألنى ما إذا كنت رأيته ؟

أجبته أنى رأيته كثيرا وأنا لا أفهم رد فعله الغريب هذا .. عاد يسألنى : كم مرة رأيته؟ فقلت له أنى كنت أجلس معه كل يوم لمدة شهر فى هذا المسجد !

اتسعت عينا الرجل، وصاح لى :

- لهذا كنت أراك تجلس وحدك كل يوم .. لا إله إلا اللّٰه .. لا إله إلا اللّٰه .. يا بنى من تريده هو صاحب هذا المقام نفسه !

اذهب واقرأ الاسم بنفسك وتأكد ..

نظرت له فى شك .. ونهضت .. وقرأت الاسم ..

مقام سيدى (عبد الرحمن مسعود بن عبداللّٰه بن صالح الدرديرى) !



والدنيا دارت بى .. هل معنى هذا أنى تلقيت العلم على يد شبح لمدة شهر كامل ؟

هل هذا ممكن ؟

تركت المسجد وصعدت لمنزلى مشوش الذهن ودلفت لحجرتى متعجبا .. لم يكن الأمر مخيفا قط، وإنما كان عجيبا جدا ..

تمددت على فراشى أفكر حتى نمت ورأيته ..

سيدى (عبدالرحمن) بنفسه !

رأيته بنفس شكله يتقدم نحوى مبتسما، ثم يحتضننى ويجذبنى نحو مكان ما ملىء بالكتب - كنت أعرف هذا المكان لأنه مكتبة مهملة ملحقة بالمسجد -، ويشير نحوها ويخبرنى أن من هنا أتلقى العلم، ثم التفت نحوى ووضع إصبعا على شفتيه وقال لى ألا اسأل عنه مرة أخرى ..

واستيقظت على آذان الفجر ..



توضأت وصليت فى المسجد وأنا ابتسم .. كنت سمعت من قبل عن مثل هذه الحكايات ولكنى لم أصدقها قط .. الآن تحدث لى واحدة ؟

المهم .. فى ذلك الوقت اقتربت مواعيد الامتحانات جدا، فكان أن تركت كل شىء لانتبه لمذاكرتى .. رغم كل شىء لا أريد أن أرسب فى مادة ما ..

فترة الامتحانات لم أنس فيها اذكارى قط .. وربما لم أنسها من وقتها إلى الآن أبدا .. وبعد الامتحانات عدت للتعلم بقوة .. بالفعل قضيت فى المسجد أوقاتا طويلة أطالع الكتب الموجودة هناك وأتعلم .. تعلمت الكثير عن العلوم الروحية، وكيف أواجه الشر الخاص بأمثال (جبران) هذا، وتعلمت كيف أواجه سحر الجفر اللعين .. تعلمت الكثير من العلوم الإسلامية الخاصة بذكر الله تعالى، والممارسات التى تكسبك قوى شبه خارقة ..

تعلمت .. وأخذت كل ما تعلمته هذا وقررت مواجهة (جبران) فى عقر داره .. أو بالأحرى فى قلب مقبرته ! حكايتى تشبه حكاية المخطوطة التى وجدناها لكن



بالعكس .. هو لجأ للشر ليقضى على الشر وينتقم ، اما انا فلجأت لله تعالى ..

وكالمرة السابقة ذهبت لمقبرة (جبران) وأخذت موعدا .. كان من المستحيل أن يعرف أنى قادم له .. أذكارى تمنع شياطينه عنى، ولا يعرف عنى شيئا ..

جلست وانتظرت دورى حتى دخلت إليه .. وكان متفاجئا بالفعل عندما رآنى ..

بصوت غاضب سألنى :

- لماذا جئت ؟ ماذا تريد ؟

بهدوء سألته أنا الآخر :

- هل قتلت أبى ؟

تراجع فى جلسته وهو يقول لى :

- من يواجهنى لا يعيش يابنى .. انا لم أمسه !



كانت هذه تكفينى .. سمعتها وصرخت وانقضضت عليه مخرجا سكينا من جيبى .. ضحك فى سخرية واثقة من حماية زبانيته له وهو يرانى أنقض عليه ولم يتزحزح من مكانه، إلى أن أولجت السكين فى قلبه !

ارتجف وارتجف، ثم بصق دما على كتفى وهو يهم :

- كيف ؟

كانت رائحته القذرة تملأ أنفى، فأخرجت السكين من صدره وأنا أتراجع قائلا :

- تركوك وهربوا .. فلتذهب إليهم أيها الحقير .. والتفتُّ خارجا من المقبرة تاركا إياه يئن من الألم ويموت .. وفى الخارج صرخت مناديا المساعدة اللعينة، وأخبرتها انه يأمرها بإغلاق المقبرة عليه فورا، ثم الذهاب لبلدتها .. بدا التردد عليها،خاصة وأنها لا تفهم شيئا هى الأخرى، فصرخت فيها أن فووووووووورا ! أنا لن أستمر معها لاواجه عقاب غضبه ..



أدائى كان مقنعا .. سرعان ما جرجرت حجرا ووضعته على فتحة القبر، ومددت إليها يد المساعدة حتى أغلقنا القبر تماما ..

وللأبد ..

يا بنى، من قتل يقتل ولو بعد حين .. لم أكن أعرف كيف فعلها ولكنه قتل أبى .. قتله واعترف بها إلى .. ولم يكن بإمكان أحد الاقتصاص لى منه سوى بيدى أنا ..

أنت تستمع للقصة وتتعجب،فما بالك بمن حمل سكينا ونزل لقلب قبر ليقتل ساحرا ملعونا ؟

ساد الصمت برهة ثم أردف :

- ومن يومها قررت أن أتابع التعلم والصراع مع هؤلاء .. تعلمت أن الشيطان ومن معه أضعف من الذباب .. يكفى فقط بإثارة الذعر والخوف بينما يهشه كلمة مقدسة وتقتله كلمة الله تعالى .. ومع الوقت صرت ما أنا عليه .. لا أذكر كم من مواجهة واجهت .. كم من



موقف عشت فيه لا يتخيله أحد .. مات قلبى يوم أن مات والدى فلم أعد أخشى شيئا إلا الله تعالى .. إلا أنى حتى الآن ..

حتى هذه اللحظة اشعر أن ذنب قتل أبى أحمله انا بيدى ..

أنهى ما يقوله وساد الصمت قليلا .. بصوت مبحوح سألته :

- و .. لماذا تحكى لى الآن كل هذه الأحداث يادكتور ؟

ابتسم ابتسامة جانبية حزينة وهو يقول بصوت منخفض :

- لا بد أن تحكى لأحد هموم روحك يوما ما .. أليس كذلك ؟

- وهل هناك شىء آخر ؟ أشعر أنك لم تحك لى كل شىء ..



بدا على وجهه التردد، ثم نهض وهو يقول لى :

- ربما يابنى .. ربما .. ربما فى وقت آخر سأحكى لك شيئا آخر .. لكن ما رأيك أن نتقابل صباحا ونذهب معا للاطمئنان على (حسن) ؟

شعرت أنه يغير الموضوع عن عمد ، فغالبت فضولى ووافقته .. كان يريد النهوض والانصراف فنهضت معه على مضض، ثم لاح لى سؤال آخر فقلت له :

- يا دكتور .. لماذا أشعر أن الموضوع لم ينته ؟

نظر لى فى عينى وقال :

- لم ينته طبعا .. نحن لم نبدأ من الأساس !

* * * *

فى تلك الليلة هاجمنى كابوس رهيب ..

* * * *



لكى تتخيل مدى قوة هذا الكابوس ضع نفسك مكانى ..

كنت تسبح فى السواد الرهيب للنوم ثم تفتح عينيك ببطء لتستيقظ ..

وببطء تنهض بينما الذعر يستولى عليك من دون سبب !

ضربات قلبك عالية تكاد تفشى مكانك للموتى أنفسهم ..

صوت لهاثك .. لماذا تلهث أصلا ؟

أين أنا ؟ شعور عام بالتيه يجتاحك ..

تتقدم بخطى بطيئة ، فتصدر الأرض قرقعة الخشب القديم .. تتجمد مكانك لكن صوت القرقعة يستمر .. إنه يأتى من .. الأعلى ؟

ترفع عينين مذعورتين لتجد السقف ينحنى .. يتقوس تجاهك ..



الهلع يسيطر عليك .. تركض فى الظلام ، حتى ترتطم بهذا الجسم وتسقط أرضا بعنف، وعلى الضوء الشاحب ترفع عينيك لترى ما الذى ..

كفن !

جثة !

واقفة أمامك .. ثابتة .. صامتة .. (لقد سمعت هذا الكلام من قبل .. ولكن أين ؟)

تتسع عيناك من الخوف الوحشى ، وتكتم انفاسك وضربات قلبك ..

الجثة تزوم داخل الكفن ..

تتلوى ..

ترتجف ..

تنتفض ..



تحاول الخروج .. (بالفعل أنا أذكر هذا الكلام .. لكن متى ؟)

فتنهض أنت من مكانك وتركض .. تركض ، حتى ترتطم بجدار ارتطاما عنيفا ..

الدنيا تسود فى عينيك للحظات ، ثم تفيق لتجد نفسك ممددا على الأرض ..

تحاول الحركة .. لا تستطيع ..

لماذا لا تستطيع ؟

لأنك مقيد .. لو نظرت من أعلى لرأيت نفسك مقيدا داخل نجمة خماسية ، وحولك شموع سوداء .. ولو نظرت خلفك لرأيت رأس التيس المعلقة على الحائط تحرك عينيها تجاهك ، ثم يخرج جسد التيس الأسود واقفا بكامل سواده يرمقك فى نظرة وحشية مخيفة ..

تصرخ وتتلوى ..



يبدو أنك فقدت القدرة على الكلام ..

هناك شخص ما يقترب منك ، وبيده سكين طويل ..

تتوسل له أن يتركك فيخرج من فمك همهمات لا تندرى ماذا تقول ..

تسمع صوته القادم يردد كلاما غريبا ،وتتردد حولك آلاف الأصوات بفحيح وهمس صاخب !

يتقدم منك .. يضع السكين على عنقك ويجرها ببطء ..

آآآآآررررغغغ .. يا للألم الرهيب .. تشعر بالألم ..

ألم رهيب رهيب رهيب .. واللعين يجر سكينه ببطء ..

تحاول الكلام لكن الدماء تنصب داخل حلقك وتغمر حبالك الصوتية ..

تسمع صوت دمائك تنصب فى رئتيك .. سمع صوت احتكاك السكين مع عظام رقبتك .. ومع وعيك



المنسحب سقط رأسك يمينا لترى ذلك الرجل القاتل يضحك بصوت طفولى رقيق ..

ذلك ..

الـ ..

إنه ..

إن..

تفتح عينيك !

ألم تمت منذ قليل ؟

تشعر بقوة مفرطة .. لماذا تشعر بالقوة ؟

ترفع رأسك لتنظر حولك وترتجف ..

شياطين ..



يتوسطهم ذلك القاتل ..

تنهض لتتعثر وتسقط ..

بالطبع أنت غير معتاد بعد على جسدك الجديد وأقدام التيس .. تحاول الكلام فتصدر خوارا بشعا ..

صمت !

القاتل يدور حول نفسه ويوجه كلامه للشياطين :

فشلت التعويذة ..

سنعيد الكرة ..

قطّعوا هذا ثم احرقوه ..

تنفض الشياطين عليك دون حتى أن تفهم جيدا ما قالوه .. يتجاذبونك فيما بينهم بقوة جبارة ، ثم :

- آآآآآآآآآآآآآآآآآآه آآآآآآآآآآآآآآآآآآه آآآآآآآآآآآآآآآآآآه آآآآآآآآآآآآآآآآآآه ..

كم هو مؤلم انتزاع يد هذا الجسد ..



- آآآآآآآآآآآآآآآه آآآآآآآآآآآآآآآه آآآآآآآآآآآآآآآه آآآآآآآآآآآآآآآه ..

يده الأخرى ..

قدم ..

ثم قدم ..

ثم يفتحون فرنا ..

الألم يطغى على كل شىء ..

معدتك تختلج من فرط الألم ..

يقتربون بك من الفرن ثم ..

تفتح عينيك ..

ممدد على فراشك جوار زوجتك تلهث ..

لقد كان كابوسا !



* * * *

من باب الاحتياط اتصلت بد. (جلال) وحكيت له الكابوس .. استمع لى صامتا ثم أخبرنى أنه مزيج من الهلاوس الشيطانية وذكريات ما سمعته .. نصحنى بالتزام الصلاة وعدم إغلاق القرآن الكريم فى المنزل قط حتى نتجنب تكرار الهجمات .. قد نبدأ الليلة بكابوس عنيف وغدا نعيش واقعا مروعا !

هجمات !

على أنا ؟

وبهذه الضراوة والوحشية ؟

كنت فى غنى عن ذلك .. لو كان لدى الجرأة يوما لأتحجج واهرب من كل هذا الجحيم .. هكذا نهضت وتوضأت وصليت فى جوف الليل متضرعا لله تعالى أن يزيح عنى الكرب .. ثم فتحت لمذياع ورفعت صوته المطمئن قليلا وعدت لفراشى ونمت نوما أسودا هذه المرة بلا أحلام !





الفصل الثالث عشر

خاتمة.

الشر باق للأبد ..

و(حسن) ؟

لحكايته شقان .. أحدهما أعرفه والآخر لا أعرفه ..

ما عرفته أنه عاش فى منزل رائع وفرته له الوزارة إلى حين الانتهاء من هدم هذه الفيلا اللعينة ثم الوصول للمسجد الشيطانى أسفله وتدميره هو الآخر .. كما صرفوا له مبلغا تعويضيا محترما نظير تخليه عن الأرض للدولة وهو مالم يحدث من قبل قط .. له علاقات كثيرة واعتبروها خدمة يقدمونها له ..

ومع ذلك فقد عاش حالة انهيار قوية بعد وفاة زوجته وأمه .. لكن وجود بنتيه جواره ساعده على تخطى بئر الاكتئاب ليعيش حياة من يرغب فى الموت .. لا يأكل



ولا يشرب تقريبا .. إنما هو طوال الوقت جالس مع بنتيه يلاعبهما بشرود حينا ويتأملهما حينا ..

لا يسيطر على تفكيره شىء سوى الانتقام .. ولكن كيف ؟

أما (ريم) فقد عانت من انهيار عصبى حاد أدى لدخولها مصحة نفسية ورفضت الخروج منها حتى بعد تماثلها للشفاء .. المسكينة ترفض العالم الخارجي تماما وانغلق وعيها على المصحة فحسب .. الأطباء يخبروننا أنها ربما تشفى من رهاب العالم الخارجى هذا بعد شهور بسيطة ..

و (مصطفى) فقد أصابه الحزن العميق فحسب .. حزن عميق للغاية سرعان ما دفنه وسط أكوام الورق والملازم .. لقد صار وحيدا فى فترة وجيزة بعد وفاة أمه وابتعاد أخته واكتئاب أخيه .. دفن آلامه فى المذاكرة .. أعتقد أن هذا أفضل من الانحراف !



ومما أعرفه أيضا أن محاكمة عبدة الشيطان جرت بسرعة وتم الحكم على كل شاب بخمسة عشر سنة وغرامة ضخمة ، وسبب الحكم هو المساعدة فى جريمة قتل !

فقط ..

الحكم على جريمة القتل فحسب ..

أما الشاب القاتل فقد حكم عليه بالإعدام شنقا ..

من حضروا الجلسة يقولون أن الجلسة كانت مظلمة ..

القاتل ظل يردد أن العظيم يحضر معهم ولن يتركه ..

وظل يتمتم بأشياء غريبة طوال الوقت حتى أن القاضى فقد أعصابه عليه أكثر من مرة، واضطر لإخلاء القاعة لاحقا عندما أثار حفيظة الناس بشتمهم وإخراج لسانه لهم وسب المقدسات والنطق بتعظيم الشيطان ..

وتم نقل المتهمين بعد ذلك إلى السجن ..



لكن حدث شىء غريب ..

كان المقرر أن يتم نقل المتهمين على ثلاث دفعات .. السيارة الأولى بها أربعة من عبدة الشيطان ، والثانية مثلها ، بينما فضل القائمون على هذا الأمر ترحيل القاتل فى سيارة خاصة وحده .. سيارة من النوع شديد الإحكام حيث أن الصندوق الخلفى مغلق تقريبا إلا من عدة قضبان تسمح لمن بالداخل بالتنفس ، ويتم فيها تقييد الجالسين من أيديهم وأرجلهم بسلاسل غليظة فى السيارة ..

وعندما وصلت السيارة لوجهتها النهائية عند السجن المنشود وفتحوا السيارة وجدوها فارغة !

هاجت الدنيا وماجت ولكن لم يتم تفسير الأمر أبدا .. وتم اتهام الضابطين الذين كانا يقودان السيارة بالإهمال لكن اللغز لم يتم كشفه قط ..

كيف اختفى هذا الكاهن القاتل ؟

لا أحد يعرف ..



وانا لا أعرف ..

لكن ..

يمكننى التخيل ..

يمكننى أن أتخيل السيارة وهى تتحرك وخلفها سيارة مدنية زرقاء تسير خلفها وتتبعها حثيثا .. وأتخيل أنهم عندما مروا بمنطقة هادئة مظلمة نوعا زادت السيارة الزرقاء سرعتها ولوح القائد لمن فى السيارة عدة مرات .. يبدو أنهم يعرفونه بشكل ما ، فتوقفوا على جانب الطريق ..

أعرف أنه خيال ، لكنى أتخيل أن القائد هو الضابط (حسن) نفسه وجوراه شخص ما ، وأنه نزل من السيارة ليتحدث مع الضابطين ويريهما صورا .. ربما كانت صور أمه المقتولة أو زوجته أو ضحايا القاتل ..

الجدل يشتد والضابط (حسن) يتوسل .. أتخيله يبكى أيضا وأنهما ربتا على كتفيه ..



هو يريد القصاص والثأر كما قلت سابقا لكن هل هذا ممكن بالفعل ؟

هل من الممكن ان يتعاطف معه الضابطان ، ويدخلان للصندوق ويضربان القاتل بعنف على رأسه فيفقد الوعى ويحملانه بعد تقييده لسيارة الضابط (حسن) ويلقيانه لاهثين فى حقيبته ؟

ربما .. وربما أيضا أغلقا السيارة فى تصميم وعادا ليقودانها فارغة ويدعيا أنه اختفى فحسب !

هذا سيناريو هوليوودى للغاية ولا يوجد عندنا فى مصر ، كما لا يمكن لأحد أن يضحى بسمعته كضابط من أجل ثأر شخصى لضابط آخر .. لكنى أكرر أنه مجرد خيال .. المصريون قوم يتصفون بالشهامة وكراهية الغرائب وعلى استعداد تام لأن يقتلوا اى شخص يدعى أنه يحب الشيطان ، فهل يكون هذا هو الوازع هنا ؟

لكنى أتخيل شيئا آخر ..



أتخيل أن (حسن) قاد سيارته إلى حيث تقبع الفيلا المهجورة فى الظلام، ثم يتعاون مع الشخص الذى معه فى صمت لنقل القاتل إلى داخل الفيلا ..

ويهبطان به للقبو ..

يسمعان هسيسا وضحكا وبكاءا وصراخا ، لكن كل هذا هراء .. لقد مر ما هو أشد وأقوى ولم تعد هذه الترهات تثير خوفه .. لقد دلف للفيلا وهو يعلم أنها مسكونة .. رفيقه خائف لكنه مصمم هو الآخر ..

أعرف أن الخيال شطح بى بعيدا ، لكنهما يقيدانه على منضدة طولية واضح أنه أعدها من قبل .. قيدانه بطريقة لا يمكنه بها أن يحرك مفصلا واحدا ، ثم عملا على إفاقته برش شىء ما على وجهه ..

يفيق .. لا يفهم أين هو ، ثم يرى وجه (حسن) فيضحك فى إعياء ..

أتخيل (حسن) بوجهه الصارم وهو يقطع ملابسه ويجذبها بمعاونة رفيقه حتى يتركه عاريا كما ولدته

أمه ..

هل يصرخ ؟

طبعا .. يصرخ ويتناثر اللعاب من فمه مناديا الشيطان لكن تتردد صرخاته فحسب .. حتى شيطانه تخلى عنه ..

أتخيل (حسن) وهو يعرفه بنفسه .. يخبره أنه قتل أمه وزوجته فيضحك القاتل المجنون ..

يخبره (حسن) أنه الآن سينتقم وسيحرص على موته بأبشع الطرق الممكنة ..

يصرخ القاتل بينما ينحنى (حسن) لحقيبة ما ويخرج منها اشياءا يرصها على منضدة قريبة بحيث يراها القاتل ..

سكاكين رفيعة شديدة الحدة ..

كميات ملح وشطة ..



غلاية ماء ..

منشار ترددى صغير ..

أداة لحام المعادن بالنار ..

ثم يتوقف ثوان ليرمق وجه القاتل ..

وأتخيل أنك لو مررت جوار المنزل فى ذلك الوقت لسمعت صراخا شنيعا استمر حتى ظهيرة اليوم التالى حتى خفت تماما ثم ساد الصمت قبل أن يخرج الضابط (حسن) يبدو على وجهه ووجه رفيقه ملامح الإرهاق والارتياح، وقد ارتسمت على ثغرهما ابتسامة تشف واهنة ..

من رفيقه ياترى ؟

أتخيل أنه ..

ربما كان ..

القصّاص الذى يقص عليك كل هذا الكلام ؟



ربما ..

لكنك لن تعرف أبدا .

تمت